دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان: دراسة في وثائق الجنرال كليبر 1798 - 1800
المصدر: المجلة العلمية لكلية الآداب
الناشر: جامعة أسيوط - كلية الآداب
المؤلف الرئيسي: الحناوي، محمد عبدالحميد
المجلد/العدد: ع 29
محكمة: نعم
التاريخ الميلادي: 2009
الشهر: يناير
الصفحات: 362 - 509
رقم MD: 348958
نوع المحتوى: بحوث ومقالات
قواعد المعلومات: HumanIndex
مواضيع: الحملة الفرنسية على مصر 1798 - 1801 م، تاريخ مصر، كليبر، الغزو الفرنسي، الوثائق
رابط: http://search.mandumah.com/Record/348958

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

دراسة في وثائق الجنرال كليبر

١٧٩٨ - ١٨٠٠م

☜ إعداد

د. محمد عبد الحميد الحناوي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
كلية الآداب - جامعة أسيوط

مقدمة

تعتبر فترة الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ – ١٨٠١م من أهم فترات التاريخ المصري الحديث حراكاً سياسياً وعسكرياً ، فقد وضعت مصر عند مفترق الطرق ، ولا شك أن الجنرال بونابرت قائد هذه الحملة العسكرية كان يريد لها النجاح في جعل مصر قاعدة لمستعمرة شرقية كبرى لولا تطور الأحوال السياسية وتسارعها في أوربا ضد مصالح فرنسا فآثر العودة إلي بلاده لإنقاذها ، تاركاً أمر هذه الحملة لأهم وأمهر قواده ألا وهو الجنرال كليبر منذ يوم ٢٣ أغسطس ١٧٩٩ وحتى مقتله عصر يوم السبت ١٤ يونيو ١٨٠٠م وهي فترة هامة في تاريخ حملة الشرق تعتبر من أهم فترات إدارة قواد الحملة الثلاث ، ولذلك فهذه الفترة ثرية في مادتها الوثائقية نظراً لتنامي الأحداث السياسية من جانب الدولة العثمانية وبريطانيا وتطورها داخل مصر لمقاومة هذا الغزو الأجنبي للبلاد ، إذ شهدت فترة إدارة الجنرال كليبر تطورات هامة داخلياً وخارجياً بما صاحبه من مراسلات ومكاتبات وأوامر عسكرية من جانب القائد العام إلي قواده بالأقاليم المصرية المختلفة، وإلي حكومة إدارة فرنسا ، وإلي القادة العثمانيين والإنجليز.

ولهذا فإن هذه الفترة (١٧٩٩/٨/٢٣م – ١٨٠٠/٦/١٤م) ثرية بمادتها الوثائقية التي استرعت انتباه الدارسين والباحثين الفرنسيين المعاصرين وعلى رأسهم البروفيسور جاك هنري لورانس – أستاذ التاريخ العربي الحديث والمعاصر الحالي بجامعة باريس College de France والذي قام بإعداد رسالته في الدكتوراه الأولى Troisième (الماجستير) ثم دكتوراه الدولة Doctorat d' Etat في موضوعات

الحملة الفرنسية على مصر وفي دراسته للدكتوراه الثانية أعد رسالته عن وثائق كليبر في مصر Kléber en Egypte والتي تولى المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة منذ عام ١٩٨٨ وحتى عام ١٩٩٥ طباعتها في أربعة أجزاء تضم (١٣٢٣) وثيقة ، ولقد وجدت أن هذه المادة الوثائقية القيمة تحتاج إلي إلقاء الضوء عليها بالدراسة والتحليل إذا ما نظرنا إلي أهمية فترة إدارة الجنرال كليبر من خلال ما جمعه لورانس من وثائق في مجلده القيم (٤ أجزاء) جمعها من أرشيف وزارة الحرب الفرنسية في ڤنسن Vincenne إلي جانب اعتماد هذه الدراسة على بعض الوثائق المنشورة من الأرشيف المصري بدار الوثائق المصرية (وثائق الحملة) والمصادر الأخرى المعاونة ، على أن هذه الدراسة تعتمد اعتماداً رئيساً على وثائق كليبر في مصر للمؤرخ هنري لورانس لإلقاء الضوء علي هذه الفترة الهامة من خلال الدراسات الوثائقية الجادة وهذه المحاولة البحثية التي بين أيدينا تعتبر خطوة على هذا الطريق بما توفر لدينا من مادة وثائقية لم تتوفر تحت أيدي الدارسين لهذه الفترة من قبل .

وثائـق كليبر

(١٧٩٨ – ١٨٠٠م)

لعل وثائق فترة قيادة الجنرال كليبر من الغزارة بحيث يمكن القول بأنها تفوق في عددها الوثائق الخاصة بفترة قيادة كلّ من بونابرت ومنو ، على اعتبار أنه كان أقـدم قواد حملة مصر في عهد بونابرت وقائدها الثاني من بعده ، ومن أمهر قـادة الجـيش الفرنسي وأقدمهم في الخدمة العسكرية ، ولهذا شغل المناصب القيادية الهامة منذ بداية الاحتلال وبدأت مراسلاته مع بونابرت منذ الاستعدادات الأولى للحملة في ميناء طولون Tolon ثم أصبح قائدا عسكرياً للإسكندرية حتى محاكمة السيد محمد كريم وإعدامه .

وقد أطلق المؤرخون على كليبر " الجنرال الخالد البائس ناضـج الفكـر الجـدير بالإعجاب ذو وجه عسكري يتصف بالصرامة تبدو عليه علامات القـوة والـشجاعة ، مثقفاً بدرجة عالية "، تولى قيادة مراكز عسكرية هامة في المعارك الخارجية شارك في معارك الراين وقتديه ومصر [١] .

ويعتبر من أهم وأحدث ما نشر من وثائق فرنسية عن حملة الشرق على مـصر L'Expédition d' Orient ، ما قام به هذا المؤرخ الفرنـسي المعاصـر Henry Laurens وهو متخصص في تاريخ الحملة عندما قـام بدراسـة ونـشر الوثـائق المحفوظة بأرشيف وزارة الحرب الفرنسية بباريس في عمل علمي من أربعة مجلدات .

وهو كما يقول في مقدمة كتابه أنه دراسة تاريخية مصحوبة بمقدمـة وملاحظـات للمؤلـف Etude Historique , Présentation et Note par Henry Laurens وقام المركز الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة Institut FranÇais D'Archéologie Orientale بنشره في عام ١٩٨٨م ، وهو كما جاء في فاتحة المجلـد الأول يعتبـر العمل العلمي رقم (٢٥) الذي قام بنشره المركز الفرنسي للرحالة الشرقيين في مـصر

(١) Laurens, Henry : Kléber en Egypte 1798- 1800, Le Caire, Institut FranÇais d' Archéologie, orientale 1988, T. I , P. VI.

والمجلدات الأربع تغطى أحداث الحملة الفرنسية على مصر كاملة بدءاً من الإعداد لها في فرنسا وحتى اغتيال القائد العام الجنرال كليبر في مصر يوم السبت ١٤ يونيو ١٨٠٠م أي أنها تشمل نحو أكثر من سنتين ١٧٩٨ – ١٨٠٠م ، وهى فترة هامة وخصبة من تاريخ الحملة تولى فيها الجنرال بونابرت قيادة الحملة منذ إعدادها بفرنسا وحتى سبتمبر ١٧٧٩ ثم فترة قيادة الجنرال كليبر (١٧٩٩ م– ١٨٠٠ م).

والمجلد الأول : يحمل العنوان الفرعي : – Kléber et Bonaparte 1798 1799 ويقع هذا المجلد في ٣٤٢ صفحة من الحجم الصغير ونصوصه تعتمد اعتماداً رئيساً على وثائق وزارة الحرب الفرنسية (القسم التاريخي) Archive du service Historique de L'Armée de terree (S.H.A.T) والمحفوظة بقلعة فنسن Château de Vincennes تحت مسمي الوثائق الخاصة بجيش الشرق (Sèrie B6) إلى جانب الوثائق المنشورة لنابليون بونابرت وحروبه الخارجية ومراسلاته مع الجنرالات الفرنسيين وهي :

١ – سبع مجلدات ، طبعة بانكوك بباريس عام ١٨١٩ وتضم عدداً كبيراً من مراسلات نابليون La Correspondance de Napoleon I er مع الجنرال كليبر.

٢ – مراسلات نابليون الأول ونشرت في باريس خلال الفترة من ١٨٥٨ – ١٨٧٠ في ٣٢ مجلد طُبعت بأمر الإمبراطور نابليون الثالث L'Empereur Napoleon III .

٣ – حملة مصر للكابتن لاجونكيير L'Expédition d'Egypte , C.la Jonquière , paris , 1899 – 1907 ويقع في خمس مجلدات .

٤ – التاريخ العلمي والحربي للحملة الفرنسية في مصر L'Histoire Sciéntifique et militaire de L'Expédition Français en Egypte, Paris , 1830 – 1836 . ويقع في عشرة أجزاء .

٥ – استند لورانس على مخطوطة أصلية بأرشيف فنسن تحمل عنوان :

Le journal de opérations du général Kléber pendant toute la durée du Commandement qu'il exerça Alexandrie du 18 méssidor au 2e jour

Complémentaire an VI . صحيفة العمليات الحربية للجنرال كليبر خلال فترة قيادته للإسكندرية من ١٨ مسيدور إلى ٢ كومبليمنتير من السنة السابعة للجمهورية ، وقد وجدت هذه المخطوطة ضمن أوراق الجنرال داماس Général Damas .

ويستهل المجلد الأول بمقدمة عن الثورة الفرنسية ومشروع الحملة على مصر (الصفحات من I -VIII) ، ثم يتلوها بما أسماه " دراسة تاريخية Étude Histrque " (الصفحات من3-101) وتتكون من سبعة فصول :-

أ – الفصل الأول : كليبر قبل مجيئه لمصر :

ويتناول فيه الحياة الشخصية لكليبر منذ مولده في ٩ مارس ١٧٥٣ في ستراسبورج وحتى عام ١٨٥٢ وأهمها كتاب باجول عن حياة كليبر طبعة باريس ١٨٧٧ ، وكتاب لوكاس دوبريتون Lucas Dubreton طبعة باريس ١٩٣٧ ، وأحدثها ما كتب عن كليبر طبعة باريس ١٩٥٢ .

ب – الفصل الثاني : كليبر مع بونابرت :

ويتناول بداية فكرة الحملة وتجهيزات بونابرت لها منذ شهر أكتوبر ١٧٩٧ عندما كلفته حكومة الإدارة في فرنسا بهذه المهمة ضد إنجلترا ، وبدأ بونابرت في اختيار قواده الكبار مثل كافاريللىCaffarilli وكليبرKléber الذي اختير قائدا لإحدى الفرق Général Divisionفي الحملة ، وهذا الفصل يعتمد فيه لورانس اعتماداً كبيراً على مصادر ووثائق التاريخ العلمي والحربي للحملة ولاجونكيير .

ج – الفصل الثالث : ويفرده المؤلف لمدينة الإسكندرية فقط حيث يتحدث عن أحوال المدينة العامة عند مجيء الفرنسيين وسكانها، وعلمائها ، وحالتها الاقتصادية ، وإدارة المماليك لها في ظل الحكم العثماني ، ويناقش علاقة الفرنسيين بقادة الفكر والرأي في المدينة وتعهد بونابرت لهم باحترام ممتلكات وحرية عقيدة المسلمين (٤يوليو١٧٩٨)عندما سمح القائد العام للسيد محمد عبد الكريم (محمد كريم) بالاستمرار في حكم المدينة في ظل القيادة الحربية للجنرال كليبر الذي جرح أثناء محاولات اقتحام الأسوار، وفى هذا الفصل يفرد المؤلف جانباً كبيراً لما لاقاه الفرنسيون

من مقاومة من جانب القبائل العربية وعلى رأسهم أولاد على بالبحيرة عند مرور القوات الفرنسية بها نحو الرحمانية في اتجاهها صوب القاهرة ، والجزء الأخير من هذا الفصل موثق من خلال أوامر بونابرت اليومية المتتالية إلى قواده العسكريين .

د- الفصل الرابع: حملة سوريا ، ويعرض المؤلف لأسباب حملة الشام والهدف منها كما ورد بمنشور القيادة الفرنسية في القضاء على قوة المماليك التي هربت من مصر بعد معركة الأهرام بقيادة إبراهيم بك ، والتعاون الإنجليزي مع الباب العالي للهجوم على مصر من ناحية بلاد الشام من خلال تجهيز جيش عثماني في رودس لهذا الغرض، ويبرز المؤلف بوضوح دور كليبر – أحد القادة العظام في حملة سوريا .

ويتناول دور أحمد باشا الجزار والى عكا في مقاومة الفرنسيين كأحد المماليك الذين كان لهم دور حيوي في الإدارة العثمانية في المنطقة ومنهم على بك الكبير في مصر قبل مجيء الحملة.

ويتحدث عن فلسطين موقع المعارك العامة في حملة سوريا منذ القرن الثالث عشر من خلال المصادر العربية ومنها : ولاية دمشق لعبد الكريم رافق ، طبعة بيروت ١٩٦٦ ، وفلسطين في القرن الثامن عشر لمؤلفه أمنوم كوهين Amnom Cohen طبعة القدس ، ١٩٧٣ ، ودراسات عن فلسطين خلال العصر العثماني لمؤلفه موشيه ماعوز Moshé Ma'oz ، طبعة القدس ، ١٩٧٥ .

ويقول المؤلف إن حصار بونابرت لعكا بدأ منذ منتصف مارس ١٧٩٩ وفشل في اقتحامها للمقاومة المنظمة التي أبداها الجزار ومساعدة الزوارق الإنجليزية له عن طريق البحر ، في نفس الوقت الذي بدأ فيه الجيش العثماني يجتمع في رودس يتجه نحو مصر ، وحدوث كثير من المتاعب والثورات في إقليم البحيرة ؛ ونتيجة لفشل حملة الشام فقد عاد الجيش الفرنسي إلى مصر دون تحقيق أي نتيجة مع ما منى به من خسارة فادحة ، وعادت فرقة كليبر إلى القاهرة في نفس الوقت الذي بدأ فيه الجيش العثماني الذي تجمع في رودس يتجه صوب مصر .

وقد اعتمد المؤلف على المصادر الفرنسية القديمة كالتاريخ العلمي والحربي لريبو، وتاريخ حملة مصر لـ . دلاجونكيير ، إلى جانب المؤلفات الحديثة مثل Bernoyer , Avec Bonaparte en Egypte et en Syrie , Les presses FranÇaise Abbeville , 1976 .

الفصل الخامس : رحيل بونابرت :

وهذا الفصل يشير إلى العلاقة بين كليبر وبونابرت إثر العودة من سوريا وكان انتصار أبو قير البرى قد أدى إلى تحول الموقف لصالح الفرنسيين بفضل ذكاء وعبقرية بونابرت لدرجة أن كليبر قال مخاطبا قائده العام في لحظة صفاء " أيها القائد أنت عظيم كهذا العالم ولا أحد في مثل عظمتك "(١) .

ورغم هذا الانتصار الساحق للفرنسيين على الأتراك في مصر فإن الموقف في فرنسا استدعى تواجد بونابرت هناك ، والذي علم بأخبار الموقف في فرنسا من خلال الأسرى الأتراك الذين وقعوا في قبضته في معركة أبى قير .

وفى هذا الفصل أيضاً يمزج المؤلف بين المادة الوثائقية المنشورة لتعبر عن مختلف وجهات النظر حول أحداث الحملة وأهدافها وأهداف بونابرت الشخصية من عودته إلى فرنسا : Madame DE Staël ; Considération sur la Révolution Française , paris , 1983 .

الفصل السادس : قيادة كليبر :

يتحدث لورانس في هذا الفصل عن المتاعب التي صادفت كليبر بعد رحيل بونابرت والتركة الثقيلة التي تركها له بونابرت لقيادة جيش الشرق في مصر ، فقد كانت الأوضاع في أوربا في غير صالح فرنسا ، إلى جانب الحصار المفروض من جانب إنجلترا على السواحل المصرية ، ومن خلال الوثائق الخاصة بكليبر يتضح أنه لم يكن راغبا في البقاء بمصر ، وكان دائما ما يكرر أنه يجب الخروج من هذه البلاد

(١) Dinon , Vivant :Voyage dans La Basse et Haute Egypte , Paris , 1803 P.220.

(مصر)[١] كما كانت الظروف المالية السيئة للحملة نتيجة نقص الموارد من أهم ما يتعلق بفكر القائد العام بعد انشغال بونابرت عنه بحماية فرنسا والتصدي لقوات التحالف الدولي ، وقد أرسل كليبر أكثر من مرة لبونابرت يفضي إليه بأحوال حملة مصر ويطلب منه العون والمدد [٢] .

ويشير لورانس إلى موافقة كليبر على اتفاقية العريش مع الأتراك لخروج الفرنسيين من مصر خروجا مشرفا ، وتقدم القوات العثمانية نحو القاهرة ولكن الحكومة الإنجليزية رفضت هذه الاتفاقية وطالبت بخروج القوات الفرنسية من البلاد دون أسلحتها مما أدى إلى تمسك كليبر بما نصت عليه الاتفاقية ، وإزاء تمسك الإنجليز بموقفهم المتعنت فقد أصدر القائد العام منشوراً للجيش في ٢٧ فنتوز من السنة الثامنة (١٨ مارس ١٨٠٠) يخبرهم برسالة القائد العام للأسطول الإنجليزي في البحر المتوسط سدنى سميث الرافض لكثير من نصوص اتفاقية العريش ، وتمسك القائد العام الفرنسي بالدفاع عن شرفهم أمام التعنت البريطاني .

ويشير المؤلف إلى حادثة اغتيال سليمان الحلبي للقائد العام مدفوعا بفكرة "الجهاد" والاتهامات الموجهة لعلماء الأزهر[٣] من جانب السلطة الفرنسية .

الفصل السابع : كليبر وبونابرت :

يتناول هذا الفصل في بدايته شخصية كليبر بالتحليل من خلال ما كتبه عنه مؤرخو الحملة أمثال ريبو Reybaud وبرتراند Bertrand ومراسلاته مع بونابرت وغيره من قواد الحملة مثل كافاريللى Caffarilli، ويتحدث بونابرت وهو في منفاه بسانت هيلانه عن علاقته بكليبر قبل المجيء سوياً إلى مصر في حملة الشرق ويروى بالتفصيل علاقته به وتأييده لسياسته منذ عهد حكومة الإدارة وحتى عهد الإمبراطورية

---

(١) Laurens , Henry ; Kléber en Egypt , 1798 -1800 , Kléber et Bonaparte 1798 – 1799, T. II, pp. 72 – 73.

(٢) Ibid , pp. 75 - 77 .

(٣) Laurens, Op. Cit, T.I, p 84 .

،ويعبر نابليون أثناء كتابة مذكراته في سانت هيلانه عن رضاه عن كليبر أثناء وجودهما في مصر بقوله :" كنت دائما راضيا عن كليبر في مصر"[١] ويقول المؤلف نقلا عن كليبر أن الشخصية السياسية المثالية التي أعجبت بها هي شخصية الرئيس الأمريكي جورج واشنطون .

وينهى لورانس هذا الفصل بآخر ما أملاه نابليون علي سكرتيره برتراند في سانت هيلانه عن شخصية كليبر ومن خلالها يقول عنه : كان هناك اختلافا عظيما ما بين كليبر وديزيه ، فقد كان لديزيه قلبا فرنسيا محبا للمجد والحرب ، لقد كنت متوافقا معه فقد كنا من نفس المدرسة العسكرية ، محبين للمجد ، ومحبون للثورة ، ولكن كليبر لم يكن أبدا فرنسيا ، بل كان ألمانيا لم يكن محبا إلا للنساء والمال والسرور ، لم يكن محبا للثورة الفرنسية[٢] .

وتنتهي بذلك الدراسة التاريخية Étude Historique التي قدم بها لورانس لمجلداته الأربع عن وثائق كليبر في حملة مصر ، وهى دراسة قيمة لازمة لكل باحث في تاريخ الحملة ، ولكنها لا تعبر عن مختلف وجهات النظر المتباينة لقوادها ، بل تعبر عن وجهة النظر الرسمية من خلال مذكرات نابليون أو التاريخ العلمي والحربي للحملة باستثناء الفصل الثالث الذي يتعرض لمدينة الإسكندرية وكيفية احتلال الفرنسيين لها وعلاقتهم بأهل الحل والعقد فيها .

كما أن هذه الدراسة التاريخية تلقى الضوء على تاريخ الحملة في زمن وجود كليبر في مصر (أول يوليو ١٧٩٨ – ٢٢ أغسطس ١٨٠٠) باعتباره قائدا عاماً للقوات الفرنسية في البلاد المصرية .

---

(١) Ibid , p .95.
(٢) Ibid , pp. 100-101 .

أما الجزء الوثائقي المرتبط بمراسلات Correspondance كليبر مع قادة الحملة فيبدأ مع الصفحة 103 وحتى نهاية المجلد الأول تحت عنوان Correspondance et papiers personnels de Kléber.

مراسلات وأوراق كليبر الخاصة :

ويستهلها لورانس بوثيقة من كليبر إلى القائد العام بونابرت مؤرخة في ميناء طولون في ١٥ فلوريال من السنة السادسة (٥ مايو ١٧٩٨) وهى الفترة التي كان بونابرت يقوم خلالها بإعداد وتجهيز الحملة في طولون ، أما الوثيقة الثانية فأرسلها إلى الجنرال مورو Moreau من طولون أيضا في ٢٩ فلوريال من السنة السادسة (١٨ مايو ١٧٩٨) ، وقد نقلها لورانس من كتاب باجول عن كليبر لأنه لم يجدها في وثائقه بأرشيف Vincennes .

وهاتين الرسالتين اللتان استهل بهما المؤلف كتابه الوثائقي هما الوحيدتان المؤرختان في طولون قبل مجيء الحملة لمصر . أما الرسالة الثالثة فهي تلك الرسالة المرسلة من كليبر إلى الجنرال برتييه Berthier في ٦ يوليو ١٧٩٨ بالإسكندرية وبعد أن نزل بها الفرنسيون .

والمجلد الأول لا يضم سوى لوحة واحدة ووثيقتان فقط بالإضافة إلى خريطتين[١] أما المجلد الثاني فيضم أربع لوحات وخريطتين[٢] ، على أن قائمة الإيضاحات والخرائط بالمجلد الثاني والمتمم للمجلد الأول أشارت إلى اللوحة رقم (١٧) ضمن صفحات المجلد الأول وليس ضمن صفحات المجلد الثاني (ص ٤٥٢) ، وربما هذا الخطأ التنظيمي وقع فيه المؤلف دون قصد أثناء العمل الطباعي للمجلدين معا[٣] مما لا يقلل من الجهد العلمي المبذول في هذين المجلدين ، والمجلدان يضمان وثائق وأوراق كليبر الشخصية ابتداء من ١٥ فلوريال من السنة السادسة إلى ٤ فندمير من السنة

---

(١) Ibid , T .I , pp. 40 ,200 , 238 , 342 .
(٢) Ibid , T.II , pp 452 , 492 , 508 , 512 , 576 .
(٣) Ibid , T.II , P. 576 .

السابعة ويستغرق هذا العرض الوثائقي الشيق الصفحات (١٠٣ – ٥٥٩) وينقسم هـذا الجزء إلى :

١ – مذكرات كليبر (الصفحات ٥٣٣ – ٥٤٢) .

٢ – ملاحظات خاصة (الصفحات ٥٤٢ – ٥٤٣) .

٣ – الانسحاب من عكا (الصفحات ٥٤٣ – ٥٤٦) .

٤ – أفكار متفرقة بدون أوامر عسكرية (الصفحات ٥٤٦ – ٥٥٨)[١] .

٥ – كافاريللى (الصفحات ٥٥٨ – ٥٥٩) .

وفى نهاية المجلد الأول نجد فهرسا ببلوجرافيا إحصائياً مرتباً ترتيباً أبجدياً لما ورد بالمجلدين الأول والثاني من المواقع ، والسفن ، والأعلام ، والوثـائق الخاصـة بمعركة أبو قير ، ومدن عكا ، ودمنهور ، والرحمانية ، ودمياط ، والقاهرة ، ورشـيد ويشمل الحديث عن : منو ، ومحمد كريم حيزاً كبيراً من المجلدين ، مما ييسر مهمة الباحث في العثور على الوثائق التي يبتغيها دون عناء يذكر[٢] .حيث أن المجلد الثاني يضم ١٨٣ وثيقة بمفرده عدا المجلد الأول .

أما المجلد الثاني من كتاب هنري لورانس فيقع تحت عنوان : كليبـر وبونـابرت Kléber et Bonaparte 1798 – 1799. وهو أصغر المجلدات الأربعة حجما إذ لا يزيد عدد صفحاته عن ٢٣٣ صفحة (ص ص ٣٤٣ – ٥٧٦) عدا قائمة الإيـضاحات والخرائط والفهرس ، وهو تكملة للمجلد الأول حيث يغطى الفترة التي صـاحب فيهـا الجنرال كليبر قائده بونابرت في مصر وقبل مغادرة القائد العام للبلاد عائـدا لفرنـسا تاركا أمر قيادة الحملة لكليبر ، وهذا المجلد كما يستهله المؤلف بأنه يحـوى الوثـائق والأوراق الشخصية لكليبر استمرارا للمجلد الأول (طبع المعهـد الفرنـسي للآثـار الشرقية بالقاهرة ، ١٩٨٨) ، وملحق به خريطتين من الحجم الكبير : الأولى لمـصر

---

(١) الجزء الخاص بالجنرال كافاريللى يبدأ من صفحة ٥٥٨ وليس من صفحة ٥٥٩ كما ورد بفهرس الموضوعات بالمجلد الثانى
Vois , Ibid , T-II .

(٢) Ibid , T. Iv, p. 558 .

السفلي (الوجه البحري) وسوريا (ساحل بلاد الشام) ، وكذلك جزيرة قبرص في شرق البحر المتوسط ، أخذها المؤلف عن كتاب حملة مصر L' Expédition d'Egypte للكونت دى لاجونكيير (المجلد الرابع) طبقا للخريطة التي رسمها شارل بولتر Ch. . paultre ، أحد ضباط مدفعية حملة مصر ومساحتها ٤٥ x ٤٤ سم وهذه الخريطة من الدقة بحيث يمكن الاعتماد عليها في تحديد مواقع المدن الهامة والقرى الكبرى في الوجه البحري وساحل بلاد الشام ، أما الخريطة الثانية فهي خريطة حربية رسمها المهندسون العسكريون لطبوغرافية الموقع الذي شهد العمليات الحربية ضد القوات العثمانية في بلاد الشام للمنطقة الواقعة بين ولاية عكا Saint Jean d'Acre وغرب نهر الأردن ، وهى رفع طبوغرافى لهذا الموقع من جبال وسهول وأنهار وبلاد ومدن هامة من جبل نقورة في الشمال الغربي إلى باشوية عكا في الجنوب الغربي على ساحل البحر المتوسط وحتى وادي نهر الأردن في الشمال الشرقي مرورا ببحيرة طبرية ثم نهر اليرموك حتى مرتفعات بيسان في الجنوب الشرقي والمناطق الجنوبية الشرقية من وادي نهر الأردن الخاضعة لباشوية عكا ، وقد سجلت بيانات تلك الخريطة باللغتين الفرنسية والعربية في آن واحد ، وهى أكبر حجماً من الخريطة الأولى إذ أن مساحتها ٥٣,٥ × ٥٤ سم .

ويحتوى هذا المجلد (الثاني) على أربع لوحات من الصور رسمها فنانو الحملة: الأولى للجنرال بونابرت وهيئة أركان حربه في معركة تل طابور (١٦ أبريل ١٧٩٩) وقد صورت فوتوغرافيا بفرنسا عام ١٨٠٨ م ، أما الثانية فهي للجنرال كليبر يخاطب قائده العام بونابرت في يوليو ١٧٩٩ قائلا له : إنك عظيم كالدنيا , Vous ete " grand Comme Le monde "

أما اللوحة الثالثة فتمثل الجنرال بونابرت وهو يلوح بيديه لمرافقيه على ساحل الإسكندرية وهو يهم بركوب أحد القوارب الرابضة على الشاطئ لنقله إلى السفينة التي ستنقله إلى فرنسا ، أما اللوحة الأخيرة فتمثل الجنرال كليبر بقامته الطويلة وملامحه

الصارمة وجسده الضخم يحمل سيفه بيده اليمنى متكئاً بيده اليسرى على ظهر جواده وهى مصورة عن اللوحة المحفوظة بمتحف قلعة فرساي[١] .

على أن أهم وثيقة يحتويها هذا المجلد (الثاني) هو ذلك المنشور الدوري الصادر في ٩ فركتيدور من السنة السابعة (٢٦ أغسطس ١٧٩٩) عن القائد العام لجيش الشرق الجنرال كليبر إثر توليه القيادة العامة ومغادرة الجنرال بونابرت مصر، ويضم هذا المجلد نحو (٢٧٢) وثيقة من الرسائل الموجهة من كليبر إلى قواد الحملة بعد أن أصدر بونابرت قراره ببقاء كليبر قائدا على منطقة الإسكندرية ورشيد وحتى يتم علاجه بعد جرحه أثناء الهجوم على أسوار الإسكندرية ، ومنها ما يختص بتنظيم إدارة الإسكندرية الحربية والمالية[٢] ، والأوامر اليومية الموجهة لجنوده من ذلك الأمر اليومي الصادر في ٢٦ مسيدور (١٤ يوليو ١٧٨٩) والذي يشتمل على ست مواد يحذر فيها قواته من الاعتداء على ممتلكات السكندريين وأرواحهم ومساجدهم وحرماتهم بعد اغتيال أحد الجنود الفرنسيين في اليوم السابق وإلقاء جندي آخر في البحر بأيدي السكندريين[٣] ومراسلاته مع القائد بونابرت بالقاهرة ، ومع شريف الإسكندرية السيد محمد عبد الكريم ، والجنرال منو Ménou قائد رشيد .

وبعض هذه الوثائق عبارة عن قوائم للإنفاق المالي على قوات منطقة الإسكندرية العسكرية بناء على طلب الجنرال كليبر ، وقد أرفق لورانس بعض الوثائق الخطية للجنرال كليبر قائد الفرقة Kléber Général de Division وهى أفضل خطاً من مثيلاتها المكتوبة بيد الجنرال بونابرت .

وعموما فإن هذا المجلد يلزم الباحث في تاريخ الحملة الفرنسية ، وتاريخ مدينة الإسكندرية وإقليم البحيرة خلال فترة قيادة كليبر للإسكندرية مثل قرار القائد العام

---

(١) Ibid ,T . II , pp. 492 , 508 ,512

(٢) Ibid , pp .T .I , 109 -112 .

(٣) Ibid ,p. 123 .

الصادر في ٩ ترميدور من السنة السابعة بشأن ديوان الإسكندرية المؤسس بقرار يتكون من (١٤) مادة حيث ترأس هذا الديوان الشيخ محمد المسيرى[١] .

وقد شغلت مراسلات كليبر إلى القائد العام بونابرت حيزاً كبيراً من المجلد ومن خلالها يستطيع القارئ أن يتعرف على أخبار مصر ومنطقة شمال غرب الدلتا على وجه التحديد ، وينتهى هذا المجلد بإحدى هذه المراسلات المؤرخة في أول فندمبير من السنة السابعة (٢٢ سبتمبر ١٧٩٨ م) ، ورد بونابرت عليه من القاهرة في ١٣ فندمبير من نفس السنة (٤ أكتوبر ١٧٩٨) ومن خلالها نتعرف على أوامر بونابرت بشأن توزيع قادته على الأقاليم المصرية المختلفة لقمع الثورات بها وتحركات الجنرال ديزيه Désaix في الصعيد ؛ الذي بلغ أسيوط يطارد المماليك بها

ويضم المجلد خريطتان بحجم ٢٠×٤٨ سم : الأولى لمنطقة إنزال الجيش الفرنسي في الإسكندرية ، والثانية لمينائي الإسكندرية والمدينة العربية وهما مأخوذتان عن كتاب الأطلس التاريخي لمدينة وميناءي الإسكندرية PL.XXII ، PL.VII

كما يضم المجلد لوحة ووثيقتان ، أما اللوحة فتمثل الجنرال بونابرت وهو يسلم حاكم الإسكندرية (السيد محمد عبد الكريم) سيفه بعد استسلام المدينة للفرنسيين (يوليو ١٧٩٨) ، أما الوثيقة الأولى التي يضمها المجلد فهي مأخوذة من وثائق كليبر وهى رسالة مؤرخة ٢٤ ترميدور من السنة السادسة ومرسلة إلى الجنرال منو في رشيد ، أما الوثيقة الثانية فهي مؤرخة في ٣ فركتيدور من السنة السادسة ومرسلة كذلك إلى الجنرال منو في رشيد[٢] .

أما المجلد الثالث فيقع تحت عنوانه " كليبر ، القائد العام ١٧٩٩- ١٨٠٠" Kléber , Commandant en Chef 1799 -1800 ويعد بمثابة المجلد الأول لفترة

---

(١) Ibid , pp.238 – 243 .
(٢) Ibid ,T.I , pp. 40 , 200 . 238 .

قيادة كليبر والتي تشغل مساحة المجلدين الثالث والرابع (الأخير) من هذا العمل الوثائقي الهام .

وهذا المجلد يستقل بنشاط كليبر السياسي في مصر ويقع في 506 صفحة ، ويضم بين دفتيه (٤٨١) وثيقة أغلبها يحمل الكود B6 - 113 ، ثم B6111 وبعض هذه المادة الوثائقية نشرته جريدة كورييه دى ليجبت Courrier de L'Egypte التي طبعت في مصر مع مجيء الحملة إلي مصر .

ويستهل "لورانس" مجلده الثالث بكلمة "تنبيه Avertissement" يؤكد فيه على أن هذا العمل الوثائقي هو استكمال للجهد الذي قام به دى لاجونكيير والذي توقف عند رحيل بونابرت من مصر ، كما أنه لا يتعارض مع الروايات العربية لنقولا الترك وعبد الرحمن الجبرتى ، بل إنه يعد استكمالاً وتكملة لما أورداه عن فترة قيادة كليبر .

ويقول لورانس أنه قام بجمع مادته الوثائقية التي أتيحت له وكل ما يتعلق بالجنرال كليبر في فترة قيادته لجيش الشرق ، والتي تشمل مراسلاته الهامة والخطابات الموجهة إليه من الآخرين والتي غطت بشكل مفيد كل الأحداث الهامة لهذه الفترة ، مثل مفاوضات اتفاقية العريش طبقا لما سجله كليبر بنفسه ، وما جاء في التقارير البريطانية عن أحداث الأيام السابقة على معركة هليوبوليس والتي نفهم من خلالها الحالة النفسية للقائد العام وأحداث ثورة القاهرة الثانية التي أصبحت ضرورية ولازمة لاستكمال روايات الجبرتى عن هذا الحدث ، وخاصة فيما يتعلق بمراسلات الجنرال منو مع القائد العام كليبر ، والتي ألقت الضوء على الخلاف في وجهات النظر المتباينة بين الرجلين، والتي أكدتها فيما بعد مذكرات تاليان Tallian والتي كشفت اللثام عن تلك الشخصية الهامة في عصر الثورة الفرنسية وما نشره روسو Rousseau من وثائق مختارة تخص كل من كليبر ومنو في باريس عام (Kléber et Menou , Paris , 1900) ومن هنا تطابقت بعض الوثائق في أكثر من مصدر منها هنري لورانس في كتاب " حملة مصر، باريس ، L'Expédition d'Egypt , paris , Armand Colin , " 1989 ومنها بعض النصوص الجوهرية في حملة مصر خلال فترة قيادة الجنرال منو

وينوه لورانس إلى أن المصدر الرئيسي الذي استفاد منه هي تلك المجموعة التي الخاصة بالقسم التاريخي للقوات البرية الفرنسية (الجيش B6تحمل الرقم الكودي Archives du) والمحفوظة بأرشيف قلعة فنسن L'Armée de Terre البرى château de Vincennes .

ويلي هذا الجزء الاستهلالي للمجلد ملحوظتين هامتين Notes أو تعليقين :

التعليق الأول : تحت عنوان : النقود المستعملة في مصر Les Monnaies utilIsées en Egypte قائلا إن القطع المعدنية المسكوكة من النحاس كانت قيمتها غير ثابتة حسب حجمها وتاريخ صناعتها ، فلم يكن هناك تطابق تام بين العملات المضروبة في البلاد .

أما التعليق الثاني الذي استهل بها الباحث مجلده الثالث فيقع تحت عنوان : الكتابات المستخدمة في مصر Les Graphies Utilisées فيقول الباحث إن مبادئ الهجائية المستخدمة بسيطة ورقيقه لمستخدميها أو المتحدثين الأصليين بها. وكان على كاتبي الحملة الفرنسية القيام بضبط تلك الهجائية وجعلها أكثر سهولة ويسر للقراءة لأن عمليات ضبط الهجاء والإعراب كانت من الصعوبات التي تحتاج إلى التذليل ، وفي جميع النصوص الواردة في هذه المجلدات فإن قراءة أسماء الأعلام مختلفة تماما بالنسبة للأوروبيين ، فالأعلام والمصطلحات الشرقية تحتاج إلى كثير من الضبط ليفهمها الأوروبيون .

ويطالعنا (لورانس) بأول وثيقة في هذا المجلد وهى عبارة عن المنشور الأول للجنرال كليبر والتي وجهها لجيش الشرق بصفته القائد العام خلفا لبونابرت بعد أن سافر إلى فرنسا تاركا جنود الحملة في مصر دون أوامر من الحكومة الفرنسية (الديركتوار) ، أو إخطار خلفه كليبر بما عزم عليه عند مغادرة البلاد .

وفى هذا المنشور المؤرخ في القاهرة يوم ١٤ فركتيدور من السنة السابعة للجمهورية (٣١ أغسطس ١٧٩٩م) يخاطب القائد العام الجديد جنوده بقوله : " لقد كانت هناك دوافع قوية أجبرت القائد العام بونابرت للسفر إلى فرنسا ، رغم الأخطار

المحدقة بنا وصعوبة السفر بالبحر .... وإن الذين يعرفون منكم مبلغ اهتمامه بنجاح الحملة ، عليهم أن يقدروا الدوافع القوية التي دعته للسفر ، وإننا سنكون محل اهتمامه وعلينا أن نملأ الفراغ الذي تركه القائد العام بمضاعفة الجهد ، والعمل والتعاون ..... أيها الجنود : لا يخامركم شك في أن متطلباتكم الملحة ستكون على الدوام شاغلي الأوحد "[١] .

وبهذه الكلمات المشجعة للجنود اختتم كليبر منشوره الأول لقواته وكان الجنرال بونابرت قد أعلن قبل سفره يوم ٥ فركتيدور (٢٢ أغسطس) أنه قرر السفر لفرنسا بناءً على الأخبار التي وردت إليه من فرنسا ، وترك القيادة العامة للجنرال كليبر ، واعداً الجيش الفرنسي أنه سوف يكون على اتصال دائم بأفراده[٢] .

ولقد واجه كليبر في بداية عهده الجديد كثير من الصعوبات الاقتصادية التي اعترضت مسيرة الحملة ، ويعبر عن هذه الحالة رسالة الجنرال دوجا Dugua – قائد منطقة القاهرة إلى المواطن باراس Barras – المدير المالي ، قائلاً : إنني كتبت إليك عدة مرات منذ وصول جيش الشرق للبلاد ... شارحا لك الصعوبات التي تواجه قواتنا في مصر بعد رحيل القائد العام ، فالجيش ظل لمدة ثلاثة عشر يوما بدون قائد ... وأصبحت خزانة الجيش خاوية ..... "[٣] .

ويعبر القائد العام الجديد في ثاني رسالاته إلى المواطن بوسييلج Poussielgue– مدير المالية للجيش الفرنسي والمؤرخة في ١٦ فركتيدور من السنة السابعة (٢ سبتمبر ١٧٩٩) عن ضرورة العمل بلا انقطاع لزيادة الموارد المالية من كل الأقاليم المصرية المختلفة[٤] .

---

(١) Courrier de L'Egypte , No . 37.
(٢) Ibid , No . 37 .
(٣) Laurens , op.Cit , T.III , p 6 .
(٤) Ibid , P .8 .

أما عن موقف كليبر من الديوان وأعضائه فقد أعلن في رسالته لهم يوم ١٧ فركتيدور من السنة السابعة (٣ سبتمبر ١٧٩٩) في أول اجتماع له بعد توليه القيادة العامة عن سياسته الجديدة في حكم البلاد ، طبقا لما أوردته جريدة الكورييه وبعدما تحدث الشيخ محمد المهدى باسم أعضاء الديوان معرباً عن أسف أعضاء الديوان ممثلي الشعب المصري لسفر الجنرال بونابرت ، وراجيا من القائد الجديد أن تنعم البلاد في ظله بالعدالة والاستقرار ، وقام كليبر بدوره بحث العلماء على العمل وأن يطمئنوا على حسن سير العدالة ، وأخبرهم أنه مكلف من قبل الحكومة الفرنسية بالعمل على سعادة الشعب المصري ، والتأكيد على احترام الدين ، والعادات والتقاليد ، وفى سبيل تحقيق هذا الغرض سوف يجابه الأشرار بالعنف ، ولسوف يسلك طريق العدل بين الناس ، وأكد كليبر في نهاية اجتماعه بالديوان على أنه سيظهر نواياه الحسنة من خلال أفعاله لا أقواله[١] .

وتوالت أوامر الجنرال كليبر في بداية عهده إلى قواد الأقاليم لإعادة ترتيب أوضاع القوات الفرنسية ، وإتمام تحصينات الإسكندرية والعريش والبرلس وأبى قير ودمياط ، وهى الأماكن التي يستطيع العدو إنزال قواته بها على الشواطئ الشمالية ، طبقا للتعليمات التي تركها الجنرال بونابرت قبل مغادرته البلاد[٢] .

ولعل رسالات كليبر إلى الجنرال منو قائد منطقة الإسكندرية التي يخبره فيها نبأ تعيين الجنرال (الشجاع) رامبو Rampon ليحل محل الجنرال ديستان Déstaing الذي أصبح فيما بعد قائداً لمنطقة الرحمانية ، بهدف إعادة ترتيب أوضاع منطقة الإسكندرية باعتبارها المنفذ الرئيسي للبلاد .

---

(١) Ibid, T. III . p14 , Courrier de L'Egypte , No . 38.

(٢) محمد فؤاد شكرى : الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، د . ت ، ص ص ١٤٢ - ١٤٣ .

والرسالة الثانية إلى الجنرال زايونشك Zayonchek – في بنى سويف في نفس اليوم ٤ سبتمبر ١٧٩٩ (١٨ فركتيدور من السنة السابعة) التي يؤكد له فيها على إرسال مبلغ ١٥٠ ألف ليرة لتدبير احتياجاته المالية .

وبعد انتهاء معركة أبى قير البحرية قبل رحيل بونابرت ، عرض مدير المالية للحملة على الأتراك افتداء حسين أغا بمبلغ خمسة آلاف تالارى ، ومصطفى باشتيلى المسجون بالقلعة بالقاهرة بمبلغ أربعة آلاف وخمسمائة تالارى.

ولم يغفل القائد العام في أمره اليومي في ١٦ سبتمبر ١٧٩٩ (٣٠ فركتيدور من السنة السابعة) للجيش أن يقوم بتحديد حجم الجراية اليومية للفرد المحارب من قواته والتي ستصبح ابتداء من أول فندمبير الثاني ٤ أونز من اللحوم ، ٢ أونز من الأرز وأربعة أونز من الخضروات ، كما قام بتحديد أجور العمال والجمالين الذين يتعاملون مع الفرنسيين[١] . وفى رسالته في ذات اليوم لمسئول البحرية في الإسكندرية لروى Le Roy طالب بضرورة إجراء الإصلاحات لبعض القطع البحرية وخاصة الفرقاطات وتأمين السواحل الشمالية في موانئ الإسكندرية ورشيد ودمياط[٢] .

كما قام بتوجيه أوامره إلى الجنرال منو في نفس اليوم (١٦ سبتمبر) لإجراء بعض التنقلات لكبار القادة بموقع الإسكندرية وإمداده ببعض القادة الأكفاء وعلى رأسهم مساعد الجنرال موران Morand – قائد الفرسان للعمل تحت قيادة منو وقائد فرق المهندسين سانسون Sanson ، واستدعاء البعض إلى القيادة العامة بالقاهرة[٣] ، وفى نفس الوقت الذي طالب فيه كليبر من الصراف العام للجيش أن يعهد إلى صراف الإسكندرية بتولي مهام المصروفات اللازمة لمواقع الإسكندرية طبقا للأوامر الصادرة إلى الجنرال منو[٤] .

---

(١) Laurens , Op.CiT, T.III , p. 62.
(٢) Ibid , P .64
(٣) Ibid, p. 66.
(٤) Ibid , P .69 .

ومن منطلق اهتمام كليبر بتحسين ثغور البلاد المصرية ومواقعها الاستراتيجية الهامة فقد حرص على تأمين ثغور العريش وقطية تحت قيادة الجنرال رينيه Reynier وهو من أكفأ القواد الفرنسيين ، وتحصين دمياط باعتبارها المدخل الشمالي الشرقي للدلتا بعد أن علم القائد العام باستعدادات الأتراك في سوريه تمهيدا لغزو مصر(١)

وقد استعان لورانس في هذا المجلد ببعض الوثائق الصادرة عن حكومة الإدارة في فرنسا والتي تتعلق بأحوال مصر وبلاد الشام إبان عهد قيادة كليبر ، ومن ذلك رسالة وزير الخارجية رينهارد Reinhard إلى القائد العام بونابرت والمؤرخة في باريس بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٧٩٩ (٢ كومبليمنتير من السنة السابعة) والمحفوظة بأرشيف فنسن تحت رقم B631 والتي نشرها Boulay La Meurthe في كتابه حكومة الإدارة وحملة مصر Le Directoire et L'Expédition d' Egypte والمنشور في باريس عام ١٨٨٥ ، حيث يقول لورانس إن هذا النص يشير بأن كليبر لم يكن لديه أي أخبار عن الحالة في فرنسا ، بعدما حاولت حكومة الإدارة في باريس إجراء مفاوضات مع الحكومة التركية من خلال السفير الأسباني في القسطنطينية المسيو بولينى Bouligny بشأن الجلاء عن مصر حيث لقي كل التسهيلات من الباب العالي في هذا الشأن(٢) .

وفى رسالته للجنرال ديزيه Désaix في أسيوط استعرض القائد العام أحوال حملة الصعيد بعد مكاتبات ديزيه السابقة له ، فيقول القائد العام لديزيه " إنني راض تماما عن الأخبار التي وصلتنا منكم بشأن الموقف الحربي والإداري للحملة في جنوب مصر " ولقد أرسلت لكم بعض القطع الضخمة من المدافع من أجل إخضاع القصير ، وقد أصدرت أوامري للجنرال منو لكي يوجه أحد الطوابير المتحركة نحو البحيرة للبحث

---

(١) Ibid , PP .70 – 71.
(٢) Ibid , P .73

وتتبع أثر مراد بك ، وسوف يتابع الصراف العام للحملة مع الصراف المتواجد لديكم لسد احتياجاتكم المالية الضرورية "[١] .

وفى هذه الآونة خاطب كليبر الصدر الأعظم في استانبول مستقبلا خطابه بالدعاء له بطول العمر ، مذكراً إياه بمراسلات القائد العام بونابرت معه قبل رحيله عن مصر، وكان بونابرت الذي أصبح القنصل الأول في فرنسا بعد انقلاب برومير ١٧٩٩ قد تعذر عليه أن يفي بتعهداته نحو إرسال النجدات لقواته بمصر ، نتيجة الحصار الشديد الذي فرضته البحرية الإنجليزية على السواحل المصرية ولذلك آمن الجنرال كليبر بوجوب إنهاء حالة الحرب مع الأتراك والسعي لعقد صلح مشرف للجمهورية مع تركيا وإنجلترا وإخلاء مصر ورحيل قواته عن البلاد ، خاصة وأن بونابرت قد فتح له الطريق نحو التفاوض مع الأتراك ، وسمح له بذلك إذا لم يكن بمقدوره المحافظة على وضعة الحربي القوى بمصر ، ومن هنا حاول كليبر جاهدا إثناء تركيا عن إصرارها على بقاء حالة العداوة بينها وبين فرنسا مدعيا أن حملة مصر لم تستهدف فصل تلك البلاد عن السيادة العثمانية ، عازفاً على نفس النغمة التي بدأها بونابرت في أول منشور أذاعه على المصريين من أن الحملة تستهدف القضاء على شافة المماليك الذين نهبوا خيرات مصر وأذلوا أهلها ، كما تستهدف بريطانيا التي تسيدت البحار الشرقية نحو الهند وأطماعها المستمرة[٢] .

وقد واجهت فرنسا في سبيل تحقيق هذا الهدف كثير من المصاعب من جانب إنجلترا والدولة العثمانية ، ولعل التقرير الذي نشر لورانس جزءاً منه يوضح ذلك والخاص بخزندار – مصطفى باشا على أغا والذي كان يدعى من قبل سر عسكر دارمون هرمون Seraskién d'Ahramon والذي أُسر في معركة أبو قير البرية وأصبح سجين القلعة . وفى هذا التقرير يقول الخزندار أنه بعد أن أسر مصطفى باشا في أبى قير بأيدي الفرنسيين جرى اتصال بينه وبين القائد العام بونابرت وقد عاتب

---

(١) Ibid , PP .79 - 80 .

(٢) Vois à Cette Lettre : Kléber au Grand Vizir ; Ibid , PP .83 –89 .

الباشا القائد العام على غزو بلاده لمصر والذي يتعارض تماما مع سياسة فرنسا تجاه الباب العالي ، وقد تحدث معه بشأن القوات الهائلة القادمة لمصر تحت قيادة الصدر الأعظم على ظهر الأسطول ، والتحالف التركي مع روسيا وبريطانيا ، وقد أجابه بونابرت بأن الحملة على مصر لم تستهدف عداوة الباب العالي ، ورد عليه مصطفى باشا بأن غزو مصر لم يتم برضاء الباشا على الإطلاق ، وقد حرص بونابرت قبل مغادرته مصر على زيارة الباشا أكثر من مرة في سجنه بالقاهرة ، وبحث معه الوسيلة المناسبة لعودته لتركيا والتفاهم معه بشأن السلام مع الباب العالي ، واقترح الباشا أن يقوم رشدي محمد أفندي أحد الضباط الأتراك بالاتصال مع الفرنسيين نيابة عنه ، وفى هذا التقرير الخاص بعلي اغا يستعرض أحداث أبى قير وموقف الفرنسيين وقائدهم الأعلى واستعداده الحربي للمواجهة الحاسمة مع الأتراك ، ثم استعداده السري للرحيل عن مصر بسرعة فاضطر إزاء ذلك إلى أن يترك رسالة لخليفته الجنرال كليبر قائد دمياط ليتولى القيادة العامة خلفا له .

وتناول التقرير محاولات كليبر استمرار التفاهم مع الأتراك وممثلهم مصطفى باشا بالقاهرة من أجل الوصول إلى صيغة السلام الدائم معهم ، كما أبدى كثيراً من الود والصراحة مع الباشا العثماني مؤكداً على أن الغزو الفرنسي كانت له مبرراته التي أوردها بونابرت في منشوره الأول على المصريين مدعيا ظلم البكوات المماليك للتجار والقناصل الفرنسيين بمصر كما أن أحمد باشا الجزار أساء للقنصل الفرنسي في عكا ولعل هذه الأسباب التي أدت إلى غزو بونابرت لمصر ، كما كررها كليبر على أسماع مصطفى باشا ، الذي حرص على أن يؤكد حرص بلاده على عودة السلام بين فرنسا والباب العالي ، وأكد كليبر في مراسلاته العديدة مع الأتراك على رغبته في توقيع معاهدة للجلاء عن مصر ، وبناءً عليه فقد أرسل الباشا بهذا المعنى للباب العالي مؤكداً لكليبر على أنه يجب التشاور مع بريطانيا.

ولعل هذا التقرير التركي يؤكد حرص القيادة الفرنسية الجديدة على التفاهم السلمي مع الباب العالي بشأن مصر . كما يؤكد على أن الدولة العثمانية لم تكن تعمل بمفردها

بدأت منذ الآن تضع مصر في بؤرة الأحداث العالمية وهى البدايات الأولى لظهور ما عرف في السياسة الدولية بالمسألة المصرية "Egyptian Question" . ويعلق هنري لورانس على هذا التقرير قائلا : يبدو أن محمد رشدي أفندي كان رسولاً ثانياً والذي كان يشغل وظيفة خازندار (أمين المخازن) لمصطفى باشا قائد حملة أبو قير ، وقد حمل نسخة ثانية من هذا التقرير في أول برومير من العام الثامن (٢٣ أكتوبر ١٧٧٩)، ويوجد نسخة هامة من هذا النص (التقرير) محفوظ بالأرشيف البريطاني تحت رقم (F.O. 7824) والتي تكشف اللثام عن موقف الجيش الفرنسي في مصر وعلاقاته بالإنجليز والعثمانيين .

وتوجد بعض الكلمات المفقودة تماما من النص الأصلي التي أشار إليها لورانس بعبارة " مفقودة في النص الأصلي "[١] .

أما التقرير الآخر الذي نشره لورانس في اليوم السادس من كومبليمنتير من السنة السابعة (٢٢ سبتمبر ١٧٩٩) فهو ذلك التقرير الصادر عن القائد العام كليبر إلى الإدارة التنفيذية بالقاهرة وفيه يقول كليبر : إن الجنرال ديزيه Désaix قائد حملة الصعيد أبلغه أن مراد بك اتجه منذ ٢١ ترميدور الحالي من الواحات قاصداً أسيوط ، ثم عاد مرة أخرى نحو الغنائم وكان يلاحقه قائد الفرقة موران Morand والتحم معه في معركة قتل فيها عدد كبير من المماليك منهم أحد الكشاف واستولى الفرنسيون على ثمانية جمال من المماليك .

ويصف القائد العام بناءً على التقارير الواردة إليه من ديزيه Désaix بالصعيد تفاصيل العمليات الحربية بين موران والمماليك تحت قيادة مراد بك ، والتي شهدت الصحراء الغربية جزءاً منها وخاصة في ليلة ١١ أغسطس قرب سمهود حيث منى فيها المماليك بخسارة فادحة[٢] .

---

(١) Ibid , T.III , P. P 90 - 94.
(٢) Ibid , P P .90 - 94 .

وتشير المصادر الفرنسية والعربية أن هذه المعركة الهامة حدثت في يوم ٢٢ يناير ١٧٩٩ في سمهود على الضفة الغربية للنيل[١] بعد هزيمة مراد بك في طهطا محاولاً تعويض هذه الهزيمة وبعد تصالحه مع زعماء المماليك الآخرين حسين بك الجداوى وعثمان بك حسن وانضمام عرب بلاد الحجاز من ينبع وجدة إليه بعد عبور البحر الأحمر نحو القصير ومنها إلى قنا لمساندة إخوانهم المصريين[٢]

ومن الواضح أن أخبار الصعيد كانت تصل متأخرة إلى القاهرة لأن هذه الرسالة تضمنت أنباء الهجوم الفرنسي على القصير واحتلاله في ٢٩ مايو ١٧٩٩ باعتباره الثغر الأوحد على البحر الأحمر الذي يأتي من خلال المدد البشرى من بلاد الحجاز إلى صعيد مصر وظهور فرقاطتين بريطانيتين بالقرب من ميناء القصير تحملان قوات مستعدة للنزول على الشاطئ ، وبعد أن قامت الفرقاطتان بإطلاق نيرانها طوال ليلة ٢٨ مايو على القوات الفرنسية القريبة من الشاطئ .

وقد استطاع الإنجليز من إنزال نحو ٣٠٠ رجل على الشاطئ ، حيث تصدي لهم الجنرال دونزيلو Don Zelot بقواته التي أخفاها في المقابر القريبة من البحر وفي الوادي المتاخم للصحراء وتحمل النيران المستمرة من الإنجليز والتي لم تستمر طويلا بعد إطلاقهم نحو ستة آلاف قذيفة من النيران على الميناء ، ويستمر هذا التقرير في وصف المعركة وصفا دقيقا بعد مغادرة الفرقاطات للميناء ومقدرة القوات الفرنسية علي احتلال القصير تحت قيادة دونزيلو الذى شاركه كثير من الضباط الفرنسيين منهم فاليت Valette، ولاجار Lagarde ، وجريسان Gressin ، وباشيلو Bachelu ، قائد المهندسين ورافيه Ravier ، وليبريتو Lebreton ، والجنرال فريان Friant الذي أبدى شجاعة فائقة في حملة جنوب مصر[٣] وكافأهم الجنرال بونابرت ومعه كلا من الجنرال ديزيه والجنرال بليار على حسن بلائهم في معارك الصعيد بإهدائهم سيوفا

---

(١) سمهود هي إحدى القرى التابعة لمركز نجع حمادى حاليا بمحافظة قنا .

(٢) De La jonquiére ; L'Expédition d'Egypte 1798 – 1801 , T . 3 , paris , 1804 , PP 226 – 228.

(٣) Laurens , OP.Cit T. III PP .94 - 96 .

مكتوباً عليها " معركة أبنود فتح القصير "[١] الذي اعتبره الفرنسيون مفتاح الوجه القبلي لأهميته الاستراتيجية على البحر الأحمر .

ويعلق الباحث على هذه الوثيقة على أنها محفوظة بالأرشيف الفرنسي في Vincenne تحت رقم، B6113 B631 ، ولذلك وجب على الباحثين في تاريخ الحملة الاطلاع على ما يعنيهم من هذه الوثائق بهذا الأرشيف لسد القصور الناتج عن الاعتماد على الأرشيف المصري فقط لأن الدراسات المصرية المنشورة عن احتلال القصير وغيرها من الأحداث الهامة في عصر الحملة تحتاج إلى المزيد من التعمق والدراسة التاريخية المتأنية التي تعتمد على المصدر الوثائقي في المقام الأول .

وفى الاحتفال بعيد الجمهورية الثامن يخاطب القائد العام جنوده مهنئاً لهم بانتهاء العام السابع للجمهورية وبداية العام الثامن مطالبا إياهم بالوقوف خلف أهدافها والدفاع عن مبادئها في مختلف الأنحاء ضد أعدائها المتربصين بها[٢] ، وكليبر في هذا المنشور يعضد مبادئ الجمهورية التي آمن بها من قبل سائراً على نهج بونابرت في الإيمان المطلق بمبادئ الثورة ، ولكنه اختلف معه في وجوب بقاء جيش الشرق بمصر.

وهذه الوثيقة رغم وجود أصلها في الأرشيف الفرنسي تحت رقم B631 إلا أنها نشرت في حينه في جريدة Courrier de L'Egypte بالعدد 39 .

وخلال هذه الاحتفالات نجد أن وثائق كليبر تكشف عن مدى تخوفه من أنباء استعدادات الصدر الأعظم في سوريا للاتجاه بجيشه نحو مصر ولعل رسالتيه إلى الجنرال رينيه Reynier وإلى الجنرال ديزيه Désaix في صعيد مصر تنبىء عن هذا التخوف ، إذ أخطره القائد العام في حالة تركه لقيادة حملة الصعيد أن يتولى بدلا منه الجنرال فريان Friant – قائد منطقة أسيوط ، وكذلك يصبح الجنرال بليار Belliard قائدا للمنطقة الثانية في بنى سويف ، وكان الهدف من هذه التغييرات القيادية هو

(١) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية ، ج١ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٧ ، ص ٣٩٥
(٢) Ibid , P .97.

الاستعداد لمواجهة الجيش التركي القادم لمصر[١] . كما قام بمكاتبة مدير مالية الحملة بشأن بعض المخالفات المالية والشكاوى ضد بعض المواطنين الفرنسيين ومطالبته بإصلاح أحوال جمرك السويس[٢] .

كما طالب مدير البحرية بالإسكندرية في يوم ٢٨ سبتمبر ١٧٩٩ (٦ فندمير من السنة الثامنة) بتنفيذ الأمر الصادر إليه بإرسال مبلغ خمسين ألف ريال كل شهر ويطالبه باستمرار الإشراف على دخول وخروج السفن التجارية والزوارق وضرورة بقاء الاتصالات المستمرة مع فرنسا ، ويخبره بأنه أصدر أوامره إلى الجنرال منو قائد المنطقة – بزيادة تسليح موقع الإسكندرية وبعض الزوارق الحربية[٣] ، فقد كان استعداد كليبر عظيما تجاه قدوم الأتراك من جهة الشرق ، ففي نفس اليوم (٢٨ سبتمبر) أرسل للجنرال منو بتعليماته في هذا الصدد قائلا له : لقد وصلتني في التو رسائل من فردييه Verdier يومي ٣ ، ٥ فندمير يقول : إن عدداً ضخما من أفراد العدو (الأتراك) اتجهوا من سوريا نحو دمياط وأنهم تقدموا بأساطيلهم أمام بوغاز الميناء .

وفى نفس الوقت أصدر القائد العام أمره اليومي (٢٨ سبتمبر) بإنشاء ما يسمى بلجنة الصحة العامة التي ستتولى مسئولية مراقبة المحاجر الصحية بالقاهرة وتتكون هذه اللجنة من المدير العام ، وقائد فرق المهندسين ، وكبير الأطباء ، والجراحين والصيادلة بالجيش الفرنسي ، وعلى أن يتبعها لجان فرعية في الإسكندرية ورشيد والعزبة ، وتخضع لإشراف قائد الموقع الواقعة في نطاقه ، ومن قوميسير الحرب وواحد من كبار الأطباء والجراحين والصيادلة[٤] ، وإزاء مجيء الأخبار عن قدوم الأتراك لمصر فقد توجه كليبر برسالته الأولى إلى قائد الأسطول التركي في البحر المتوسط في يوم ٢٨ سبتمبر ١٧٧٩ (٦ فندمير من السنة الثامنة) يقول له فيه :" يشرفني أن أبلغ سموكم إننى قد سبق لي الدخول في مفاوضات مع الصدر الأعظم

---

(١) Ibid , PP .98 - 99 .
(٢) Ibid , P 100.
(٣) Ibid , P .105.
(٤) Ibid , PP . 107 – 108 .

...." وقد حمل إليه رسالتي منذ تسعة أيام فقط محمد رشدى الرسول العثماني ولم أتلق رداً منكم للآن[١] .

ويتضح من خلال هذه الرسالة أن كليبر كان حريصا على استمرار اتصالاته بالأتراك وتجنب الدخول معهم في حروب تنهك قواه العسكرية ، كما أنه حتى الآن لم يدخل في اتصالات مباشرة مع الإنجليز الذين لا يزالون يحاصرون الشواطئ المصرية وفى نفس الوقت يحاول جاهدا أن يستحث قواده بالصعيد وهم من أعظم رجالاته العسكريين على إخضاع تلك البلاد لسيطرته ، ومحاولة الإمساك بمراد بك وأن يوافوه دائما بأخبارهم في جنوب البلاد[٢] .

ولذلك أرسل إلى الجنرال موران Morand في دمياط بأن يكون على اتصال مستمر مع رئيس أركان حرب الجيش وأن يراقب تحركات الأسطول التركي تجاه دمياط مع الجنرال فردييه Verdier[٣] . وفى رسالة عاجلة للجنرال ديزيه Désaix في أسيوط يوضح القائد العام مخاوفه من تحركات الأتراك طالبا منه عند وصوله رسالته أن يأتي إلى القاهرة في الحال إذا لم يكن هناك مانع قوى يمنعه من المجيء لمواجهة الصدر الأعظم[٤] .

وفى هذه الأثناء أي قبل مرور شهرين على تولى كليبر القيادة العامة تظهر كثير من الأزمات الاقتصادية التي تواجه جيش الشرق من شكوى القواد من تأخير تسليم الملابس والمهمات الشخصية للجنود [٥] ، وعدم توفر الحبوب للقوات ولذلك أصدر القائد العام أمره اليومي في ٧ فندمير من السنة الثامنة (٢٩ سبتمبر ١٧٧٩) يطلب فيه من قواده إمداد القاهرة بالمواد الغذائية وخاصة الحبوب على وجه السرعة وتكليف

---

(١) Ibid , P .109 .

(٢) رسالة من القائد العام كليبر إلى مساعد الجنرال بوييه في المنيا مؤرخة في ٦ فندمير السنة (٢٨ سبتمبر ١٧٩٩) :

(٣) Ibid , P .110 .

(٤) Ibid , P .110

(٥) Ibid , P .111 .

كل القوارب في النيل بإنجاز هذا العمل دون توقف وخاصة من بلدان صعيد مصر في المنيا وأسيوط إلى مخازن الجمهورية في جزيرة الروضة بالقاهرة ، وكانت أوامر كليبر توجب نقل ما لا يقل عن مائة ألف أردب من الحبوب[١] . وبدأ القائد العام ينبه الصراف العام لضخامة المصروفات المخصصة لكل كتيبة والتي وصلت إلى ثلاثة آلاف ريال في الشهر[٢] .

وتجددت مخاوف كليبر مرة أخرى تجاه تحركات الأتراك صوب مصر حينما أخبره قائده الجنرال فردييه Verdierعن ظهور أشرعة نحو ثمانية عشر سفينة تركية في البحر المتوسط ، ولذلك وافاه كليبر بالرد على عجل ليعيد تنظيم قواته في شرق البلاد وإرسال الكثير من المدد نحو هذا الميدان وتجميع القوات الموجودة في العريش وقطية ، وكتب في نفس الوقت إلى قائده الجنرال منو Ménou لتحصين البرلس ، وفى نفس الوقت أرسل مساعد الجنرال موران Morand برسالة إلى الصدر الأعظم لإحياء المفاوضات الثنائية التي شرع فيها الجنرال بونابرت من قبل بشأن تبادل الأسرى ، وطلب كليبر من فردييه أن يراقب بعناية تحركات الأتراك وأن يوافيه بأخبارهم أولا بأول[٣] .

وفى هذه الآونة أصدر كليبر عدة قرارات سريعة للمدير العام للمالية بضرورة صرف المبالغ اللازمة لمستشفيات القاهرة ودمياط ، وإلى لجنة المهمات لصرف بعض المهمات والأحذية التي تحتاج إليها فرق المدفعية[٤] وأن تقتصر الإنفاقات على ما هو ضروري ولازم فقط . ثم خاطب الجنرال مينو بشأن الاهتمام بتحصين سواحل دمياط والبرلس بعدما تأكد وجود الأسطول التركي في المياه المصرية وتحريك بعض القوات تجاه هذه السواحل تحت قيادة الجنرال رامبو Rampon[٥] .

---

(١) Ibid , PP .111 - 112.
(٢) Ibid , P . 112.
(٣) Ibid , PP .113 - 114.
(٤) I bid , P .116.
(٥) Ibid , P .117.

وفى رد الجنرال منو على القائد العام تبدو بوضوح مدى الصعوبات التي تواجه القيادة الفرنسية في مصر من نقل بعض القوات لمتابعة تحركات مراد بك ما بين الواحات والبحيرة مما يستتبع معه بذل جهد كبير من جانب الفرنسيين ، إلى جانب هجمات العربان في البحيرة على قناة الإسكندرية ، ويضيف منو أن البحيرة في حاجة إلى مراقبة مستمرة ، " لقد علمت من أحد جواسيسنا أن مراد بك أرسل إلى بعض عربان البحيرة ليحثهم على العمل ضدنا ، وللآن فإنني لا أعلم النتائج المرتقبة ، ولسوف أقوم بالمراقبة المستمرة لتحركاته في البحيرة " .

ويضيف منو قائلا: " وأتعشم ألا تفاجئنا حملة سوريا في وقت قريب " [١] ولكن المفاجأة حدثت بالفعل عندما أعلنت القيادة العامة الفرنسية عن ظهور حوالي سبعين شراعا أمام سواحل الإسكندرية في أوائل شهر أكتوبر رغم عدم التعرف على جنسيتها، في نفس الوقت الذي كان من الواجب على القيادة الفرنسية تجهيز ما لا يقل عن سبعة آلاف رجل لمواجهة جيش الصدر الأعظم المتوجهة نحو مصر تحت قيادة الجنرال رينيه Reyiner في بلبيس ، حينما وصلت الأخبار إلى القائد العام عن انتشار مرض الرمد ، وموت أربعة ضباط من بين حامية الإسكندرية بمرض الطاعون[٢] .

وكان الجنرال رينيه الذي اتجه نحو العريش مع رفقائه لمواجهة جيش الصدر الأعظم قد أرسل للقائد العام رسالتين في يومي ١٠ ، ١٢ فندمبير يخبره فيها بأنباء الجيش التركي المتحالف مع الإنجليز القادم براً وبحراً ، والخلاف الذي نشأ فجأة بين الصدر الأعظم وحاكم عكا أحمد باشا الجزار[٣] ، وبدأت أوامر كليبر للجنرال سانسون Sanson في تحصين العزبة وحول المنصورة والطينة وأم فرج والصالحية [٤] ، كما أصدر أوامره بصرف مبلغ أربعة آلاف فرنك لقوات الجنرال فريان لتحصين

---

(١) Ibid, P .118.
(٢) Ibid , PP .125 - 126.
(٣) Ibid , P .131.
(٤) Ibid , P .133.

مواقع بنى سويف والمنيا حتى لا يتمكن مراد بك من السيطرة على الصعيد أثناء حملة الصدر الأعظم على البلاد[١] كما خاطب الجنرال دافو Davout المتمركز بقواته في المنصورية بإقليم الجيزة مطالبا إياه بالبقاء بالمنصورة حتى تواتيه أخبار جديدة من الجنرال ديزيه عن تحركات مراد بك[٢] .

وفى الوقت نفسه طلب مدير البحرية الفرنسية من القائد العام مبلغ مائة ألف فرنك للإنفاق على الترتيبات الدفاعية البحرية ، ورد علية القائد العام قائلا له : " إنني مقتنع جدا بمدى حاجتك" لهذا المبلغ شهريا للإصلاحات الخاصة بالبحرية ، " ولكنني لا أقدر على منحك إلا خمسين ألف فرنك فقط " ، لترتيب الأمور من خلالها وإتمام الأعمال الضرورية فقط ، مع تنفيذ ما تم الاتفاق عليه من قبل مع الجنرال بونابرت من تسليح الزوارق التي تحمى مدخل نهر النيل عند رشيد وأن تتم كل الأعمال بالتشاور مع الجنرال منو ، والاهتمام بالسفن الراسية في مينائي ثغر الإسكندرية ووضعها تحت الطلب في وقت الحاجة إليها ، ويحظر إخراجها من الميناء " دون أمر منى شخصياً" والاهتمام بحاجة القباطنة والبحارة[٣] .

وفى نفس اليوم (٨ أكتوبر ١٦/١٧٩٩ فندمبير من السنة الثامنة) خاطب القائد العام الجنرال منو مرفقا بخطابه نسخة من رسالته إلى مدير البحرية بالإسكندرية مطالبا إياه بالتنسيق معاً لتنفيذ الأوامر الصادرة إليهما وألا يسمح بخروج أي سفينة من الإسكندرية إلا في حالة إرسال مكاتبات إلى الحكومة الفرنسية أو ما تحتاج إليه من بضائع واردة من بلاد أخرى ، مع الإعلان عن حرية التجارة بالميناء حتى لا تتعطل الأحوال، وكذلك الحال مع بلاد الشرق (سوريا)[٤].

---

(١) Ibid , P. 136 .
(٢) Ibid , P . 140.
(٣) Ibid , P. 137.
(٤) Ibid , T . III , P . 138.

ويتحدث بوسيليج عن عدد القوات الفرنسية التي خسرت نحو ١١ ألف فرد أمام قوات العدو وعدد كبير منهم أصابه المرض أو أصيب في المعارك وفى المستشفيات وتعرضهم لأمراض الدوسنتاريا والرمد وغيرها . وكان على هذا العدد الصغير أن يحمى نحو عشرة مواقع هامة بها ثلاثة ملايين من السكان "الأعداء" في مواقع وقلاع المدن والثغور المصرية ، وفى حالة هجوم الصدر الأعظم كان عليها مواجهة أكثر من خمسة إلى ستة آلاف رجل من قوات الأتراك " وسوف ندخل بلاد لا نعرف عنها شيئا في نفس الوقت الذي لم يكن معنا بونابرت " والأتراك أنزلوا قواتهم في أبي قير واتجهوا من سورية إلى مصر ، " وفى ثلاثة شهور واجهنا للمرة الثانية الطاعون القاتل". ولسوء الحظ كان النيل في هذه السنوات ضعيفاً عن السنوات السابقة مما أدى إلى عدم الوفاء بالزراعة . ولم يكن هناك أي جندي أو ضابط أو جنرال إلا ويتمنى العودة لفرنسا خوفا على حياته وصحته رغم مضى ١٦ شهر فقط على الوجود الفرنسي بمصر. " لقد كان موقفا صعبا في مصر نواجه الطاعون والعربان كنا نحتاج لإعادة الحياة الزراعية والتجارية ونعيد لهذه البلاد مجدها القديم وبذلك تصبح أكثر المستعمرات أهمية بعد تنظيم تجارتها العالمية" [١] . وتتحدث الوثيقة عن موقع مصر الهام ووقوعها على بحرين واتصالها بالصحراء وضرورة أن يكون لها بحرية تحمى تجارتها ، كما تتحدث عن عدم وجود أسطول فرنسي بمصر لحمايتها من روسيا وإنجلترا .

ويظهر بوسيليج موقف الجيش الفرنسي الضعيف في مصر بعد تحطم الأسطول الفرنسي في أبى قير ونتائجها على الموقف الفرنسي وموقف الباب العالي والموقف الأوربي وبخاصة موقف إنجلترا واتصالها بالهند وموقف الشعب المصري تجاه القوات الفرنسية ، ورغبة الفرنسيين في أن يوافق الإنجليز على معاهدة الجلاء عن مصر .

(١) Ibid , p.150 .

ويتحدث عن موقف روسيا تجاه الباب العالي ؛ ففي حالة إعلان روسيا الحرب على الدولة العثمانية سيكون الموقف في مصر لصالح الفرنسيين لأن القوات العثمانية سيكون اهتمامها الأول هو الدفاع عن الإمبراطورية العثمانية وفى هذه الحالة يجب توقيع معاهدة سلام بين فرنسا وروسيا (١) .

ويستفسر كليبر عن أحوال حملة الصعيد من خلال الجنرال دافو Davout حيث يقول له : إنه لم يصلني أي أخبار عن الجنرال ديزيه Désaix ويعتمد لورانس كذلك بجانب وثائق B6 من أرشيف Vincenne على رسائل ومكاتبات القادة فيما بينهم إذا لم يسعفه الأرشيف في بعض الأحداث أو المواقف فإنه يعتمد على كتابات روسو Rousseau أو مذكرات برتييه Mémoire de Berthier (٢) .

ويستمر كليبر في مراسلاته للمدير العام والصراف العام لمناقشتهما في الاحتياجات المالية لبعض فرق المهندسين وعمليات التحصينات بالإسكندرية والثغور الشمالية ، ويرسل إلى الجنرال سونجيه Songis في ٢٢ فندمير السنة ٨ / ١٤ أكتوبر ١٧٩٩ يطلب منه إقامة بعض التحصينات في منطقة قيادته على ضفاف النيل بالقاهرة بواسطة الضباط بينيه Pini وتيرليه Tirletعلى أن يوافوه بنتائج أعمالهم على الفور. ويطلب من المدير العام إعادة توزيع فرق الفرسان والهجانة بمنطقة القاهرة .

ودارت بعض المراسلات بين منو وقائد السفينة البريطانية لوتيزى Le Thésées الذي يقول إن القائد البريطاني جون كيث M . John Keith أرسل إلى الجنرال كليبر عن طريق الجنرال مارمون يقول إن الصدر الأعظم أرسل إلى فتاح بك بدلا من بطرونة بك الذي مات في قبرص ليدير عملية تبادل الأسرى الأتراك والفرنسيين . وكان كليبر يود إقامة سلام مع الباب العالي حيث كان يعرف مدى العلاقة بين الأتراك المسلمين والمصريين مع حصار الإنجليز الشديد للبلاد .

---

(١) Ibid , pp .153 - 154 .
(٢) Ibid , p.161 .

وفى سبيل إحلال السلام بين الفرنسيين والأتراك في مصر يخبر الصدر الأعظم القائد الفرنسي كليبر بوصوله الرسالة التي أرسلها إليه بونابرت حيث يرغب في إحلال السلام " بيننا وقد رغبت في إرسال رد على هذه الرسالة مع محمد رشدى أفندي ونحن نرغب في بدء المفاوضات بيننا لإحلال السلام وفى وضع ترتيبات جديدة وبدء التفاوض في الحال " ويؤكد الصدر الأعظم ضمانه لفرنسا والفرنسيين خروجهم من مصر بسلاحهم وطبقا لما تمليه عليه شريعة محمد (الشريعة الإسلامية) ، قائلاً " وإنى أضمن لهم العودة لفرنسا ومعهم سفنهم ويرحلون على متن سفن الباب العالي ، وأضمن ذلك للجنرال كليبر وللفرنسيين وحتى خروجهم من مصر نهائيا "، وكان الصدر الأعظم يتحدث عن ضمانات لخروج الفرنسيين حتى وصولهم فرنسا دون أن تتعرض السفن الإنجليزية والروسية لهم إذا كان الفرنسيون يرغبون بالفعل في إحلال السلام وهنا يجب عليهم سحب قواتهم من العريش وقطية والصالحية . ويؤكد الصدر الأعظم على أنه إذا كان الفرنسيون يرغبون بالفعل في إحلال السلام أن يبدأوا في المفاوضات ويقدمون الضمانات الضرورية " التي تؤكد حسن نواياهم [١] .

ويتحدث كليبر عن تنظيم بعض الكتائب على السواحل في مواجهة الأسطول التركي بالتنسيق مع أركان الحرب "وسوف نرسل لكم أكثر من ٢٠٠ فارس لكي نستطيع مواجهة ٤٠٠ تركي ينزلون من السفن لكي تتصدى لهم ، أما قطية فسوف تكون في مواجهة أمام هذه القوات بعد العزبة" ،-ويطلب كليبر استخدام عميل "جاسوس" للتخابر مع الفرنسيين وإعطاؤه بعض المال .

ويرسل الكومودور سميث Le Commodor Smith يوم ٢٧ أكتوبر ١٧٩٩ إلى كليبر من على سطح الزورق الخاص به " تايجر Le Tigre" من أمام دمياط في ٢٦ أكتوبر ١٧٧٩ م حيث يرى سميث أن الجيش الفرنسي لابد أن يرحل عن مصر بدون سلاحه ويتولى هذه التدابير الريس أفندي ، وإذا تم الانسحاب بدون موافقة إنجلترا

(١) Ibid , B6113 et B632 , PP .190 – 192 .

فإنه غير مسموح له بالعودة إلى فرنسا " ونتعشم أن نجد الوسيلة المناسبة لنقل الجيش الفرنسي بعد تحطم أسطوله" . ويؤكد كليبر على رغبة الفرنسيين في الرحيل عن مصر بقواتهم التي صارت غير كافية رغم شجاعتهم مثلما كانت في إيطاليا ، والجيش الفرنسي لا يستطيع منع أحد من التجارة في مصر حيث يوجد عائلات فرنسية كثيرة تعيش في منطقة الليڤانت (الشرق) .

ومما يؤخذ على صاحب دراستنا (لورانس) أنه اعتمد اعتماداً رئيساً على وثائق وزارة الحرب الفرنسية المحفوظة بأرشيف فنسن دون غيرها من الأرشيفات التي تحتفظ بوثائق حملة مصر وعلى رأسها أرشيف دار الوثائق القومية بالقاهرة التي تحتفظ بقدر كبير من تلك الوثائق ومنها جزء كبير غير موجود بأرشيف فنسن "أصليا أو مصورا " ولا ندرى لماذا أغفل لورانس تلك المجموعات الوثائقية من ذلك الأوامر الصادرة عن القيادة الفرنسية مثلا في أيام ١٠ ، ١٢ ،١٣ مارس والتي تضمنتها المحفظة التي تحمل الفترة من ٧ مارس ١٨٠٠ – ٢٧ يونيو ١٨٠٠ والخاصة بالأوامر التي تتعلق بالعمليات العسكرية ومراسلات كليبر مع اللورد كيث قائد الأسطول البريطاني ، بل لم ترد أي وثيقة لدى لورانس عن يوم ١٢ مارس ١٨٠٠م مما يؤكد أن الباحث الفرنسي لم ينقب في محتويات الأرشيف المصري ومحافظه الخاصة بالحملة على مصر . ولهذا يجب على الدارسين المصريين أو غيرهم الرجوع للأرشيف المصري إلى جانب الأرشيف الفرنسي لتغطية تلك الفترة الهامة من تاريخ الحملة .

كما لاحظنا أن عدداً كبيراً من المادة الوثائقية بهذه الدراسة لدى لورانس مكتوبة باللغة الإنجليزية وهى عبارة عن مراسلات القادة الإنجليز لبعضهم البعض أو تلك المرسلة للقيادة الفرنسية وهى بلا شك محفوظة لدى أرشيف وزارة الخارجية البريطانية F.O أو أرشيف Vincenne ولم يشر لورانس إلى مصدرها في هوامشه بل أوردها دون ذكر المصدر سواء كان هذا المصدر هو أرشيف F.O أو Vincenne

مما يوقع الدارس في حيرة تجعله يعتمد اعتماداً أساسياً على لورانس دون تتبع المصدر الرئيسي لهذه الوثائق من ذلك تلك الوثائق في الصفحات من 729 – 697 [١].

ومن الملاحظ أن بعض الأوامر اليومية للجنرال كليبر كانت ترسل إلى العديد من القواد بالأقاليم المصرية المختلفة من ذلك الأمر اليومي الصادر من القائد العام في ٢٠ فلوريال من السنة الثامنة (١٠ مايو ١٨٠٠) والموجه إلى كل من : دونزيلو ، وزايونشك ، وفريان ، ورامبو ، وفرديبه[٢] .

كما وجدت بعض الوثائق التي أوردها لورانس في دراسته بدون تاريخ وأشار إليها الباحث في هوامشه بقوله "Sans date" ومن المتوقع أنها كتبت في تاريخ لاحق للوثيقة السابقة عليها[٣] .

ومن الجدير بالذكر أن الباحث لم يكرر نشر الرسالة الواحدة أكثر من مرة على اعتبار أنها أرسلت لأكثر من شخص ، فاكتفى بأن يسجل الأصل مشيرا في الهامش بأنها أرسلت إلى شخص أو أشخاص آخرين مثال ذلك رسالة القائد العام إلى الجنرال زايونشك في ٥ نيفوز من السنة الثامنة/ ٢٦ ديسمبر ١٨٩٩ ، والتي أشار بالهامش في صفحة ٣٥٨ بأنها أرسلت إلى الجنرال فريان . Méme Lettre au général Friant

كما توجد وثائق مطبوعة باللغتين العربية والفرنسية Manuscrit bilingue Franco – Arabe ولكن أغلب تلك الوثائق باللغة الفرنسية فقط ومن تلك المطبوعة باللغتين العربية والفرنسية الرسالة الموجهة من ديوان القاهرة إلى الجنرال دوجا – قائد القاهرة في أوائل عهد قيادة كليبر[٤] .

أما المجلد الرابع من هذا العمل الوثائقي لـ لورانس فهو أهم المجلدات الأربعة على الإطلاق ويقع تحت عنوان : Kléber en Egypte 1798 – 1800 ويشمل وثائق

---

(١) Ibid ,T.IV, p p . 697 – 729 .
(٢) Vois : Laurens , T.IV , B6 113 , PP. 887 -888.
(٣) Ibid , B6 43 , P. 861.
(٤) Ibid ; T.III , P . 72 .

فترة قيادة كليبر لجيش الشرق Kléber Commandant en chef 1799 – 1800 وهو المجلد الأخير والمطبوع عام ١٩٩٥م بالقاهرة تحت رعاية المعهد الفرنسي للآثار الشرقية وعدد صفحاته ٤٩٢ صفحة (pp.507 – 998) وهو استكمال للمجلدات الثلاث السابقة ويحتوى هذا المجلد على(٣٥٨) وثيقة كما يحتوى على فهرس وثائقي Index Correspondance هجائي بأسماء الأعلام والموضوعات الواردة بالمجلدات الأربعة تيسر للدارس مهمة تتبع الموضوعات الواردة بصفحات هذه المجلدات دون عناء .

ويستهل المجلد الرابع أولى وثائقه بخطاب السير سدني سميث إلي القائد العام الجنرال كليبر والمرسل من المعسكر المجاور للعريش الذي أقيم لعقد جلسات التفاوض من أجل إتمام معاهدة السلام بين الجانبين الفرنسي والعثماني ولقد أرسل هذا الخطاب يوم ١٩ يناير ١٨٠٠ حيث وصل إلي معسكر الصالحية الذي أعده الجنرال كليبر بالصحراء الشرقية لمصر لمواجهة الزحف العثماني على مصر؛ وذلك في اليوم الثاني من شهر بليفوز من السنة الثامنة للجمهورية (٢٢ يناير ١٨٠٠م) .

أما آخر وثائق هذا المجلد فهي رسالة قصيرة تقع في أربعة أسطر فقط مرسلة من القائد العام الجنرال كليبر إلي الجنرال منو – قائد منطقة القاهرة في يوم ٢٥ بريريال من السنة الثامنة للجمهورية (١٤ يونيه ١٨٠٠) وهي أخر رسائل وأوامر الجنرال كليبر قبل اغتياله في عصر نفس اليوم حيث أرسل القائد العام رسالة أخرى في نفس اليوم (١٤ يونيه) إلي الجنرال لانوس – قائد منطقة الإسكندرية رداً على رسالة الأخير له يوم ٢٠ بريريال يشير عليه بضرورة حراسة الشواطئ ومخازن قوات المدينة اللازمة للفرنسيين وإرسال الكتيبة الثالثة للفرسان إلي القاهرة لحاجة العاصمة إليها .

ويحتوى المجلد على العديد من الوثائق باللغة الإنجليزية وعلى وجه التحديد تلك المراسلات التي تمت بين القادة الإنجليز في حوض البحر المتوسط وعلى رأسهم جون كيث MR. John Keith قائد الأسطول البريطاني والسير سدني سميث Sir

Sidney Smith الذي حمل لقب لورد Lord فيما بعد – قائد القوات البحرية البريطانية المحاصرة لمصر ؛ [١] وغيرها من الوثائق البريطانية التي أوردها لورانس بنصها الإنجليزي والمأخودة عن الأرشيفين البريطاني والفرنسي دون أن يتولى ترجمتها إلي الفرنسية ؛ وعلى عكس الوثائق التركية التي اعتمد فيها على النص المترجم للفرنسية وبخاصة ما يتعلق منها باتفاقية العريش مع الأتراك أو المراسلات السابقة أو اللاحقة عليها مع القادة الأتراك وعلى رأسهم الصدر الأعظم Le grand Vizir ، وفي نفس الوقت الذي لم نجد فيه أي وثيقة باللغة العربية على الرغم من وجود العديد منها بالأرشيفين الفرنسي والمصري خاصة ما يتعلق منها بمراسلات أعضاء الديوان المصري وبعض المشايخ إلي القيادة الفرنسية ولكنها ترجمت في حينه من خلال القيادة الفرنسية ، واعتمد لورانس على النص الفرنسي دون العربي .

على أن أهم ما ورد من وثائق القائد العام الجنرال كليبر في المجلد الرابع وتناولتها بالدراسة في هذا البحث من موضوعات تلك الوثائق التي تتعلق بالتنظيمات الحربية والعسكرية والسياسية والخطط التي اتبعها كليبر في فرض الضرائب والقروض الإجبارية وملامح النظام المالي والاقتصادي المصري ، وموقف القائد العام من اللجنة العلمية وعمل أعضائها ، وموقفه من الأقباط واليونانيين الذين حاباهم وقربهم إليه دون غيرهم من أبناء البلاد لتحقيق مآربه الاستعمارية وزرع بذور الفتنة بين أبناء الوطن الواحد ، كما يتناول المجلد ذاته موقف كليبر من مراد بك ونجاح القائد العام في تحقيق السلام المنتظر مع زعيم المماليك بتوقيعه معاهدة السلام في ٥ أبريل ١٨٠٠م ، كما نتعرف بوضوح من خلال الوثائق الفرنسية والبريطانية في هذا المجلد على موقف الإنجليز الذين حاصروا الشواطئ المصرية وعدم إقرارهم اتفاقية العريش التي وقعها الفرنسيون مع الأتراك العثمانيين للجلاء عن مصر في ١٣ يناير ١٨٠٠م بعد سلسلة طويلة من المفاوضات بين الجانبين واعتراض الإنجليز وموقفهم المتشدد تجاه

---

(١) محفظة فترتها التاريخية من ١٨٠٠/٣/٣١ – ١٨٠٠/٣/٣١، وثيقة تحمل رقم ٢٣٨ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة .

الفرنسيين ومطالبتهم بخروجهم خروج المنهزم من مصر ، وتصدع الموقف الفرنسي أمام الحركات الشعبية المناهضة للإحتلال في القاهرة بثورة أهل بولاق وغيرها من أحياء العاصمة وهي الثورة الكبرى الثانية للمصريين ضد الاحتلال الفرنسي (مارس ١٨٠٠) وانتفاض الأقاليم المصرية في الوجه البحري وما صاحبه من إجراءات تعسفية ضد أهلها وعلمائها وأعيانها .

من خلال تلك الوثائق نتعرف على أهم المعارك التي خاضها الجيش الفرنسي بقيادة كليبر ألا وهي معركة عين شمس (هليوبوليس) في أبريل ١٨٠٠م ، وهي آخر مظاهر النشاط الحربي لكليبر في مصر قبل وفاته بأقل من شهرين من هذا الانتصار .

كليبر يتولى القيادة العامة

٢٣ أغسطس ١٧٩٩-١٤ يونيو ١٨٠٠م

وأحوال القوات الفرنسية بمصر

إسناد القيادة لكليبر :

أسند القائد العام بونابرت قيادة الجيش الفرنسي للجنرال كليبر الذي كان موجودا بدمياط أثناء رحيل بونابرت ورفاقه ليلة ٢٢ /٢٣ أغسطس ١٧٩٩، وعندما وصل كليبر إلى مدينة رشيد علم بمغادرة القائد العام البلاد عبر شاطئ الإسكندرية فثارت ثائرته ، ولكن سرعان ما هدأت ثورته عندما قام الجنرال منو بتسليمه الرسائل التي تركها له بونابرت قبل مغادرته وما بها من تعليماته وأوامر عن إدارة أحوال الجيش والبلاد والأحوال الدفاعية والموقف السياسي للبلاد المصرية.

وأهم ما تركه بونابرت لكليبر مع منو صورة من رسالته للصدر الأعظم مؤرخة في ١٧ أغسطس ١٧٩٩ وقد جاء فيها أن الفرنسيين ليسوا أعداء للعثمانيين وأن أعداء العثمانيين الحقيقيين هم حول البسفور يقصد بذلك الروس ، وقد حذر بونابرت خليفته في مصر من أنه في حالة توقيع اتفاقية للجلاء عن مصر يجب عدم التسرع في مغادرة القوات الفرنسية مصر حتى يمكن توقيع معاهدة صلح عامة في أوربا مع فرنسا[١] .

موقف كليبر من إسناد القيادة العامة له :

بعد أن تمكن كليبر من الإطلاع على رسائل بونابرت التي تركها له وبها تعليماته له قام بإذاعة منشور للجيش أهاب فيه بوطنية الجنرال بونابرت ودعا إلى معاونته في أداء مهمته الجديدة ومضاعفة الجهد والنشاط ثم أذاع منشوراً آخر في ٣١ أغسطس ١٧٩٩ عند دخوله القاهرة أعلن فيه نبأ سفر بونابرت وتعيينه خلفا له[٢].

---

(١) Charles – Roux : Bonaparte governeur d'Egypte, Paris , Plan , 1946, P . 326.
محفظة فترتها التاريخية من ١٧٩٩/١٢/١٦-١٧٩٩/١٢/٣١، وثيقة رقم ١٧٢٠-142 B6 .

(٢) Courrier de L'Egypte , No 38 .

وأصدر القائد العام الجديد كتاباً دورياً موجهاً إلى الجنرالات رينيه Reynier، ومنو Ménou وسانسون Sanson ، وبليار Belliard، وفريان Friant ، من القيادة العامة برشيد وقبل أن يغادرها متجها نحو مقره بالقاهرة وفى هذه الرسالة يخبر كليبر قادة الجيش بأن القائد العام بونابرت قد غادر البلاد في ليلة ٥-٦ فركتيدور من السنة السابعة (٢٢-٢٣ أغسطس ١٧٩٩) للعودة إلى أوربا دون أن يخبره بنبأ عودته لفرنسا تاركا أمر قيادة الحملة له معرباً عن تصميمه على تحقيق الأهداف التي جاءوا من أجلها لمصر لمصلحة بلادهم وتحقيق ذلك المشروع الهام .

قال كليبر:"إن الذين يعرفون منكم مبلغ اهتمامه بنجاح الحملة في مصر ، عليهم أن يقدروا الأسباب القوية التي دفعته للرحيل ، وإننا في مصر سنكون موضع اهتمامه ، فقد قال لي : إنني سأكون معك بقلبي وفكري ، وانتصاراتك ستكون عزيزة على ، وسوف تسعدنى ، وسأفعل المستحيل لمصلحة الجيش الذي تركت قيادته لك"، وأضاف كليبر: " علينا أن نسد هذا الفراغ الذي تركه القائد العام (بونابرت) ببذل المزيد من الجهد ، والعمل ، والتعاون...." [١]. واختتم القائد العام الجديد منشوره بملحوظة هامة لقادة فرق الجيش بأنهم يجب عليهم مراسلته المرة القادمة على القاهرة التي سوف يصلها في ظرف ثلاثة أيام[٢].

ثم قابل كليبر بعد أن استقر في بيت الألفي بك – أعضاء الديوان متجهما يفتقد إلى البشاشه كسلفه بونابرت ، وذكرت جريدة Courrier de L'Egypte هذه المقابلة يوم ١٦ فركتيدور من السنة الثامنة والتي حيا فيها الشيخ محمد المهدى نيابة عن الأعضاء القائد الجديد[٣] في بداية حكمه كما كلف كليبر الجنرال دوجا حاكم القاهرة في ١٨ نوفمبر ١٧٩٩ بإلقاء القبض على كل مملوك يتواجد بالقاهرة دون أن يكفله أحد

---

(١) Laurens: T .II , PP – 509 – 510.

(٢) Courrier de L'Egypte , No 37.
Laurens, T .II , P . 510.

(٣) عبد الرحمن الجبرتى : مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٦١ ، ج١ ، ص ٢٢٧.

الضباط الفرنسيين الكبار أو في كفالة أحد رؤساء وشيوخ البلد المتعاونين مع الفرنسيين، وإيداع هؤلاء المقبوض عليهم سجن القلعة[١] .

أما الوثيقة الثانية من وثائق كليبر مع بداية قيادته العامة وأكثرها أهمية، فهي تلك الرسالة التي بعث بها الجنرال بونابرت إلى كليبر من القيادة العامة بالإسكندرية في ٥ فركتيدور من السنة السابعة (٢٢ أغسطس ١٧٩٩) وهو اليوم الذي غادر فيه بونابرت شاطئ الإسكندرية تاركا القيادة لكليبر قائلا:" سوف أرفق لك أيها المواطن الجنرال أمراً بقيادة الجيش بعد أن أغادر البلاد في خلال يومين أو ثلاثة أيام " وأكد بونابرت على أنه سيكون على اتصال دائم بجيش الشرق الذي سوف يكون دائما محل اهتمامه ورعايته ، ولم يغفل أن يشرح لكليبر أسباب سفره المفاجئ بعد تطور الأحوال في أوروبا لغير صالح فرنسا التي خسرت معركتها في إيطاليا في يونيو الماضي .

وفى هذه الرسالة الهامة حدد بونابرت لكليبر العديد من خطوات العمل المقبلة مثل موقفه من حملة الصعيد ، ومن مصطفى باشا قائد الحملة العثمانية في أبي قير الذي تم أسره وإطلاق سراحه يحمل رسالة موجهة للصدر الأعظم ، وترك بونابرت نسخة منها لكليبر .

وطمأن بونابرت خليفته على أن الأسطول الفرنسي غادر ترست متجها نحو طولون مما سيمهد لوصول الإمدادات إلى مصر عن طرق البحر بسهولة من المدافع والذخيرة والمهمات التي يحتاجها الجيش في مصر ، مؤكدا على أنه سوف يتابع بكل اهتمام أخبار جنوده في مصر بعد أن قضى الطاعون على نحو ١٥٠٠ رجل من الفرنسيين وهى خسارة فادحة للجيش[٢] ، وأن امتلاك مصر وبقائها في أيدي الفرنسيين أمر حيوي لفرنسا وأنه في حالة التفاوض مع الباب العالي فإن الأمر له بعدم الخروج من مصر دون تحقيق سلام شامل يكون في صالح بلاده ناصحاً بضرورة الاتصال به في فرنسا والرجوع إليه قبل اتخاذ أي قرار .

---

(١) محفظة فترتها التاريخية من ١٦ نوفمبر ١٧٩٩ – ١٥ ديسمبر ١٧٩٩ ، وثيقة رقم 1269.
(٢) Ibid , T .II , P .511.

أما عن السياسة الداخلية فقد أكد بونابرت على ضرورة عدم إغفال آراء كبار المشايخ في القاهرة ، واستمرار التقرب من (أصدقائنا) المسيحيين في مصر [١] كما يجب الاهتمام بتحصين السواحل المصرية وخاصة ثغري الإسكندرية والعريش لأنهما بمثابة مفتاحي البلاد المصرية ، وضرورة تواجد السفن الحربية الفرنسية الموجودة بمصر في نواحي الإسكندرية والبرلس ودمياط ، وتحصين برج البرلس ، " ولسوف أطالب بإمدادكم بالمزيد من الرجال الذين سوف يصلون إليكم على ظهر السفن الفرنسية في القريب" . وتمنى بونابرت لكليبر النجاح قائلا له "سأكون معك بروحي وقلبي " [٢].

وبعد أن استتب الأمر للقائد العام كليبر بعث برسالته المطولة من القيادة العامة بالقاهرة إلى حكومة الإدارة في ٤ فندمير من السنة السابعة (٢٦ سبتمبر ١٧٩٩) - هذه الرسالة التي وقعت في أيدي الإنجليز وقاموا بإذاعة محتواها لإضعاف موقف الجيش الفرنسي في مصر - مخاطباً أعضاء حكومة الإدارة بقوله : إن القائد العام بونابرت رحل إلى فرنسا في ٦ فركتيدور صباحاً دون أن يعرف هو شخصيا خبر السفر؛ ويقول كليبر : لقد أعطاني موعدا للقائه في رشيد يوم ٧ فركتيدور ، ولم أجد سوى رسالته التي تركها لي هناك ، تلك الرسالة التي وصلت للصدر الأعظم في القسطنطينية (استانبول) ، في نفس الوقت الذي كان فيه الأتراك يجهزون قواتهم منذ ٢٢ أغسطس متجهة نحو طوروس ودمشق .

وحاول كليبر استمالة عطف حكومة الإدارة في باريس بأنهم يعرفون الأحوال السيئة التي آلت إليها قواتهم بعد دخولهم مصر قائلاً " ومع ذلك فإننا الآن نسيطر على جميع النقاط الإستراتيجية الهامة في المثلث الواقع ما بين العريش والإسكندرية والقاهرة".[٣]

---

(١) Ibid , T .II , P . 512.
(٢) Ibid , T .II , P . 514.
(٣) Ibid , T .II , PP – 515 – 516.

ومن الجدير بالذكر أن لورانس قد أكد على بيان عدد قوات الجيش الفرنسي التي نزلت بأرض مصر في يوليه ١٧٩٨ والتي بلغت ٣٠ ألف رجل واختلف معه الكثيرون ممن كتبوا عن الحملة بناء على تقرير وزير الحربية الفرنسي إلى حكومة الديركتوار المؤرخ في ١٣ ديسمبر ١٧٩٨ وهو ٣٦،٨٢٦ مقاتل ، في حين أن مؤرخي الحملة جميعا قد اختلفوا في الاتفاق على رقم محدد لعدد الجيش الفرنسي بمصر ، ثم أوضح الجنرال كليبر أن هذا العدد قد انخفض بشكل واضح منذ ٢٦ سبتمبر ١٧٩٩،[١] وفي دراسة عن موقف الجيش الفرنسي في نهاية القرن الثامن عشر على مسرح العمليات في الشرق أكد الكولونيل روجيه ميشالو C.Roger Michalon قائد إحدى الكتائب وذلك من خلال الدراسة التي قام بها ديهيران Déhéran في يوليو ١٨٧٦ معتمدا على وثائق,Vincenne أن عدد الجيش الفرنسي تناقص حتى بلغ ٢١،٦٤٦ رجل في ٢٥ سبتمبر ١٧٩٩[٢] نتيجة الحروب والثورات والأمراض والاغتيالات الفردية ومقتل عدد كبير من قيادات الجيش من خيرة ضباطه وقد بلغ عدد الذين فقدهم الجيش حتى ١٠ مارس ١٨٠٠ نحو ٧٩٢٦ فردا كما ذكر الجنرال دور في رسالته لوزير الحربية الفرنسي[٣] . ويعرض كليبر لحالة الجيش السيئة من نقص في الأفراد والمعدات الحربية من المدافع والذخيرة ولذلك فقد أمر بإنشاء مصنع لإنتاج البارود في جزيرة الروضه.

ويؤكد مؤرخو الحملة من خلال دراسة وثائق وزارة الحرب الفرنسية أن الجيش الفرنسي لم يعد يمتلك سوى ٦٧٥ مدفعا في يناير ١٨٠١م[٤] وازدادت حالة الجيش سوءا وبلغت خسارته البشرية نحو عشرة آلاف رجل خلال عدة شهور ، وقتل عدد

---

(١) I bid , T .II , P . 516.

(٢) Ibid , T .II , P . 517.

(٣) محفظة فترتها التاريخية من ٢٣ يناير ١٨٠٠ – ٨ يناير ١٨٠١ م، وثيقة رقم 142 – B6مؤرخة في ٢ برومير من السنة الثامنة .

(٤) Laurens , T .II , P . 518.

كبير من كبار القادة أمثال الجنرال كافاريللى ، ودومارتان ، وبون ، وديبوى وغيرهم كثير [١].

وأظهر كليبر لرجال الإدارة في فرنسا مدى ما تقاسيه القوات الفرنسية في مصر من نقص المؤن والمواد الغذائية ، وبدأت الأمراض تنتشر بسرعة بين الأفراد مثل الدوسنتاريا والرمد والأمراض غير المعروفة للفرنسيين والتي انتشرت بين السكان والفرنسيين على السواء بصورة واضحة خلال السنة الأخيرة ، وكان الجنرال بونابرت وقبل رحيله من مصر قد حاول اتخاذ بعض الإجراءات الصحية لوقف انتشار هذه الأمراض وخاصة مرض الطاعون الذي قضى على عدد كبير من الجند الفرنسيين[٢].

ويؤكد كليبر في رسالته الجامعة لحكومة الإدارة على أن الجنرال بونابرت عمل على استغلال جميع المصادر غير العادية للموارد الموجودة في البلاد منذ الشهور الأولى لوصول القوات الفرنسية إلى مصر ، وتحملت البلاد نفقات الحروب المتتالية ، ويقول كليبر :"إننا نعود اليوم لاستخدام تلك الوسائل للتغلب على الصعوبات التي تواجهنا ، ويبث شكواه إلى حكومته من أنه منذ رحيل بونابرت لا يوجد "سو" Sou واحد في خزينة الجيش ، بل يوجد عجز كبير في احتياجاتنا المالية[٣] ، وقد لاحظ القوميسير العام حدوث تلاعب واختلاسات قام بها أمناء مخازن حبوب الجيش بحامية الإسكندرية[٤]. ولعل انخفاض مياه النيل في هذا العام كانت من أهم أسباب قلة الموارد للحملة نتيجة شح المياه على الزراعة في البلاد [٥] .

وقد أخبر كليبر حكومة الإدارة بموقف قوات الجنرال ديزيه في صعيد مصر والتي ظلت تطارد قوات المماليك بقيادة مراد بك في الصعيد دون أن تنال منها أو تتمكن من السيطرة الفعلية على الجنوب ، لأن المماليك يتحركون بسرعة في أنحاء

---

(١) محفظة فترتها التاريخية من ٢٣ يناير ١٨٠٠ – ٨ يناير ١٨٠١ م، وثيقة رقم B6 – 141.
(٢) Laurens , T .II , P . 519.
(٣) I bid , T .II , P . 520.
(٤) محفظة فترتها التاريخية من ١٠ أكتوبر ١٧٩٩ – ٥ يوليو ١٨٠٠م ، B6 – 148 .
(٥) Laurens , T .II , P . 521.

البلاد ولم تحقق أي انتصارات حتى تلك اللحظة . ويعلق لورانس على تحركات مراد بك في جنوب مصر بأنه توجه نحو الواحات هربا من مطاردة الفرنسيين له داخل الوادي .

ويضيف كليبر بأن القائد المملوكي الآخر وهو إبراهيم بك كان متواجداً في غزة على رأس حوالي ألفين من المماليك في نفس الوقت الذي علم فيه بأن حوالي ثلاثين ألف رجل يشكلون جيش الصدر الأعظم وأحمد باشا الجزار كانوا متواجدين هناك من قبل تمهيداً للاتجاه نحو مصر[١]، وكان الصدر الأعظم قد رحل من دمشق منذ نحو عشرين يوما مرورا بعكا .

ويقول كليبر :" هذا هو الموقف العام أيها المواطنون أعضاء حكومة الإدارة الذي ترك فيه الجنرال بونابرت جيش الشرق ، وأصبح في موقف متأزم يقترب منا فيه الموت ، ولسوف انتظر أوامركم تجاه الأزمة التي أواجهها ، فأعداؤنا لا يزالون يجهلون الكثير عن موقفنا وأوضاعنا في مصر .

ويعلق بعض المؤرخين الفرنسيين على هذه الأزمة القاتلة التي يدعيها الجنرال كليبر بأنها من وحي خياله لأنه كان يرغب في الرحيل عن مصر ، وقد كان بونابرت نفسه قد بدأ في محاولة التفاوض مع القسطنطينية (استانبول) منذ اليوم التالي لوصوله إلى الإسكندرية وقبل رحيله ، وخاصة بعد محاولات الأتراك تجميع قواهم والاتجاه من بلاد الشام صوب مصر[٢] .

وفى نفس هذه السنة (١٧٩٩) فإنه رغم الاحتياطات الصحية فإن مرض الطاعون الذي ألم بالبلاد أدى إلى موت ١٥٠٠ جندي فرنسي وهى خسارة هائلة للفرنسيين ويقول لورانس إن خسارة الفرنسيين بسبب مرض الطاعون كانت تشكل نحو ٥٧% من خسارتهم الإجمالية بسبب الحروب والأمراض . وقد أدرك كليبر من سرد هذه الأحداث لحكومة الإدارة أن يؤكد على حتمية التفاوض السلمي مع الباب العالي

---

(١) I bid , PP – 522 – 523.
(٢) I bid , P . 524.

وفى نفس الوقت الاهتمام بتحصين الإسكندرية والعريش باعتبارهما مفتاحي البلاد المصرية كما قال بونابرت من قبل[١]. ويضيف كليبر : "إنني عرفت أهمية السيطرة على مصر ، وكنت دائما ما أقول ونحن في أوروبا إنها تمثل بالنسبة لفرنسا نقطة التقاء للتجارة العالمية بين أنحاء العالم"[٢] .

وفى نهاية هذه الرسالة الطويلة التي استعرض فيها القائد العام الجديد أحوال جيش الشرق بعد أن تركه بونابرت يعانى بمفرده مسئولية بقاء هذا الجيش بمصر رغم ما تواجهه من صعاب جمة ، أعرب لحكومة الإدارة عن تحمله لهذه المسئولية واضعا كل إمكانياته تحت تصرف حكومته لنجاح مهمة الحملة في مصر وتحقيق أهدافها التي جاءت من أجلها ، واختتم كليبر رسالته بعدة ملاحظات تنبئ عن تلك الصعاب التي تواجهه في مصر عند كتابه تلك الرسالة؛ من ذلك أن بعض قطع الأسطول التركي تتحرك أمام شاطئ دمياط تنتظر أسطول قبطان باشا الذي تحرك من يافا حاملا كما يقول نحو ١٥ -٢٠ ألف رجل إلى جانب جيش الصدر الأعظم الذي تحرك من دمشق قاصدا مصر [٣] .

وعلى الرغم من أن الباحث الفرنسي قد كشف اللثام عن كثير من وجهات النظر التي تخالف آراء القائد العام في بعض الأحيان ، إلا أن الكتاب الوثائقي لكليبر في مجمله يعبر عن آراء وفكر الفرنسيين تجاه حملة الشرق على مصر وحتمية تحقيق أهدافها التي جاءت من أجلها .

وفى أول اجتماع لكليبر في بداية قيادته مع أعضاء الديوان يوم ٢٠ سبتمبر ١٧٩٩ حث كليبر أعضاء الديوان المصري على أن يطمأنوا المصريين على حياتهم

---

(١) Ibid , PP . 525 – 526.
(٢) Ibid , P . 529.
(٣) Ibid , PP . 530 – 531.

وأمورهم اليومية واحترامه للدين الإسلامي وأنه سوف يتمسك بتطبيق العدالة فيما بينهم(١).

ولقد شهدت الفترة الأولى من حكم كليبر هدوءاً ظاهرياً في القاهرة والأقاليم ولعل رسائل قادة الأقاليم إلى القيادة العامة في القاهرة تنبئ عن هذا الهدوء . مما أدى إلى قيامه بالاهتمام بشئون الجيش وتقويته وإنشاء الحصون والاستحكامات والمستشفيات ومعامل البارود والذخائر ، مما وطد مركز الفرنسيين بمصر ، ولم تكن تركيا قد أتمت استعداداتها بعد للمجيء إلى مصر بقواتها لإخراج الفرنسيين منها بعد هزيمة الجيش التركي على يد بونابرت على شاطئ أبى قير في أغسطس ١٧٩٩ ، مع فشل الإنجليز في محاصرة الشواطئ المصرية حصاراً كاملا لسوء الأحوال الجوية في البحر المتوسط ، وفشلهم في إنزال قواتهم بالقصير (أغسطس ١٧٩٩) بعد أن دافعت عنها حاميتها الفرنسية بشدة تحت قيادة مساعد الجنرال دونزلو Douzelot كما فشلت محاولات مراد بك في الاستحواذ على المنطقة ما بين أسيوط وجرجا نتيجة هجمات ديزيه وهرب مراد بقواته نحو الواحات بالصحراء الغربية .

على أن سلطة الفرنسيين على أرض مصر الشاسعة من أقصى الجنوب حتى أقصى الشمال كانت واهية والأتراك والإنجليز يواصلون استعداداتهم للهجوم على مصر، مع حصارهم للشواطئ المصرية وسوء حالة حاميات الثغور وخاصة حامية العريش التي ستواجه الغزو العثماني من الشرق ، ومع تفرق القوات الفرنسية في أنحاء البلاد المصرية التي بلغت نحو ٢٨ نقطة حربية ما بين أسوان جنوبا وحتى الإسكندرية والعريش شمالا . تطالعنا وثائق القائد العام الجديد بأولى منشوراته إلى أفراد الجيش الفرنسي بهذا الموقف الصعب بالنسبة للفرنسيين.

(١) Courrier de L'Egypte , No 38 .

وليس أدل على ذلك ما آل إليه حال جيش الشرق بمصر من تلك الرسالة التي كتبها المواطن تاليان Tallien إلي باراس Barras عضو الإدارة التنفيذية Member du Directoire Exécutif في ٣٠ فريمير سنة ٨ / ٢١ ديسمبر ١٧٩٩ والتي يصف فيها تاليان أحوال الفرنسيين بمصر فيتحدث عن انقطاع اتصالاتهم بفرنسا منذ فترة طويلة وحرمانهم من الكتابة لذويهم وعن تراخي نشاطهم في مصر، وما يجرى للفرنسيين في مصر " التي جئنا إليها ومعها كثير من الآلام وليس هناك أحد يهتم بأمورنا ولن نناقش دوافع وأهداف هذه الحملة هل لها هدف عظيم كما يقال وما هي وسائل التعامل مع إنجلترا ". ويقول تاليان: " لقد كلفنا غزو مصر الكثير لقد عانينا خلال بعض المعارك مع المماليك في دفاعهم عن هذا البلاد أمام احتلالنا لأجزائها . لقد هُزمنا في معركة أبى قير وتحطم أسطولنا بالكامل " .

" لقد أصبح موقف الفرنسيين في هذه البلاد صعبا بل أكثر صعوبة ومن الممكن التفاهم مع الصدر الأعظم للرحيل عنها بدلا من إعلان الباب العالي الحرب علينا وتحفيز السكان ضدنا في ثورة القاهرة والمنصورة ودمنهور حيث أُسر كثير من الفرنسيين مما كلفنا حياة أعظم شجعاننا بهدف الدفاع عن حريتنا وطرق مواصلاتنا بسبب هجمات الأعراب ومقاومتهم لنا في كل أنحاء البلاد شمالها وجنوبها ، وقد قام بونابرت بحملة سوريا لتحقيق أهداف الحملة ولم يعلق علي أهدافها وتوالت الأخطار عليها وإنني لم أرى هدفا واضحا لتحطيم الجيش تحت أسوار عكا – نصف فرقة خسرناها في المعارك أو نتيجة تفشي الأمراض والطاعون " [١].

لقد قتل عدد من الضباط الجنرالات أو جُرحوا واضطر بونابرت إلى أن يرفع الحصار عن عكا بعد ٤٠ يوما وليس أدل على ما آل إليه جيش الشرق بمصر من سوء من تلك الرسالة التي كتبها المواطن تاليان عضو الإدارة التنفيذية.

---

(١) Laurens , T .II , P . 326.

وكان موقف القوات الفرنسية صعبا حيث لم يكن بإمكان الجنرال كليبر المحافظة على أرواح ستة آلاف رجل في نقاط السواحل المصرية فقد كان عليه أن يحافظ على جميع النقاط الاستراتيجية والقلاع في دمياط والإسكندرية ورشيد والقاهرة والسويس والقصير والعريش وقطية والصالحية وبلبيس وجميع الأماكن التي يوجد بها قوات أخرى بما في ذلك القوات المتحركة في صعيد مصر والتي تطارد مراد بك ومماليكه بما يتطلبه من إنفاقات مالية كثيرة ، لقد ضعف الموقف الحربي للفرنسيين وخاصة في أواخر عام ١٧٩٩ حيث كانت ميزانية العام كله وإيرادات مصر لا تتجاوز ١٢ مليون (ريال) وفي هذه السنة زادت المصاعب التي واجهتهم خاصة وأن مياه النيل لم تكن كافية للزراعة في هذه السنة[١]. وبالتالي لم تستطع أي قرية تقديم المزيد للفرنسيين فالأرض لم تعط شيئا لأن السكان لم يتمكنوا من زراعة أراضيهم وبالتالي لم يكن بإمكان الفرنسيين إجبارهم على الدفع للإبقاء على حياة الجيش ، وقد غادر بونابرت البلاد وهم في حاجة إلى عشرة ملايين ريال كل يوم ، وكانت الأحوال سيئة حيث كانت الإنفاقات مستمرة ومتعاظمة يوما بعد يوم وعمليات الجيش مستمرة خارجيا وداخليا في مصر في ظروف غير عادية ، والموقف يتطلب مبالغ هائلة في كل عملية حربية للموظفين المدنيين والعسكريين علي السواء .

وحدث تمرد لبعض الحاميات ضد الأوامر العسكرية التي رفضت تلك الأوامر فلم تؤد واجبها كما حدث في حامية دمياط ولم يكن دفع الرواتب والأموال هو السبب في هذا التمرد ولكن منذ رحيل بونابرت فإن الجنود استهانوا بقادتهم لعدم كفاءتهم لأن الهدف الذي جاءوا من أجله لم يكن مقنعاً لهم . وقد حاول الجنرال كليبر توظيف جميع

---

(١) Ibid , P. 330.

الإمكانيات واستعمالها لتحسين الأحوال وتهدئة الأمور ومحاولة إيجاد موارد إضافية للجيش رغم الظروف غير العادية التي واجهته . وكان موقفه يزداد صعوبة يوما بعد يوم ، الحروب، والأمراض ، وحالة الرجال ، ونقص الموارد اللازمة وتدمير الأسطول في البحر المتوسط (أبو قير) وعدم وجود الوسائل الكافية لحفظ أرواح قواته. فلا أخبار عن حكومة الإدارة تصل إليه لتوجيهه لتحقيق الهدف الذي جاء إلي مصر من أجله.

لكل هذه الاعتبارات لم يكن هناك رجلا واحداً عاقلا يرى هدفا واضحا لهذه الحملة . فهذه الظروف الحالية التي تحياها قواتها لا تساعدها على البقاء بمصر وبقليل من الإصرار والقيادة الفعالة كان من الممكن إعادة ترتيب الأوضاع العامة للخروج من البلاد بشرف من أجل الجيش ومن أجل فرنسا وتوقيع معاهدة مع الإنجليز ، والاتفاق مع الأتراك والروس لتحقيق هذا الهدف وإعادة العلاقات التجارية مع دول الشرق لبقاء الجمهورية وجيشها ليكون ذا فائدة عظيمة لبلاده بعد أن حاربوا على أرض افريقية .

ويقول تاليان: " نحن نسعى لإحلال الهدوء بالوسائل السياسية من أجل حياة الفرنسيين ولتحقيق أهداف بلادنا ويجب العمل على الخروج من مصر . استحلفك بالله عزيزي المدير (باراس) افعل ما تستطيع من أجل إنقاذ الفرنسيين بمصر في كل يوم وكل لحظة للعودة إلى أرضنا لمحاربة أعداء الجمهورية " [١] .

---

(١) Ibid , PP . 331 – 332.

كليبر وإدارته للبلاد

سياسة كليبر العامة :

حاول الجنرال كليبر – خلال فترة حكمة القصيرة (٣١٥ يوماً) عن رفيقيه في قيادة الحملة بونابرت ومنو – أن يثبت دعائم الحكم الفرنسي في مصر من خلال استغلال الإمكانيات المتاحة لديه من موارد البلاد ، وانتهج لنفسه خطا سياسيا يضمن تحقيق هذا الهدف بتوقيع اتفاقية المصالحة مع مراد بك ، وتوقيع اتفاقية العريش مع الأتراك والعمل على تفتيت حدة المقاومة المصرية ، وتمزيق أواصر الوحدة الوطنية بين عنصري الأمة من المسلمين والنصارى ، ولكن القدر لم يمهله لتنفيذ مآربه كما كان يتمنى .

ومن أهم الوثائق الخاصة بكليبر تلك التي تهتم بتنظيم إدارة منطقة الإسكندرية الحربية والمالية ، والأوامر الموجهة للجند الفرنسيين ، من ذلك الأمر اليومي الصادر في ٢٦ ميسيدور (١٤ يوليو ١٧٩٨) والذي يشتمل على ست مواد يحذر فيها قواته من الاعتداء على الممتلكات الخاصة بالسكندريين وأرواحهم ومساجدهم وحرماتهم ، ومراسلاته المتعددة مع قائده العام بونابرت بالقاهرة ، ومع شريف الإسكندرية السيد محمد عبد الكريم (محمد كريم) ، ومع الجنرال منو – قائد منطقة رشيد[١].

لقد بدأ القائد العام الجديد يولى اهتمامه بالتنظيمات الإدارية وإعادة النظر في الحدود الإدارية لبعض الأقاليم المصرية (المديريات) التي كانت قائمة بضم بعض المدن والقرى إلي بعض الأقاليم الأخرى على حساب أقاليم أخرى وخاصة في أقاليم الوجه البحري في الشرقية والقليوبية والمنصورة[٢] .

---

(١) محفظة فترتها التاريخية من ١٨٠٠/١/١٠ إلي ١٨٠٠/١/٣١م وثائق أيام Laurens , OP.Cit ,Vol . I , PP 109 – 112 ,123 . 1,2,3,4,5,6.

(٢) Courrier de l Egypte , Nos .3,13.

وقد قام الجنرال ديزيه Désaix بتقسيم أقاليم الوجه القبلي الخاضعة للسيطرة الفعلية الفرنسية إلى قسمين إداريين رئيسيين : القسم الأول مركزه أسيوط ، والثاني مركزه قنا (طيبة) ، وتولى ديزيه بنفسه إدارة إقليم أسيوط لأهميته الاستراتيجية والاقتصادية وموقعه المتوسط بين أقاليم الصعيد ، وترك للجنرال بليار Bélliard إدارة قنا (طيبة) ، وظل هذا التقسيم الإداري للوجه القبلي قائما منذ بداية حملة الصعيد وحتى ١٤ سبتمبر ١٧٩٩ م (٢٨ فركتيدور من السنة السابعة) حينما أصدر الجنرال كليبر أمره اليومي المكون من عشر مواد نصت المادة الأولى منه على تقسيم مصر إلى ثمانية أقسام (مديريات) منها مديريتان رئيسيتان في الوجه القبلي ، وست في الوجه البحري بما في ذلك القاهرة وشمال الصعيد . وهذه الأقاليم الثمانية هي[١] :

١ – إقليم طيبة (قنا) ويتبعه جرجا وأسيوط وعاصمته أسيوط .

٢ – إقليم المنيا ويتبعه بني سويف والفيوم ، وعاصمته بني سويف .

٣ – إقليم القاهرة ويتبعه الجيزة والقليوبية وأطفيح .

٤ – إقليم الشرقية ويتبعه السويس والعريش وعاصمة بلبيس .

٥ – إقليم الإسكندرية ويتبعه البحيرة ورشيد وعاصمته الإسكندرية ,

٦ – إقليم دمياط والمنصورة وعاصمته دمياط .

٧ – إقليم الغربية وعاصمته سمنود .

٨ – إقليم المنوفية وعاصمته منوف .

وقد أمر كليبر بأن يتولى الجنرال منو قائدا للمنطقة الثانية (بني سويف والفيوم) بدلا من زايونشك وقد أرسل منو إلى القائد العام يشكره على هذا التعيين الذي يروق له لأنه يتوق إلى معرفة صعيد مصر الذي لم يره من قبل[٢] . ومن الجدير بالذكر أن

---

(١) محفظة فترتها التاريخية من أول مايو - ٣٠ مايو ١٨٠٠ (أول فلوريال – ١١ فلوريال من العام الثامن للجمهورية) ملف رقم 447 – B6 , وثيقة مؤرخة في ١٧ فلوريال من العام الثامن .
Laurens , OP.Cit , T. III, PP 51 -52.

(٢) général en chef Kléber au général Ménou , 24 Mai 1800 (4Prairial an 8) , Laurens, T.IV, P . 928.

الجنرال كليبر في أواخر أيام حكمه للبلاد أصدر أمره العام الذي يتكون من مـــادتين : المادة الأولى تنص على إنشاء جمرك في مدينة أسيوط، والثانية تنص على أن جميـــع البضائع والسلع التجارية المارة بالبواخر عبر أسيوط لا يسمح لها بالمرور في المناطق الخاضعة للسيادة الفرنسية إلا بعد دفع الرسوم التي تقررها الإدارة الفرنسية[١].

لقد كان كليبر حريصاً على تدعيم الوجود الفرنسي بمصر برغم أنه كان زاهداً في البقاء بها غير مقتنع بجدواها لبلاده ، لكنه مع ذلك حرص على أن يخرج بجنـــوده خروجا مشرفا بعد أن تغلب على المصاعب الجمة التي واجهته بعد رحيـــل بونـــابرت حاملا تركة ثقيلة على أكتافه ، ولهذا كان دائما ما يكرر أنه يجب الخروج مـــن هـــذه البلاد[٢] .بعدما حدثت انقسامات بين قواد الجيش الفرنسي في مناطق الدلتا المختلفـــة ، وانتشرت شائعات داخل الجيش وفى قيادة القاهرة أن القائد العام كليبر سوف يعود إلى فرنسا كما فعل بونابرت من قبل[٣] .

وكان الخلاف بين القائد العام الجنرال كليبر والجنرال منو واضحا بشأن اتفاقيـــة العريش حينما أرسل منو إلى قائده قائلا له : أنها كانت خطئا سياسياً وأن النصر الذي حققه الجيش الفرنسي على الأتراك تسبب في إثارة مشاعر المصريين ضد الفرنـــسيين وتشجيعهم على الثورة ، ويرد كليبر على منو بقوله : لقد توصلنا إلـــى اتفاقيـــة مـــع الأتراك سوف تؤدى إلى نتائج معقولة في مشروعنا صعب المنال بعدما تيقنت أنـــه لا يمكننا الحصول على أي مدد من فرنسا ولن نستطيع خلال حروبنا هذه إقامة مستعمرة في مصر ، ويختتم كليبر رسالته إلى منو بالقول الذي يجسد الخلاف في نظـــرة كـــل منهما الإستراتيجية لمشروع حملة الشرق :" إنك يا سيدي تضع الشرق نصب عينيك ،

---

(١) Order du général en chef Kléber , Le 24 Prairial an VIII (12 juin 1800), B6 45 . Laurens, T.IV, P . 966 .

(٢) Laurens , T . I , PP . 72 – 73 .

(٣) Le général en chef général Verdier á Ménou , Le 25 floréal an VIII (15 Mai 1800) , B6 113 , Laurens , T . IV , P . 898 .

وأنا أضع الغرب أمامي ولن نتفق أبدا "[١] ، تلك كانت رؤية كل منهما التي تختلف عن الآخر ، كليبر من أنصار الرحيل عن مصر ، ومنو من أنصار البقاء في مصر .

العلاقة بين بونابرت وكليبر

بدت مواهب الجنرال كليبر الحربية تظهر عندما اشترك في حروب الثورة الفرنسية ، وهو من خيرة وأكفاء الضباط الفرنسيين ، وله في نفوس الجنود منزلة عظيمة، وكان بونابرت يقدر مواهبه الحربية الفذة ، وتصادقا في ميادين الحروب الأوروبية وجاءا سوياً إلى مصر ، غير أن علاقاتهما قد اعتراها بعض الفتور نتيجة اعتزاز كليبر بنفسه ومعارضته لقائده الأعلى صراحة أمام غيره من قواد الحملة .

لقد بدأت بوادر الجفاء بين كليبر وبونابرت حينما تولى كليبر قيادة منطقة الإسكندرية إذ كان يعارض القائد العام في بعض أوامره وظهر ذلك من خلال رسائلهما المتبادلة بينهما خاصة فيما يتعلق بالإنفاقات المالية الكبيرة على البحرية الفرنسية التي تحطمت في أبى قير (أغسطس ١٧٩٨) ومحاولات بونابرت إعادة إحيائها الأمر الذي عارضه كليبر بالإسكندرية لحاجة الجيش إلى الأموال التي يفتقد إليها الفرنسيون . كما أن كليبر كان يعارض فرض الضرائب والغرامات والقروض الإجبارية لتدبير المال اللازم للقوات الفرنسية ، وهو الأمر الذي لجأ إليه كليبر نفسه فيما بعد حينما تولى القيادة العامة.

وفى ٢٨ أغسطس ١٧٩٨ أرسل كليبر إلى بونابرت يخبره بأنه دفع من الأموال التي أرسلها إليه مرتبات الجنود المتأخرة لأن الخزانة بالإسكندرية خاوية ، وهذه الأموال كانت مرسلة إلى القوميسير لروا Le Roi مدير مهمات الأسطول لإصلاح السفن المعطلة . فرد علية القائد العام في أول سبتمبر ١٧٩٨ يلومه على هذا التصرف ويأمره برد هذه المبالغ وهو مائة ألف فرنك إلى مسئول البحرية لتخصيصها فيما أمر

---

(١) Le général en chef Kléber au général Ménou , Le 3 Prairial an , VIII (23 Mai 1800), B644, Laurens, T. IV, P 920

به القائد العام ويتهمه بالإنفاق الزائد دون مبرر على المستشفى العسكري بالإسكندرية مما اعتبره كليبر اتهاما لنزاهته .

ورد كليبر على بونابرت يدافع بشدة عن ذمته المالية طالبا بإجراءات تحقيق معه ، بل طلب منه أن يوقفه عن العمل حتى انتهاء التحقيق لأنه يحتقر المال ولا يقبل أن تحوم حوله أية شبهة تشكك في ذمته ، فرد عليه بونابرت ليسترضيه في عدة رسائل أيام ٥، ٦، ٧ سبتمبر ١٧٩٨ (شهر فركيتدور) ولكن كليبر كان يلح على القائد العام بقبول استقالته لمرضه والعودة إلى فرنسا ، وعاد بونابرت يسترضى كليبر في رسالته في ٤ أكتوبر ١٧٩٨ رغم تدخل كافاريللى للصلح بينهما ، ونتيجة لاعتذارات بونابرت المتكررة وبناءً على رغبته توجه كليبر للقاهرة في ٢٢ أكتوبر ١٧٩٨ التي أصبح قائداً لها أثناء توجه بونابرت إلى السويس ثم مرافقته في حملة الشام [١] .

وفى رسالته للقائد العام كليبر يقول الجنرال منو: " إنني منذ أن أصبحت رجلا عسكريا وأسندت إلي المهام الحربية ومنذ أن كنت ضابطاً صغيراً وحتى أن أصبحت قائدا لفرقة عسكرية لم يكن لي هدفا سواء خلال العصر الملكي أو الجمهوري سوى العمل لمصلحة بلدي ، وأنا الآن رهن طاعتك فيّ تنفيذ ما تأمرني به ، وإنني أرغب في تحقيق أمنيتي في العودة إلى منطقة رشيد أو الإسكندرية لعلاقتي بهاتين المدينتين منذ وجودنا في مصر ، إنك يا سيدي القائد لو كلفتني بأي مهمة فلسوف أقوم بها على أكمل وجه حبا لبلدي وتحقيق حريتها .. أقسم بشرفي ليس لدى أي دافع سوى تحقيق هذا الهدف " [٢] .

---

(١) عبد الرحمن الرفعى : تاريخ الحركة القومية ،ج٢، القاهرة ، مطبعة النهضة ، ١٩٤٨، ص ص ٩٠-٩٢.

(٢) Le général Ménou au général en chef Kléber , Le 3 prairial an VIII (23 Mai 1800) B6 44 , Laurens,T. IV , P 921.

التنظيمات الحربية والعسكرية

عندما سافر بونابرت إلى فرنسا كان الجنرال كليبر موجودا بدمياط ، وعندما وصل إلى رشيد سلمه الجنرال منو الرسائل التي تركها له بونابرت وعلم من خلالها توليه للقيادة العامة ، وأشار بونابرت في تعليماته للقائد العام الجديد بضرورة إتمام تحصينات الإسكندرية والعريش والبرلس وأبى قير ودمياط ، وهى الثغور التي يستطيع العدو إنزال قواته بها على الشواطئ الشمالية ، وضم بونابرت في تعليماته لكليبر مذكرات أربع عن : الإدارة الداخلية ، وأعمال التحصينات، والدفاع ، والشئون السياسية[١] .

وعندما دخل كليبر القاهرة يوم ٣١ أغسطس ١٧٩٩ في موكب بهيج ، كانت أولى زياراته لقلاع القاهرة وثكنات الجيش بالجيزة كما قام بتفقد أحوال المستشفيات ، وزيارة مصانع البارود ، وفى الأيام التالية تفقد ثكنات الجيش وأعطى تعليماته بضرورة الاهتمام بالتدريب [٢].

وفى خضم الإصلاحات الحربية التي قام بها القائد العام بعد صراعه مع الأتراك العثمانيين فقد خاطب جنود الجيش بقوله :" لقد قصدت تخفيف آلامكم بعودتكم لوطنكم فالعقيدة السيئة لأعدائنا تتعارض ومشاريعنا " لقد وضعتم شجاعتكم فوق مكرهم.." ومن أجل الجنود أصدر الآتي [٣] :

المادة الأولى: يتم تدريب الجنود العاجزين تماما في نصف فرقة مكونة من كتيبتين (كل كتيبة مكونة من أربع سرايا) .

المادة الثانية : يكون لها قيادة خاصة بها ومركز خاص بها .

---

(١) محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ، ص ص ١٤٢ – ١٤٣ .

(٢) Courrier de L'Egypte , No 38.

(٣) Le général en chef Kléber aux invalides absolus de L'Armée , Le 20 germinal an VIII (12 Avril 1800) , B6 43 , Laurens , T.IV , P.818 .

المادة الثالثة : الكتيبة الأولى مقرها قلعة القاهرة ، والكتيبة الثانية في الإسكندرية ، والكتيبتان الأخريان في رشيد .

المادة الرابعة : تخضع هذه الكتائب لقواعد النظام العسكري للجيش الفرنسي إلا أن خدمتها تقتصر على الشرطة الداخلية فقط مع استخدامها في الحالات الطارئة .

المادة الخامسة : يتقاضى الضباط وصف الضباط والجنود لنفس الرواتب التي تمنح شهرياً لفرق المشاة.

ومن إجراءاته الإدارية أصدر القائد العام أمره اليومي في ٢٣ أبريل ١٨٠٠ المكون من أربع بنود لتشكيل لجنة مدنية حربية من المهندس المعماري بروتان Protain ، وشابير Chabert من هيئة أركان حرب الجيش ، ولوديار Laudiére مفوضاً عن إدارة الحرب (البند الأول) تتولى هذه اللجنة إجراء حصر لجميع المنازل الواقعة في محيط ميدان الأزبكية والشوارع المجاورة لتحديد ما يصلح منها كمقار للإدارات الحربية الفرنسية وإقامة الضباط والقادة الفرنسيين (البند الثاني) ووضع أرقام على هذه المنازل التي يقع عليها الاختيار ويتم ترتيبها حسب أفضليتها وأهميتها للفرنسيين [١] .

ثم أمر القائد العام بإرسال ٣٠٠ رجل من قوات الفرسان إلى الصعيد لمساندة الحملة هناك كما أرسل ٤٠٠ من رجال المدفعية إلى دمياط وعشرة إلى البرلس وعشرون إلى منطقة رشيد ، وطالب الجنرال فردييه Verdier بمراقبة المنطقة الواقعة ما بين قطية والإسكندرية ، كما استعان ببعض المماليك المسلحين للعمل في صفوف القوات الفرنسية [٢] .

---

(١) Ordre du général en chef Kléber , Le 3 floréal an VIII (23 Avril 1800) , B6 43 , Laurens , T. IV , 844.

(٢) Laurens , T.III , B6-113 , P. 184.

لقد نجح القائد العام كليبر في تحريك القوات الفرنسية في أقاليم الوجه البحري للدفاع عن البلاد ضد أي هجوم خارجي عليها وقد كان يتوقع الهجوم البريطاني القادم من البحر المتوسط عبر الإسكندرية – وهو ما حدث بعد ذلك في عهد خلفه منو – فقد قام بزيارة المناطق الشمالية متخذا من الرحمانية كموقع متوسط بين الإسكندرية في الشمال والقاهرة في الجنوب مركزا لقواته (١).

وقد قام الجنرال كليبر بإجراء تحركات عسكرية متعددة في مناطق العزبة ودمياط، والبرلس، والطينة، ورشيد أي مناطق السواحل الشمالية الشرقية وبناء برجين في البرلس والطينة وتوفير البحرية المتاحة للدفاع عن بوغاز البرلس في وقت الفيضان وحين اختفاء المراقبة البحرية للأسطول الإنجليزي .

ومن الغريب حقا أن يقول كليبر إلى رامبو " يجب أن نتحاشوا بقدر استطاعتكم أي نوع من أنواع التبديد للأموال والممتلكات أو المضايقات التعسفية" ، "وبمجرد إنزال العقوبة يجب أن يجد فينا السكان نفس الحماية ونفس مشاعر العدل كما كان عليه الأمر في الماضي" وصنع قطعتان بحريتان في بحيرة البرلس للدفاع عن مصب المدينة أو مصب أم فرج مع وجوب مساعدة حسن طوبار لنا ببعض المراكب (٢).

ولم يغفل الجنرال كليبر الاهتمام بأحوال السواحل الشمالية حينما كانت الزوارق البريطانية تجوب السواحل أمام الإسكندرية وأبي قير ، ومراقبة تحركات العدو فيما بين الإسكندرية ورشيد ، وقد طلب الجنرال منو قائد رشيد من قائده العام عشرون ألف فرنك لإنجاز هذه المهام على أكمل وجه (٣) ، وقد تمكنت بعض السفن الفرنسية من

---

(١) Le général en chef Kléber au Commandant de la Citadelle du Caire Dupas , le 13 Prairial an VIII (2 juin 1800), B6114 , Laurens ,T. IV , P .950 , Ibid , P P 949 ,954.

(٢) Le général en chef Kléber au général lanusse , Le 20 germinal an VIII (10 Avril1800) , B6 113 , Laurens , T. IV , P813.

(٣) Le général Menou général en chef Kléber , Rosette , Le B633 , Laurens , T .III , P . 178.

الدخول إلى ميناء الإسكندرية تحمل إمدادات للمدفعية والبحرية أرسلتها حكومة الإدارة في فرنسا لتحصين السواحل المصرية [١] .

ويؤكد القائد العام لقواده على ضرورة إقامة التحصينات الهامة بمواقع الطينة ، وديبه، والبوغاز وأم فرج وحراستها لأهميتها الحربية في طريق الفرنسيين نحو دمياط العريش في مواجهة الأتراك العثمانيين [٢]. ومن هذا المنطلق فقد قام قائد فرقة المهندسين سانسون Sanson بأمر أحد ضباطه المهندسين في منطقة بلبيس بهدم أحد أحياء المدينة لإقامة استحكامات حربية وأبراج لمراقبة المدينة وضواحيها [٣] وأمر الصراف العام Payeur général بصرف مبلغ ستة آلاف ريال لإتمام تحصينات بلبيس والصالحية، بعد أن قام بصرف مائتي ألف ريال من قبل لتحصينات بلبيس [٤].

ويطلب كليبر من لانوس تعيين قائداً عسكرياً جاداً لديه الحماس والحزم وغير مشكوك فيه" لقيادة منطقة أبى قير حتى لا يحدث للفرنسيين ما لا يحمد عقباه في هذه المنطقة التي يرنو إليها الأتراك قائلاً :" سأرسل لك رسالة عبر الرحمانية وسوف أمدك بكتيبة من الفرسان لحراسة السواحل لكي لا يحاول العدو الدخول من دمياط أو البرلس أو رشيد أو أبو قير ، وسوف يقوم الجنرال رامبو بمساعدتك عند الحاجة وفى الوقت المناسب ، وقد أوكلت للمساعد مارتييه عملية تنظيم الدفاع عن السواحل عند مناطق أم فرج Omm Fareg وديبه Dibeh والبوغاز Boghaz بدمياط ومنفذ البرلس وبوغاز رشيد [٥] ، ويشدد على الجنرال لانوس بضرورة إجراء الإصلاحات اللازمة لمنشآت

---

(١) Ibid , T . IV , P. 848.

(٢) Le général en chef Kléber au général de division Rampon à Damiette , le 21 floréal an VIII (11 Mai 1800), B6113, Laurens , T. IV , p . 890.

(٣) Ibid , B644 et B6113 , PP . 848-897.

(٤) Ibid , T .III , B6113 , PP .322 – 323.

(٥) Le général en chef Kléber au général lanusse , Le 8 floréal an VIII(28 Avril 1800) , B6 113 , Laurens , T.IV , P P.849 – 850.

الإسكندرية بعد الانتهاء من أعمال دمياط وموافاة القيادة العامة بالقاهرة بما تم إنجازه[١].

ويحث الجنرال كليبر قواده على متابعة قوات عثمان بك الطمبورجى وحث القوات الفرنسية على مراقبة بلبيس والصالحية إزاء تحركات الأتراك في المناطق الشرقية من البلاد ، مع استمرار مساعدة الجنرال موران في سيره نحو العريش من طريق قطية ، وتأمين طرق المواصلات فيما بين قطية والعريش بقوات الجنرال ديستان والذي كان قائداً لحامية الرحمانية من قبل [٢] .

ويهتم كليبر بأعمال التحصينات الحربية خلال شهر مايو ١٨٠٠ ويضع تحت إمرة قائد الفرقة سانسون Sanson عشرون ألف ريال لهذه المهمة ، كما يقوم بتكليف المواطن بروتان Pratain بالإشراف على أعمال التحصينات بقلاع القاهرة التي أصبحت ضرورية في هذه الفترة [٣] ، وجعل المناطق الهامة بالقاهرة الفاطمية تحت الاستعداد للدفاع عن المدينة مثل باب النصر ، وباب الفتوح والأسوار التي تربط بينهما والمسجد الكبير ، والأبواب الأخرى في تلك المنطقة الهامة للدفاع عن قلب القاهرة القديمة [٤] وأمر الصراف العام بصرف مبلغ ٤٧٩ قرش أسباني Piastres d'Espagne للجنرال سونجيه Songis قائد مدفعية الجيش لإتمام هذه التحصينات الخاصة بالمدفعية [٥] كما أمر قائد المساحة بالاستيلاء فوراً على مساجد بولاق إثر ثورة القاهرة وذلك لاستخدامها كمراكز عسكرية للفرنسيين وتوقيف وظيفتها الدينية ، مع شق الطرق الجديدة وسط أحياء المنطقة تيسيرا لمرور الفرق الفرنسية ، وهدم المنازل

---

(١) Ibid , B6113 , P 340.

(٢) Laurens , T. III , P. P 384 – 386.

(٣) Le général en chef Kléber au général Sanaon , le 19 floréal an VIII (9 Mai 1800) , B6113, Laurens , T. IV , p 882.

(٤) Ibid , B 6 113 , Le général en chef Kléber au lanusse , à Alexandrie , le 12 floréal an VIII (11 Mai 1800) , PP . 891 - 892.

(٥) Ibid , T .III , B6113 , P 323.

الواقعة على نيل بولاق بغرض إنشاء رصيف بحري طويل على النيل ، وبناء برجين للمراقبة على طول هذا الرصيف [١]، وقد أرسل الجنرال كليبر نفس الأمر إلى الجنرال سانسون – قائد فرقة المهندسين .

وقد أوضح قائد الفرقة الجنرال ديزيه والمواطن بوسيليج عضوا لجنة التفاوض مع الأتراك لقائدهم العام الأهمية الحربية لمواقع العريش وقطية باعتبارها مراكز رئيسية في طريق الجيش العثماني عند غزوه لمصر ، والإبقاء على الحالة الحربية الراهنة من الاستعداد "in statu quo" [٢].

وقد وافق السير سدنى سميث على منح جوازات سفر لترحيل الجرحى من الفرنسيين إلي فرنسا والذين بلغ عددهم ستمائة جريح ، حينما قام الكولونيل جون دوجلاس Le Colonel John Douglas بإرسال الكولونيل برومللى C.Bromley ليتولى قيادة تحصينات قلعة العريش التي صارت في حوزة القوات البريطانية بعد طرد الفرنسيين منها [٣].

كما أمر القائد العام الصراف العام بصرف مبلغ ٥٤ ألف ريال للإنفاق علي بناء تحصينات جديدة بالقاهرة ودمياط والإسكندرية [٤] بعد أن تولى الجنرال ديزيه القيادة في مناطق الطينة ، ودمياط ، وقطية على الحدود مع بلاد الشام [٥] وتحصين بلبيس والصالحية وتقويتها ببعض كتائب الفرسان [٦].

---

(١) Ordre du général en chef Kléber au Commandant du genie , Le Caire ,Le 25 floréal an VIII (15 Avril 1800), B6 43, Laurens , T. IV, P 824.

(٢) Le général de divison Désaix et le Citoyen Poussielgue au général en chef Kléber , Damiette , Le nivôse an VIII (22 décembre 1799) , B6111 , laurens , T. III , P 346.

(٣) Le général en chef Kléber au général Désaix , Le Caire , le 26 Frimaire an VIII (17 Décembre 1799) , B6 111 , Laurens , T. III , P 312.

(٤) Le général en chef Kléber au Payeur général , le 25 vendemiaire an VII 17 Octobre 1799) , B6113, Laurens , P 177.

(٥) Ibid , P . 177.

(٦) Ibid , B6113 , P. 337.

وينبه الجنرال كليبر أثناء دخول العثمانيين البلاد على قائده فرديه Verdier بضرورة إصلاح الجسور والطرق المؤدية من القاهرة إلى مناطق الدلتا ، كما يطالبه والقواد الآخرون بحث المسيحيين الذين لم يسددوا الضرائب على تسديد الضرائب الواجبة عليهم لسد حاجة الجيش الحربية [١] .

ويؤكد كليبر على اهتمامه بإصلاح الكبارى والجسور في أنحاء القاهرة والجيزة ويطلب من الجنرال لانوس إرسال ثمانية عشر مهندساً عسكرياً للقيام بهذه المهمة [٢] ، وأولي رعايته الفائقة بتنظيف القنوات وإصلاح الجسور في القاهرة وغيرها من المدن وعلى رأس هذه القنوات قناة الإسكندرية والتي تبدأ من فرع نهر النيل الغربي أمام مدينة الرحمانية وتطهيرها ورفع كميات الطمي المترسبة في أعماقها كي تستمر فيها الملاحة طوال العام لنقل المؤن والعتاد اللازم للقوات ما بين القاهرة والإسكندرية ، والاستفادة منها كمصدر رئيسي للماء العذب اللازم لأفراد الحامية الفرنسية بالثغر السكندري [٣] .

ويؤكد القائد العام على مدى اهتمامه بالقوة البحرية المتبقية للفرنسيين في مصر أمام الإسكندرية إذ يرسل إلى المواطن جوين Guien قائد السفينة فيزو Vaisseau – قائد أركان حرب البحرية بالإسكندرية لإعادة ترتيب أوضاع السفن والزوارق الحربية الراسية في مياه الإسكندرية ، وتلك السفن الصغيرة والزوارق والفرقاطات التي تجوب النيل ذهابا وإيابا من الإسكندرية إلى القاهرة والعكس وزيادة هذه السفن بإضافة فرقاطة لها يقودها أحد الضباط ، ويطالب كليبر جوين بوضع جدول يوضح فيه مهمة كل سفينة واسمها وتاريخ صناعتها وكل ما يتعلق بها ، ويوصيه بالحفاظ على هذه السفن في حالة جيدة وصالحة للعمل دوما في النيل وفروعه من الترع وعلى أن يكون مقر تجمعها ثغر

---

(١) Le général en chef Kléber au général de division Verdier , le 12 floréal an VIII (11 Mai 1800) , B6113, Laurens , T. IV , p . 889.

(٢) Le général en chef Kléber au général Lanusse , le 16 floréal an VIII (6 Mai 1800) , B6113, Laurens , T. IV , p . 875 .

(٣) Ibid , P . 875.

الإسكندرية [١] كما أرسل القائد العام إلى مدير البحرية كي يرسل بعض المرؤسين لـه إلى بولاق لاستلام ما تم مصادرته من أهالي بولاق وأن يودع بالمخازن مـن الزفـت والحبال والقطران والأقمشة الضرورية للقطع البحرية الفرنسية في مصر [٢].

ولم يغفل القائد العام بجانب اهتماماته الحربية وتطـوير أداء الجـيش أن يـولى اهتماماته بالصناعات الحربية التي يحتاجها الفرنسيون وتحسين أساليب التجارة الداخلية خاصة وأن التجارة الخارجية تقلصت نتيجة الحصار البحري على الشواطئ إلى جانب اهتماماته بتحسين وسائل زراعة بعض المحاصيل التـي يحتـاج إليهـا الفرنـسيون كالخضروات والفواكه على مشارف القاهرة ، ويتضح مدى هذا الاهتمام مـن خـلال مراسلاته مع أعضاء اللجنة الإدارية للجيش [٣] ، كما اهتم بتأمين الملاحة الساحلية على شواطئ الإسكندرية، ورشيد، دمياط وميناء بولاق بما يعود على التجارة الداخلية بالنفع لصالح الجيش الفرنسي [٤] .

وفى أمره اليومي في ١٦ ابريل ١٨٠٠ م المكون من سبع مواد يؤكد الحاكم العام على ضرورة تنظيم أعمال الميناء بالإسكندرية والذي تمثل في سرعة تفريغ البـضائع والإمدادات الغذائية الواردة للفرنسيين في مصر كما كان متبعا من قبـل ، والحـرص على تخزينها بمخازن الجمرك بما في ذلك الأسلحة والمعدات والذخائر [٥] .

واهتم كذلك بفرق الجمال اللازمة لجر المدافع وحمل المهمات والبريد والإسعاف (Ambulance) ولم يتوان عن دفع الأموال لشيوخ العرب لشرائها أو تأجيرهـا لأداء

---

(١) Le général en chef Kléber au général de Citoyen Guien Captian de Vaisseau, Chef de L'etat Major Maritime à Alexandrie , Le 3 nivôse an VIII (24 décembre 1799) , B6111, laurens, T .Iv , PP 338 – 339 .

(٢) Le général en chef Kléber à L Ordrenateur de la Marine , Le 25 germinal an VIII (15 Avril 1800) , B6 113 , Laurens , T.IV , P 824.

(٣) Le général en chef Kléber au Comité Administratif , Le I^er Prairial an VIII (21 Mai 1800) , B6 113 , Laurens , T . IV , P .911.

(٤) Ibid , B 6 113 , Le général en chef Kléber au général lanusse , le 23 floréal an VIII (13 Mai 1800) , P 895.

(٥) Ordre du général en chef Kléber , Le 26 germinal an VIII (16 Avril 1800), B6 43 , Laurens , T . IV , P 826.

خدمات الجيش بسهولة ويسر [١]. وقام بتخصيص مائتي جمل للحالات الطارئة وتجهيزها للعمل في خدمة الجيش [٢] وأولي الملاحة النهرية اهتماما بالغا لأهميتها فى نقل البريد اليومي لفرقه المنتشرة في أنحاء البلاد [٣] وأمر الصراف العام بصرف مبلغ ٣٢٩٧ قرش أسباني Piasters d'Espagne لشراء جمال إضافية لفرق المدفعية وغيرها من فرق خدمات الجيش [٤].

ويؤكد الجنرال كليبر في هذه الوثيقة وهى من الوثائق النادرة من وثائق الحاكم العام التي تحمل لقب (جنرال général) فقط دون أن تشير إليه كقائد عام général en chef – كما أنها تحمل مكان إرسالها وهو مقر القيادة العامة بالقاهرة – يؤكد للجنرال رينيه على ضرورة البقاء بقواته في بلبيس لحمايتها على أن يرسل له الأموال اللازمة لإعاشة الجند وشراء ما يلزم مما هو غير متوافر لدى المخازن من أقوات للحفاظ على الأموال الضرورية للجيش ، ويشير القائد العام بما قامت به فرقة رينيه في الصالحية أمام القوات العثمانية [٥]، ويطالب الجنرال رينيه بشراء ما هو ضروري لقواته من الأقوات من القرى المحيطة بقواته في مناطق بلبيس بمساعدة الجنرال موران والجنرال روبان[٦] .

---

(١) Le général en chef Kléber au Payeur général , le 10 floréal an VIII (30 Avril 1800) , B6 113, Laurens , T.IV , p . 862.

(٢) Ibid , P 902.

(٣) Ibid , B6 113 , P 895.

(٤) Ibid , T . III , B6 113, P 323.

(٥) Le général en chef Kléber au général Reynier , Le Caire , le 10 Nivôse an VIII (31 Décembre 1799) , Laurens , T.379 , P379.

(٦) Ibid , P 380.

سياسة فرض الضرائب والقروض الإجبارية

عند دخول الفرنسيين القاهرة في يوليو ١٧٩٨ كانوا في حاجة ماسة إلى مبلغ ٣٠٠ ألف ريال لشراء حاجاتهم الضرورية الأولية بخلاف ما يحتاجون إليه من ملايين أخرى لحملة الصعيد ، وعندما رحل بونابرت إلى فرنسا (١٧٩٩) كان الفرنسيون في أشد الحاجة للحبوب ومبلغ يزيد على عشرة ملايين ريال على الرغم من أنهم جاءوا ومعهم عملات أسبانية حولوها إلى عملة المدينى وغيره من النقود المستخدمة في مصر حيث كانت خزينة الجيش خاوية[١] .

وتصدرت أوامر القائد العام الجنرال كليبر في ٢٠ جرمينال من العام الثامن / ١٠ أبريل ١٨٠٠ م إلى قائد الفرقة الجنرال لانوس بالإسكندرية كلماته القليلة والمعبرة عما آلت إليه أحوال الجيش الفرنسي في مصر والتي قال فيها :" سوف نتورط تماما في فرض الضرائب .." ، وهكذا شغلت جهود القائد العام إيجاد موارد مالية جديدة لازمة للجيش ؛ حيزاً كبيراً من سياسته العامة لتدعيم الوجود الفرنسي في البلاد رغم عزوفه عن البقاء في مصر .

ومع بداية تولى الجنرال كليبر القيادة العامة أصدر أمره اليومي في ٤ سبتمبر ١٧٩٩ (٢٨ فركتيدور من السنة السابعة) الذي نص على تقسيم مصر إلى أقاليم وتضمنت المادة الخامسة من هذا الأمر : أن كل كشوف تحصيل ضرائب الأقاليم للعام ١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م يتم تصميمها وطباعتها طبقا لما هو متعارف عليه لكي يضمن دقة التحصيل ، وفى المادة التاسعة أوجب على الصرافين العموميين وهم من الأقباط والمدير العام للمالية الفرنسية أن ينهضوا بمسئولياتهم كل فيما يخصه وقد طبع هذا الأمر بالفرنسية والعربية ، كما نصت المادة العاشرة والأخيرة لهذا الأمر اليومي على

(١) Le Citoyen Poussielgue au Directoire Exécutif , le 17 vendémiaire an VIII (9 Octobre 1799) B6111 , Laurens , T.III , P 146.

أن يتم تحديد وتسمية المدن والقرى المصرية وحصرها داخل كل إقليم وتقديمها مطبوعة باللغتين الفرنسية والعربية إلى محصلي الضرائب المذكورين[١] .

وألحق القائد العام أمره السابق المنشور والصادر باللغتين الفرنسية والعربية ، أمراً آخر في ١٤ سبتمبر نقله لورانس عن روسو Rousseau لأن أرشيف قنسن لم يسعفه في العثور على هذه الوثيقة[٢] . الذي يتكون من أربع مواد ويرتبط ارتباطا مباشرا بالمنشور الأول ينظم فيه الأمور المالية الخاصة بالأقاليم المصرية (المديريات) ففي المادة الأولى قرر القائد العام أن يقوم الصراف العام بتحصيل جميع الضرائب المفروضة على البلاد والنهوض بأعباء دفع المصروفات في الأقاليم المصرح له العمل فيها بالتحصيل وهم : صرافي Payeurs: القاهرة ، وسمنود ، والإسكندرية ، وبلبيس ، ودمياط ، ومنوف ، وبنى سويف ، وأسيوط .

كما نصت المادة الثانية على أن يتولى صراف القاهرة أعباء إقليم القاهرة ، وأطفيح والقليوبية والجيزة ، أما صراف الإسكندرية فينهض بأعمال إقليم دمياط والمنصورة . وصراف منوف يتولى إقليم منوف فقط ، أما صراف سمنود فيتولى إقليم الغربية ، وصراف بلبيس يتولى خدمة أقاليم بنى سويف والفيوم والمنيا ، أما صراف أسيوط فيتولى أقاليم أسيوط وطيبة (الأقصر) وجرجا .

ونصت المادة الثالثة على أن تكون تحت إمرة كل صراف معاون للقيام بجباية الضرائب طبقا لأمر قيادته في المنطقة التابع لها. ونصت المادة الرابعة على أن المبالغ التي يتم تحصيلها في المناطق التي لا يقيم فيها الصراف العام يتم تحويلها خلال ٢٤ ساعة إلى مقر إقامة الصراف العام طبقا لما ورد في المادة الأولى حتى يتم توريدها للخزينة الرئيسية، وعلى جميع الكتبه والمحصلين الأقباط والوكلاء الفرنسيين تنفيذ هذا

---

(١) Le général en chef Kléber au Payeur général , le 27 fructidor an VII (13 Septembre 1799) , B6113 , Laurens , T.III , PP 51 -52.

(٢) Ordere du jour du général en chef Kléber , le 26 fructidor an VII .(14 Septembre 1799) , Laurens , T.III , p 53.

الأمر ، ولا يسمح لهم بالتأخير إلا بتفويض من الصراف العام ومن يخالف ذلك يُعاقب بالعزل من وظيفته ودفع غرامة ثلاثة آلاف تالارى [١] .

وفى أول رسالة وجهها إلى القائد العام الجديد أكبر قواده وهو الجنرال منو - قائد منطقة الإسكندرية ورشيد في نفس اليوم (١٤ سبتمبر) - يعبر له فيها عن احتياجات مدينة الإسكندرية الحربية وموقف حاميتها التي تحتاج إلى المؤن والأغذية كما جاء في رسائل قوميسير الحرب المتكررة للقيادة العامة وقبل رحيل بونابرت وحتى لحظة رحيله بعد أن فرض قروض إجبارية بلغت ٦٠ ألف ريال فرنسي على التجار التوسكان وتجار نابولى ، كما خاطبه منو بشأن تأمين مجرى قناة الإسكندرية الذي أصبح مهددا بسبب عصيان أهل البحيرة وتعديهم على ذلك المجرى المائي الهام للفرنسيين ، ويحتاج إصلاح المجرى إلى الجمال ومبلغ قدره ألف مديني ليصبح صالحا للملاحة طوال العام ، بعد أن تكررت محاولات عربان البحيرة لمنع ورود المياه للإسكندرية رغم مجهودات القيادة الفرنسية لتأمين وصولها إليهم[٢] والتي لم تكلل بالنجاح كثيرا نظرا للأحداث السياسية بإقليم البحيرة .

ومع بداية عهده وحرصه على إعادة ترتيب أوضاع البلاد الحربية والاقتصادية أرسل القائد العام كليبر إلى الجنرال زايونشك Zayonchek في بنى سويف يوم ٤ سبتمبر ١٧٩٩ (١٨ فركتيدور من السنة السابعة) مبلغ ١٥٠ ألف ريال لتدبير الاحتياجات الملحة للقوات الفرنسية الموجود بالصعيد تحت قيادته ، وهذا المبلغ يمثل نصف ما طلبه زايونشك من قبل[٣] .

---

(١) Ibid , T.III , PP 53 – 54.
(٢) Courrier de L'Egypte , Nos , 3,13.
(٣) Laurens , T.III , p 15.

ومن أوامر كليبر اليومية ذلك الأمر الذي أصدره في (٥ سبتمبر ١٧٩٩) للطوابير الطوافة بالأقاليم المصرية للقيام بواجبها باستلام المؤن المفروضة على القرى، ونبه على هذه الطوابير بضرورة حماية محصلي الضرائب[١] .

وكان للإنهيار الاقتصادي الذي أصاب البلاد أن أصبحت الإدارة الفرنسية عاجزة عن القيام باحتياجات قواتها ، ولهذا لجأت إلى فرض الغرامات والمصادرات والسندات على الخزانة[٢] ، ففي نفس اليوم (٥ سبتمبر) استهل مكاتباته مع القائد الثاني للحملة بالإسكندرية الجنرال منو يطلب منه فرض قروض إجبارية على البيوت التجارية بالثغر السكندري ومنها بيريه سوڤان Perret Sauvan وجوزيف Joseph – وهم من التجار الإيطاليين الذين كانت لهم معاملات تجارية مع السيد محمد كريم – مع مصادرة المبالغ التي في حوزتهم لصالح تركة حاكم الإسكندرية ، واستمرت سياسة المصادرات والنهب والسلب رغم أن النيل جاء منخفضا في نفس العام (١٧٩٩) الذي تولى فيه كليبر القيادة وتأثرت به الحركة التجارية نتيجة الحصار البحري الإنجليزي المفروض على السواحل المصرية مما أدى إلى كساد الأحوال رغم أن الجنرال كليبر قد عارض بونابرت من قبل بسبب فرض الضرائب والمصادرات ، فإنه قد لجأ إلى إتباع نفس هذه الوسائل بعد توليه القيادة العامة على الرغم من أنه كان على علم بسوء الأحوال المالية والاقتصادية في البلاد ، ولكنه كان مرغما على اتباع هذا الأسلوب الذي يتنافى تماما مع تثبيت دعائم سلطة الفرنسيين في مصر[٣]، حيث رأي الجنرال منو أنه بالإمكان تحصيل مبالغ كبيرة لصالح الجيش الفرنسي من الإسكندرية وإقليم البحيرة .

---

(١) Ibid , T.III , P 17.

(٢) محفظة فترتها التاريخية من ١٨ / ١١/ ١٧٩٨ إلى ١٨ /٤ /١٨٠١، وثيقة رقم B6 151.

(٣) جلال يحي : مصر الحديثة ١٥١٧ – ١٨٠٥ م ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٦٩ ، ص ص ٤٤٧ – ٤٤٨ .

وكان حرص القائد العام كليبر واضحا منذ البداية لاستكمال بعض الترتيبات العسكرية بالقاهرة ، ويظهر ذلك بوضوح من خلال أمره اليومي (٥ سبتمبر ١٧٩٩) إلى الجنرال سانسون Sanson – قائد المهندسين والذي يخبره فيه كليبر أنه قام بإصدار أمره إلى القوميسير العام للجيش بصرف مبلغ مائة ألف ريال كان الجنرال بونابرت قد خصصها له من قبل لإقامة بعض المنشآت الحربية بالقاهرة منها إنشاء مستشفى عسكري على أحد ممتلكات إبراهيم بك وأخرى بالقلعة ، وكذلك ما يقام من أعمال أخرى ضرورية للجيش الفرنسي[١] .

ومن الواضح أن الأوامر اليومية للقائد العام الجديد والرسائل المتبادلة بينه وبين قواده ومرؤسيه ولمدة نحو شهر كامل منذ توليه القيادة العامة في ٢٣ أغسطس ١٧٩٩ (٦ فركتيدور من السنة السابعة) تؤكد اهتمامه وحرصه الشديد على تدعيم موقف الفرنسيين الحربي في مصر .

ولعل من أهم أوامر القائد العام الباكرة ذلك الأمر اليومي في ٧ سبتمبر ١٧٩٩(٢١ فركتيدور من السنة السابعة) إلى الجنرال ديزيه Désaix قائد حملة الصعيد يطلب منه القائد العام جمع ما يعادل مبلغ ثلاثمائة ألف فرنك وثلاثمائة أو أربعمائة جمل لأنه في أشد الحاجة إليها قائلا له :" إنك سوف تسدى إلى أعظم خدمة " وبرر القائد العام طلباته من ديزيه بسبب تواتر الأخبار عن تحركات يوسف باشا في سوريا متجها من دمشق ومعه ثمانية عشر ألف رجل قاصداً مصر [٢] .

أما عن موقف الفلاح المصري: فقد كان الفلاح يدفع عدة ضرائب على الأرض الزراعية ، ويقول بوسيليج إن الفلاح ملزم بدفع ضرائب ثابتة ومحددة سلفا دون أن

(١) Ibid , T.III , P 23.
(٢) Ibid , TIII , P .28.

ترتبط بالإنتاج زيادة أو نقصانا سواء نقدا أم عينا ، وتقسم هذه الضرائب إلى ثلاثة أقسام عامة هي :

١ - الميرى وهى ضريبة على العقارات تؤدى إلى الحاكم أو الوالي يتم تحصيلها من البلاد المختلفة وتسلم إلى الأفندية المكلفين بهذا العمل .

وهناك ضريبة ميرى رتبت على الأرض وبلغت ثلاثة ملايين ريال ولها سجلات لدافعي هذه الضرائب .

٢ - النوع الثاني من الضرائب يدفع في أوقات معينة ويسمى الفائظ وهى زيادة تضاف على الميرى الأصلي وهى ضمن الثلاثة ملايين .

٣ - النوع الثالث يسمى البرانى أو المضاف ويتكون من :

أ - الزائد عن الضرائب المفروضة أو المقررة وملحق على الفائظ.

ب - سخرة فوق العادة (غير عادية) على جميع الأعمال بالقرى مادية وعينية .

ج - مصروفات على مرور القوافل بالقرى في الولاية والمنشآت القائمة... وغيرها.

د - رسوم علي جميع مصروفات إدارة القرى في الولاية والمنشآت القائمة... وغيرها.

وهذه النوعية الثالثة على جميع المنشآت في مصر تغل نحو ٦ مليون وأربعمائة ألف ريال. إلا أنها بلغت أخيرا نحو ١,٣٠٠,٠٠٠ ريال من خلال الكشاف في كل الولايات ، ومن دخول زارع الأرض في مصر من خلال المحصلين الأقباط بخلاف ما يسرق دون حدود بواسطتهم ويبلغ نحو ١٤ مليون ريال[١] .

وقد نزل بالناس كثير من البلاء نتيجة الفرد والغرامات التي فرضها الفرنسيون على الأهالي وخاصة في القاهرة فكان الشخص يدفع غرامتان أو ثلاثة في وقت واحد ، واستدان الناس فلم يجد بعضهم من يدينه وحاولوا بيع متاعهم ولم يجدوا من يشتريه ، وباعت السيدات مصاغهن وحليهن وأثاث البيوت من فرش ونحاس وملبوس ، ولم يركب الناس البغال ومنعت عليهم باستثناء قليل من العلماء والنصارى والمترجمين ،

(١) Ibid , pp . 141 – 143.

وهاجم الجند الفرنسيون المنازل وهتكوا حرمتها ولم يجدوا شيئا بعد أن فرضوا الغرامات على أقرباء الشخص وأهل حرمته[١] .

وقام كليبر بتوزيع الغرامات على سكان القاهرة على اختلاف طوائفهم وطبقاتهم وطلب من أعضاء الديوان أن يتركوا منهم خمسة عشر رجلا رهينة للوفاء بهذه الغرامات، وأما النصارى فقد قال لهم في الديوان " وأما النصارى لا يساعدوكم بذلك " أي أن كليبر أعفاهم من دفع تلك الغرامة . كما طلب كليبر من أعضاء الديوان دفع " ثمن عشرين ألف بندقية، وخمسة عشر ألف جوزطبنجات ، وعشرة آلاف سيف ، وأربعمائة بغل ، ومائة حصان"[٢] .

وقد انتهى رأى أعضاء الديوان فيما بينهم بتوزيع تلك الغرامات على القرداتية والتجار وأهل الغوريه وخان الخليل والصاغة والنحاسين والدلالين والقبانية وغيرهم من أهل الصنائع والحرف وجعلوا على الأملاك والعقارات والدور أجرة سنة كاملة[٣] ، وقد قام القائد العام بفرض ضرائب جديدة على المنازل والعقارات برغم تأثير هذا الإجراء على نجاح إدارته للبلاد[٤] .

وأمر الجنرال لانوس Lanusse – قائد الفرقة الخامسة بمنطقة الإسكندرية في ٢٨ فريمير من السنة الثامنة بأن يقوم تجار مدن رشيد ، وفوه، وسنديون بجمع ثلاثين ألف بوطاقة خلال أربع وعشرين ساعة ويتسلمون إيصالات تفيد سدادهم المبالغ المقررة كسندات على حساب الميرى لعام ١٢١٤ هـ موقعة من الصراف والوكيل الفرنسي ، كما قامت الطوابير المتحركة التابعة للفرقة الخامسة بجمع الأموال عنوة من

---

(١) الجبرتى : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ج ٢ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٣٤٩ .
(٢) مذكرات نقولا ترك : مذكرات نشرها وترجمها وعلق عليها جاستون ڤييت القاهرة ، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٥٠ ، ص ٩٠ .
(٣) وجيه على أبو حمزة : القاهرة في عصر الحملة الفرنسية ، رسالة ماجستير لم تنشر ، جامعة المنيا ، ١٩٨١ ، ص ٢٦٠ .
(٤) Laurens , T.III , B6 113 , p . 182.

خلال القرى المحيطة بالإسكندرية مع تجريد تسعة من الأهالي من كل ممتلكاتهم في مناطق الإسكندرية ، ورشيد ، والرحمانية [١] .

وقد وجه القائد العام شكره إلى المواطن تشانالىّ Chanaleilles على مجهوده الوافر في تحصيل الضرائب المفروضة على المصريين والتي يتولى تحصيلها الأقباط العاملون تحت الإدارة الفرنسية لعام ١٢١٣ ، ١٢١٤ هـ [٢] .

المصادرات :

بعد قضاء كليبر على ثورة القاهرة بقوة السلاح أصبحت العاصمة فريسة للقائد الفرنسي يستبيح لنفسه ولجنوده ما يشاء ولم تنج الإسكندرية من المصادرات ، فقام الفرنسيون بنقل ما بداخل الوكالات والحواصل عنوة وطبقا لدفاتر السيد إبراهيم زين الدين القباني بالثغر السكندري فقد صادروا ما يقرب من ٢٧٣١٧٤ رطل أفرنجي ، ١٣٦٥٨٧ رطل جروي من البضائع المختلفة ، ٢١٦٠ أردب من الحبوب قدرت أثمانها جميعا بنحو ٩٨٣٤٣٩ ريال فرانسه.

كما قدرت أثمان البضائع التي استولى عليها الفرنسيون من السفن الراسية بالميناء وعددها ٢٦ سفينة تخص أهل المدينة من التجار بنحو ١٣٢١٤٩ ريال فرانسه، ولم ينج التجار الشوام الذميين القاطنين بالمدينة من هذه المصادرات فقد صودرت بضائعهم التي قدرت أثمانها بنحو ١٠٣٢٠٠ ريال فرانسه ، وكان الجنرال كليبر قد فرض عليهم قبل ذلك دفع ٣٨٥،٦٠٠ ريال فرانسه[٣] ، كما قام الجنرال لانوس بتجميع

---

(١) محفظة فترتها التاريخية من ١٦ ديسمبر ١٧٩٩ – ٣١ ديسمبر ١٧٩٩، وثيقة تحمل رقم 1700 مؤرخة في ٢٨ فريمير من السنة الثامنة .

(٢) Le général en chef Kléber au Citoyen chanaleilles , le 7 nivôse an VIII (28 December 1799) , B6113 , Laurens , T.III , P . 364.

(٣) سجلات محكمة الاسكندرية الشرعية، سجل رقم ١٠٧، وثيقة رقم ٢٥٤.

٣٠٠ ألف بوطاقة من تجار رشيد ، كما طلب كليبر من لانوس أن يضمها إلى ٤٠ ألف ريال جمعها من قبل " وهى ضرورية في هذه الظروف " (١).

وقد أرسل كليبر إلى الجنرال فرديه قراراً يتعلق بالترتيبات التي أُعدت مع الأقباط الذين يتولون الحسابات المالية بشأن تنظيم عملية تحصيل الضرائب باعتبارهم مسئولين لتوريدها للخزينة الفرنسية شهريا لحاجة الجيش الضرورية . ويجب اتخاذ الآتي :

يتم تحصيل الأموال من ١٥٠ رجل من منوف ، ومثلهم من الغربية ، ومن كل من المنصورة ودمياط يتم التحصيل من ٢٥٠ رجل ويجب اتخاذ الإجراءات اللازمة لتحقيق هذا الهدف .

وأمر كليبر بإرسال كميات من الأرز والقمح من خلال حسين كاشف المسئول عن التصدير، وأرسل نفس الخطاب إلى الجنرال دوجا Dugua ورينيه Reynier ومطالبة دوجا بتحصيل الضرائب من الجيزة من ٢٥٠ مواطن وكذلك من القليوبية وأطفيح ، وطالب لانوس Lanusse في رشيد بتحصيل الضرائب من ١٠٠ مواطن وطلب من رينيه أن يجمع من الشرقية الضرائب المفروضة علي ٢٠٠ مواطن(٢) .

وقام الجنرال منو- قائد رشيد والإسكندرية بفرض قرض إجباري على التجار التوسكان ومن تجار نابولى مقداره ٦٠ ألف فرنك ، وهذا القرض بمثابة ضريبة إجبارية(٣) . كما فرض الجنرال كليبر قرضا إجباريا قيمته ٤٢ ألف ريال فرانسه على تجار الإسكندرية وتحصيل ٣٨٥٦٠٠ ريال فرانسه من التجار الشوام الذميين بالثغر ، وتحصيل مبلغ أربعون ألف ريال فرانسه من الأهالي والتجار البالغ عددهم ٧٢٣ فردا على وجه التفريدة وتسليمها للجنرال لانوس(٤) .

---

(١) Le général en chef Kléber au général Ianusse , le 7 Nivôse an VIII .(28 December 1799) , B6113 , Laurans , T.III , P. 366.

(٢) Le général en chef Kléber au général Verdier, le 4 Nivôse an VIII .(25 December 1800 (1799)) , Laurens , T.III , P. 357.

(٣) محفظة فترتها التاريخية من ٢ سبتمبر ١٧٩٩ – أول ديسمبر ١٨٠١، وثيقة تحمل رقم ٢٣٤ مؤرخة في ٢٨ فركتيدور من السنة السابعة، رسالة من منو إلى القائد العام كليبر .

(٤) وثائق أرقام ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٥٤ ، السجل رقم (٧) ، محكمة الاسكندرية الشرعية .

ونظرا لحاجة القوات الفرنسية الملحة إلى الأموال فإن القائد العام أصدر أمره في ١٠ مايو ١٨٠٠ ببيع البضائع المخزونة بالحواصل والمحال الموجودة بجمرك الإسكندرية لصالح الجيش الفرنسي الذي أصبح في أشد الحاجة للعتاد والسلاح والمؤن[١] كما أمر بمصادرة الأسلحة الداخلة إلى الميناء على ظهر السفن أيا كانت جنسياتها أو ملكيتها لمصلحة الجيش الفرنسي إذ اعتبرها الفرنسيون "غنيمة" لهم ، وأمر القائد العام بتخزين هذه الغنائم في مخازن الجمرك بعد فرزها من جانب العسكريين وبيع ما لا يحتاج إليه الجيش[٢] .

وفرض كليبر على أهالي القاهرة ١٠ مليون فرنك ، كما فرض على أعضاء الديوان ١٢ مليون فرنك وعلى أهالي بولاق معقل الثورة ٢ مليون فرنك[٣] وذلك بعد أحداث ثورة القاهرة مباشرة وإخماد هذه الثورة . كما صادر أملاك العديد من الأعيان فصودرت أملاك السيد أحمد المحروقى ، وفرض على الشيخ محمد السادات غرامة قدرها ١٥ ألف ريال ، والشيخ الصاوي ٥٠ ألف ريال ، ٢٦٠ ألف فرنك ،والشيخ الجوهري وأخيه الشيخ فتوح ٥٠ ألف ريال[٤] .

وقد طلب كليبر من الصراف العام فردييه Payeur Général Vérdier في ٤ نيفوز من السنة ٨ / ٢٥ ديسمبر ١٧٩٩ أن يوافيه على الفور بالحالة المالية للخزانة العامة والاستفسار عن الخطوات التي قام بها لتحصيل مبلغ ١٨٠٠ ألف ريال يتولى الأقباط جمعها كل شهر ، والتي يجب عليهم تدبيرها دون تأخير للحاجة الشديدة لتمويل الخزينة[٥] . وكذلك أرسل القائد العام إلى الجنرال زايونشك في ٥ نيفوز من

---

(١) Ordre du jour du général chef Kléber , le 20 floréal an VIII .(10 Mai 1800) , B6. 44 , Laurens , T.Iv , p.887.

(٢) Ibid , B6 113 , P 871.

(٣) De la jonquiére : journal de L'Epédition d'Egypte , Paris , 1904 , p 384.

(٤) مذكرات نقولا الترك : مرجع سابق ص ٩٠ .

(٥) Le général en chef Kléber au payeur général Verdier, le 4 Nivôse an VIII .(25 December 1799) , B6 113 , Laurens , T.III , P. 357.
(25 December 1800:ورد بالوثيقة .)

السنة ٨ / ٢٥ ديسمبر ١٧٩٩ م بأن يتخذ الإجراءات اللازمة مع الأقباط (المحصلين) لإمداد الخزينة شهريا بمبلغ ٢٦٥ ألف بوطاقة وهى مساهمات جديدة من صعيد مصر والوجه البحري. ونفس الخطاب أرسله إلى الجنرال فريان في نفس اليوم[١] كما أرسل إلى الجنرال ليكليرك Leclerc الذى أوكل إليه قيادة الكتيبة الثامنة ، للعودة إلى منوف بدون تأخير وجمع ٩٠٠ ريال شهريا حيث توجد قوة عسكرية بهـا علـي أن يقـوم الجنرال فرديه بمرافقة القوة المخصصة لجمع الضرائب بالإقليم [٢] .

وأرسل القائد العام كليبر إلى رئيس لجنة الإمدادات فـي ٧ نيفـوز مـن الـسنة ٨ / ٢٨ ديسمبر ١٨٠٠ يقول له : " بسبب الحالة الراهنة نحن في حاجة إلي ٦٦ ألف أردب من الحبوب من صعيد مصر ؛ ولقد قيل لي أن هذه الكمية غير كافيـة، تـولى الترتيبات اللازمة بالتنسيق مع الأقباط ".[٣]

وخاطب القائد العام الجنرال دوجا Dugua في ٨ نيفوز من السنة ٨ / ٢٩ ديسمبر ١٧٩٩ م قائلاً: " سوف أغادر غدا القاهرة ومعي فرسان ومدفعية فرق الجنرال ديزيه، وسوف أترك قوات أخرى من المدفعية والفرسان ومدفعية القلعة وهى كافيـة لحمايـة القاهرة والجيزة، وقد كتبت إلى الجنرال فريان لتغطية أطفيح من جانب العدو وأفوضك لاتخاذ اللازم حال غيابي وتركت الأمر للصراف العام للمقابلة مـع الأقبـاط لتـدبير الأمـوال اللازمـة للجـيش ولقـد أخبـرت الـديوان بموافـاتي بـأي أخبـار جديدة " [٤]. ثم أرسل إلى الجنرال فريان فى ٨ نيفوز من السنة ٨ / ٢٩ ديسمبر ١٧٩٩ م قائلاً : "يهتم كليبر بضرورة تحصيل الضرائب من صعيد مصر لتحقيق وجود الفرنسيين لأن العدو(الأتراك) يقترب من مصر وإنني أغادر بلبيس غـدا مـع بقيـة

---

(١) Ibid , B6 113 , p . 358.

(٢) Ibid , B6 113 , P 359.

(٣) Le général en chef Kléber au president de la commission des Subsistances , le 7 Nivôse an VIII .(28 December 1799) , B6 113 , Laurens , T.III , P. 367.
(ورد تاريخ الوثيقة خطا 25 December 1800)

(٤) Ibid , B6 113 , P 368.

الجيش، وتحمل مسئولة تغطية أطفيح ووافني بالأخبار الجديدة بدون تأخير لـئلا تفقـد مراد بك وراسلني مع الجنرال دوجا باستمرار ."[١]

وقد أدى عدم توفر الدقيق الجيد في مخازن حامية القاهرة نتيجة العجز المالي إلى صناعة خبز غير جيد بمخابز الجيش بقلعة القاهرة مما أدى إلى تذمر الجنود وشكواهم المتكررة لتسليمهم هذا الخبز وهذا ما أكدته رسالة دور إلي قائد حامية القاهرة ديبـاس Dupas الذي قام بتهديد أمين المخازن في حالة تكرار شكاوى الجنود.[٢] وقد تطلبـت حاجة الفرنسيين إلى تحصيل المزيد من الأموال خلال النصف الأول من عام ١٨٠٠ م نتيجة النشاط السياسي المتزايد ومواجهة الأتراك والإنجليـز وفـرض المزيـد مـن الضرائب على المصريين جميعا في أنحاء الـبلاد بـدعوى مواجهـة الإصـلاحات (الضخمة) التي تقوم بها الإدارة الفرنسية (!!) " وذلك بمساعدة المخلصين الأقباط ".[٣]

وكانت الإدارة الفرنسية ترى أن زيادة الضرائب من الضرورات الملحة لإصلاح القلاع والثكنات وتدبير احتياجات الجيش الضرورية والتأكيد على ألا تقتصر الضرائب على الأموال النقدية فقط بل تشمل الأموال العينية مـن الحبـوب والخيـول والبغـال والجمال من الوجه البحري والصعيد وفرض ضرائب إضافية على أقاليم الغربية فـي طنطا والمحلة ، وكذلك على دمياط ، والقاهرة ، والفيوم ، ومنوف[٤]

ويشير كليبر على الجنرال داماس بضرورة مضاعفة الضرائب علـى الأقـاليم الأخرى وخاصة من الخيول والبغال التي يحتاج إليها الجيش في تحركاته اليومية أثناء العمليات العسكرية [٥] . وقد تولى في ٢ يونية ١٨٠٠ التنبيه على المدير العام للماليـة

---

(١) Ibid , B6 113 , et B638 , P 369.

(٢) محفظة فترتها التاريخية من ٢٣ يناير ١٨٠٠ – ٨ يناير ١٨٠١، B6 – 143 .

(٣) الأمر اليومي من كليبر إلى الوكيل الفرنسي شانالاى والمؤرخ في الثاني من بريريال من العام الثامن (٢٢ مايو ١٨٠٠) Laurens , T.IV. P.914,

(٤) الأمر اليومي إلى الجنرال زايونشك المؤرخ في الأول من بريريال من السنة الثامنة (٢١ مايو ١٨٠٠ م) I bid , T.IV. P.913,

(٥) أمر يومي من القائد العام إلى الجنرال داماس في ٢٨ فلوريال من السنة الثامنة ١٨ مايو ١٨٠٠ م Ibid , T .IV, p 904.

بضرورة توفير ستة آلاف أردب من القمح والفول لتوجيهها إلى الصالحية وبلبيس على عجل وباستمرار لحاجة القوات الفرنسية المتواجدة بهذه المنطقة لصد الأتراك العثمانيين القادمين من الشام ، وأشار القائد العام بتوفير الأرز واللحوم اللازمة للجيش ، والتأكيد على قيام المندوب الفرنسي تارديه Tardier بمصادرة محصول الشعير والحبوب في إقليم دمياط لصالح الجيش الفرنسي

وأصدر القائد العام في ٢١ ديسمبر ١٧٩٩ أمراً يومياً مكونا من أربع مواد موجهاً للمحصلين الأقباط لجمع مبلغ ٢٦٥ ألف بوطاقة خلال الأربعة أشهر المقبلة على أن تدفع تلك المبالغ على أربعة أقساط في مقابل أن يحصل الأقباط علي نسبة معينة لصالحهم تقدر بـ ٤% من الدفعة الأولى ، ٥% من الدفعة الثانية ، ٦% من الدفعة الثالثة ، ١٠ % من الدفعة الرابعة والأخيرة ، كما سمح لهم بالحصول على مكافآت تشجيعية تقدر بـ ١٢% من المبالغ التي يقومون بتحصيلها إذا تمكنوا من تحصيل ما يزيد على المبلغ المطلوب وهو ٢٦٥ ألف بوطاقة [١] .

وقد تشدد القائد العام في فرض الضرائب الإجبارية دون ضوابط ففي إحدى رسائله للجنرال فردييه يقول :" أتوسل إليكم بذل المزيد من النشاط لتحصيل الضرائب ..." وتحصيل الغرامة التي فرضت على العديد من المشايخ والأعيان والتجار مرفقا لهم قائمة بأسمائهم وعددهم أربعة وعشرون [٢]، ومع الشهور الأخيرة من قيادة كليبر اشتط في فرض الضرائب غير المعتادة على التجار بالمدن المصرية؛ من ذلك ما فرضه على تجار رشيد والإسكندرية ، وطنطا التي هرب بعض علية القوم منها، وزيادة نسبة الضرائب على الآخرين من أبنائها؛ ولذلك فإن القائد العام أصدر تعليماته الصريحة لقائده على طنطا فردييه بأن يتحمل الشيخين مصطفى وأحمد مسئولياتهما تجاه دفع الغرامة المقررة على الهاربين سواء كانت من الحبوب أو النقود

(١) محفظة فترتها التاريخية من ١٦ ديسمبر ١٧٩٩ ـ ٣١ ديسمبر ١٧٩٩ ،وثيقة رقم 1720.

(٢) Le général en chef Kléber au général division Verdier , le 16 floréal an VIII (6 Mai 1799) B6 113 , Laurens , T.IIV, P . 875.

و إلا سيتحملون عواقب التأخير وهو ضرب المدينة بالمدافع وقطع رأسيهما ثمنا لعدم الطاعة الواجبة للفرنسيين الذين لن يتهاونوا في تخريب المدينة دون تأخير(١).

وفرض كليبر ضريبة جديدة على أهالي وتجار الإسكندرية بعد أن ازدادت احتياجات الجيش وأصبحت الخزانة خاوية (٢) وأصدر أمره في ١٦ أبريل ١٨٠٠ بمصادرة البضائع الموجودة على ظهور السفن الراسية في ميناء الإسكندرية ومصادرة السفن الداخلة إلى الميناء لصالح الإدارة الفرنسية ليتمكن من مواجهة النفقات الباهظة للجيش (٣) .

وفى إطار قمع الثائرين طُبقت سياسة فرض القروض الإجبارية والإتاوات؛ فقد أمر الجنرال كليبر بمعاقبة أهل المحلة وشيوخهم جراء انتفاضهم على الإجراءات الفرنسية ونقل هؤلاء إلى القاهرة لسجنهم ومعاقبتهم ليكونوا عبرة لأمثالهم في أقاليم مصر المختلفة ، فى نفس الوقت الذي استمرت فيه التعليمات الفرنسية للمعلم يعقوب القبطي بتحصيل الضرائب والتشدد في جمعها(٤) ، بل شُكلت لجنة عامة لتحصيل الضرائب من قواد عموم الجيش ومعهم المعلم يعقوب الذي صار يتحمل مسئولية المحصل العام وإعفاء بعض الفئات من الأفراد الذين ليس لهم دخل ثابت من الضرائب غير العادية بالإضافة إلى المسيحيين المعفون منها على الرغم من تحصيلها من شيوخ الأزهر .

وفى أمره اليومي في ٢ مايو ١٨٠٠ أمر القائد العام بإلزام أهل القاهرة بدفع ١٠ مليون ريال يتم تحصيلها في ظرف خمسة عشر يوما ، وفى المادة (١٠) من هذا الأمر أوجب كليبر على سكان القاهرة دفع خمسة ملايين ريال خص منها خمسة من كبار

---

(١) Ibid , B6 – 114 , le 3 prairial an VIII (23 Mai 1800) , au général Lanusse , Le 4 prairial an VIII (23 Mai 1800)

(٢) محفظة فترتها التاريخية من ١٦ ديسمبر ١٧٩٩ – ٣١ ديسمبر ١٧٩٩ ، وثيقة رقم ١١٩ مؤرخة في ٢ نيفوز السنة الثامنة .

(٣) محفظة فترتها التاريخية من أول مايو ١٨٠٠ – ٣١ مايو ١٨٠٠ ، قرار صادر من كليبر في ٢٦ جرمينيال من السنة الثامنة ، ١٦ ابريل ١٨٠٠ .

(٤) الأمر اليومي لكليبر في ٧ مايو ١٨٠٠ Laurens : T .IV , PP . 878 – 879.

المشايخ على رأسهم الشيخ السادات، والجهيني، والجوهري بسداد مبلغ كبير من هذه الملايين الخمسة إلى جانب الضرائب العينية التي فرضت على الأهالي من المواد الغذائية والمعادن والأقمشة والبنادق والسيوف وغيرها [١] .

وقد ظل الشيخ السادات معتقلا في القلعة ولم يفرج عنه إلا في يوم ١٩ يوليو ١٨٠٠ لعدم مقدرته علي دفع الغرامة التي قررها كليبر عليه ، وأفرج عنه بعدما دفع ما تقرر عليه ، واشترط عليه الفرنسيون عدم الاجتماع بالناس وألا يركب بدون إذن منهم ويقتصد في أموره ومعاشه ويقلل من أتباعه وصودرت كل ممتلكاته وقطعوا مرتباته [٢] .

وفى إطار إعادة تنظيم العوائد العامة للجيش الفرنسي وتنظيم الجمارك والرسوم على الأملاك وحقوق التسجيل وتنظيم ضرائب الميرى، والفائظ، والبراني والكشوفية ، وتحصيل الضرائب سنويا طبقا لفيضان النيل ونتاج الأرض من المحصول أصدر كليبر قراره في ٢٨ أبريل ١٨٠٠ ، لأمين الصندوق العام (مدير المالية) بأن يتولى تجميع الضرائب وإيداعها للخزينة شهريا من خلال جامعي الضرائب من الأقباط المصريين (المحصلين)[٣] وعلى هؤلاء المحصلين عند تحصيل الضرائب تسليم شيوخ القرى إيصالات مؤقتة بالاستلام وإلزام المحصلين باستلام إيصالات من موظفي الخزينة العامة للجيش بما يفيد توريدهم لهذه المبالغ ويتم ذلك بوجود قائد عام المنطقة الحربي ورئيس أركان الحرب على أن يمنح لأمين الصندوق (المحصلين) علاوة تمثل ٨% من

---

(١) الأمر اليومي للقائد العام في ٢ مايو ١٨٠٠. I
bid , pp . 863 – 866.

(٢) الجبرتى : عجائب الآثار ،ج ٢ ، ص ٣٣٣ .

(٣) Ordre du jour du général en chef Kléber , le 8 floréal an VIII . (28 avril, 1800), Lanurens , T.IV p.850 .
هذه الوثيقة نقلها لورانس عن : Rousseau .P . 273

نسبة التحصيل مستقلة عن الضرائب تدفعها القرى لمكافأتهم عن جهدهم وتخفض للنصف في حالة عدم تسديد الضرائب كاملة شهريا [١].

وفى قراره العام في ٢٩ أبريل ١٨٠٠ تم تشكيل لجنة مكونة من قائد أركان حرب القوات وقائد البحرية والقوميسير العام والمواطن بود Baude ، والجنرال رينيه ومسئول المالية وهي لجنه إدارية يقع علي عاتقها إدارة الحبوب التي تدفعها بعض مقاطعات مصر كضريبة عينية مع الضرائب العامة والغرامات والغنائم والحجوزات لصالح الجيش الفرنسي ، فإذا كان التحصيل خارج القاهرة يتولى أحد أعضاء اللجنة الانتقال إلى مكان التحصيل للحفاظ علي هذه الضرائب ، ولا يمكن خروج أي شيء منها من مخازن هذه اللجنة دون أمر موقع من ثلاثة أعضاء من أعضائها على الأقل[٢].

وبدأت السلطات الفرنسية تمارس عمليات السخرة في أعمالها الحربية وإجبار الأهالي على القيام بها ، والاستيلاء على الأملاك الخاصة والعقارات [٣] . وفى أمره الصادر في ١٥ مايو ١٨٠٠ (٢٥ فلوريال من السنة الثامنة) يؤكد القائد العام لقائد إقليم منوف على ضرورة التشدد مع الشيخ عابدين – رئيس ديوان منوف ومتابعة تابعيه حين حصاد المحصول لئلا يتهرب من دفع الضرائب ، فإذا ما حاول التهرب فيجب الاتصال بالقيادة العامة حتى يمكن فرض الحراسة عليه .

وتؤكد الوثائق الخاصة بكليبر أنه كان دائما لا يقبل التهاون أو الابتزاز؛ من ذلك أنه عندما نما إلى علمه بأن أفراد الطوابير المتحركة الموكول إليها جمع الضرائب من الفلاحين وغيرهم طالبت بالحصول على عشرة في المائة من قيمة الضرائب التي يقومون بتحصيلها تودع لحسابهم الخاص وأعرب كليبر في رسالته للجنرال فردييه في

---

(١) Ibid , P 853.

(٢) Ordre du jour du général en chef Kléber , le 8 floréal an VIII . (30 avril 1800) , Laurens , T.IV , p 858.

هذه الوثيقة نقلها لورانس عن : Rousseau .P . 273

(٣) محفظة فترتها التاريخية من ٩ يونيو ١٧٩٩ – ١٦ يناير ١٨٠١م - وثيقة بدون رقم مؤرخة في ١٩ برومير من السنة الثامنة .

منوف عن دهشته ورفضه الشديد لهذا (الابتزاز) من جانب العسكريين الفرنسيين ، وقيام البعض بفرض المزيد من الضرائب ومصادرة الخيول والجمال لمصلحتهم الشخصية قائلا:" إن العائد القومي لا يخص شخص بعينه ...بل هو ملك للجيش بأكمله" معتبرا هذا العمل :" سرقة بينة من بيت المال" [١] .

كما جرت عدة اختلاسات لأموال الضرائب؛ منها ما جري في إدارة حسابات بولاق مما أدى إلى القبض على أعضاء اللجنة ووضعهم رهن الاحتجاز والإقامة الجبرية بناء على أوامر القائد العام [٢] وإلى جانب هذه الاختلاسات فقد امتنعت بعض المدن أو الممولين من الأعيان والمشايخ عن دفع الضرائب ، وقيام بعض الأشخاص بتحصيل الضرائب لصالحهم مثلما حدث في إقليم المنيا عندما قام المدعو " محمد سلطان "وشهرته " قواس "بجمع الضرائب لمصلحته بمعاونة مساعديه ، وأرسل القائد العام إلى الجنرال فريان للقبض عليه وإرساله للقاهرة وتعيين المدعو " نصر" عوضاً عنه في وظيفة محصل الضرائب بالإقليم[٣]، أضف إلى ذلك الشكاوى العديدة التي كانت ترد إلى القيادة العامة من الضباط الفرنسيين القائمين على تحصيل الأموال وقيامهم بالمساومة والابتزاز والاختلاس أحيانا مثلما حدث مع الضابط شانالى "Chanaleilles" في المنصورة [٤] ، ولذلك كان القائد العام حريصا على توجيه الكتائب المتحركة من المنطقة المركزية بالقاهرة أو غيرها من المناطق العسكرية المستقرة إلى تلك المواقع الثائرة والممتنعة عن دفع الغرامات أو الضرائب لتأديبها وإجبارها على السداد عنوة [٥] .

---

(١) Le général en chef Kléber au général division Verdier à Menouf , le 25 floréal an VIII (15 Mai 1800) B6 113 , Laurens , T.IIV, P.898.

(٢) Le général en chef Kléber au Comite Administratif , le 3 prairial an VIII (23 Mai 1800) , Ibid , T.IV , P 923, B6-113.

(٣) Le général en chef Kléber au général Friant , le 13 Frimaire an VIII (4 décembre 1799) , B6- 113 , Laurens , T.III, P.282.

(٤) Ibid , B6 113 , p 281 – 282..

(٥) Ibid , B6114 , T IV, P. 957 .

النظام المالي والاقتصادي المصري

يمكن للباحث في وثائق الجنرال كليبر أن يتعرف على ملامح النظام المالي للبلاد ومصادر الاقتصاد المصري من خلال مراسلات مديري المالية المتعاقبين في مصر والموجهة إلي الإدارات المختلفة وإلي القائد العام نفسه ، وهى مراسلات مستفيضة تمد الدارس بمعلومات مفيدة عن ثروات البلاد الطبيعية واقتصادها ودخلها العام خاصة فيما يتعلق بما هو ناتج عن الدواوين (الجمارك) ، والذي قدره المسيو بوسيليج Poussielgue – مراقب مصروفات الجيش الفرنسي والمدير العام للمالية في مصر إبان عهد كليبر بنحو ٥٠ مليون ريال يمكن أن يصل إلي نحو ٦٠ مليون ريال سنويا .

انخفضت هذه المصروفات في عهد الحملة لتصل إلي نحو ١٩ مليون ريال ، بل وصل انخفاضها إلي نحو مليون ريال في أوقات الحروب ، وكان هذا الانخفاض نتيجة اضطراب أحوال الصعيد وخروجه عن حوزة الإدارة الفرنسية المستديمة ، وتوقف مشروعات الري وصيانة الأراضي لزيادة خصوبتها وإقامة السدود على مجرى نهر النيل وفروعه ، ويقول بوسيليج أن النظام المالي في مصر هو نظام إقطاعي ينتمي إلى العصور الوسطى ؛ فالفلاح يتولى زراعة الأرض لكي يستفيد من جهده ولكنه ملزم بدفع ضرائب ثابتة ومحددة سلفا دون أن ترتبط بكم الإنتاج زيادة أو نقصانا نقداً أو عيناً، وتقسم الضرائب إلي ثلاثة أقسام عامة هي : الميرى ، والفائظ ، والبرانى (المضاف) الذي يتكون من ثلاثة أنواع هي الزائد ، والسخرة ، والمصروفات على مرور القوافل والرسوم على المنشآت وكان من نتيجة الانهيار الاقتصادي الذي أصاب الفلاح أن أصبحت الإدارة الفرنسية عاجزة عن الوفاء باحتياجات قواتها ولهذا لجأت إلي فرض الغرامات وأتباع أسلوب المصادرات ، والسندات على الخزانة[1] .

(1) محفظة فترتها التاريخية من ١٧٩٨/١١/١٨ – ١٨٠١/٤/١٨م ، وثيقة رقم B6 151.

وكان عائد الحكومة يصل في أوقات السلم إلي ١٩ مليون ومائتى ألف ريال ، ولكن في حالة الحرب لن يصل إلي الدواوين أكثر من خمسمائة ألف ريال ، كما أن نقل الحبوب الواردة من جنوب مصر والتي تقل عن مليون أردب أثناء الأزمات ومصروفات الدواوين ، ومصروفات الجيش الفرنسي تقارب من تسعة إلي عشرة مليون ريال حتى نهاية فريمير القادم . وكان الجنرال بونابرت أثناء الشهور الأولى لوصول الفرنسيين قد أنفق حوالي ٤ مليون ريال . وكانت هذه الإجراءات مفيدة بالنسبة للفرنسيين[١] .

وفور دخول الفرنسيين القاهرة كانوا في حاجة إلي ٣٠٠ ألف ريال لشراء المستلزمات الأولية بخلاف عدة ملايين أخرى لازمة لحملة الصعيد ، وفى عام ١٧٩٩ كانوا في حاجة لشراء الحبوب من أسواق القاهرة ، وحتى رحيل الجنرال بونابرت كان الجيش في أشد الحاجة لأكثر من عشرة ملايين زيال بعدما جاء الفرنسيون ومعهم عملة أسبانية قاموا بتحويلها إلي (مديني) وهي العملة المستخدمة في مصر وإلي كميات أخرى من النقود المتداولة في البلاد حيث كانت خزينة الجيش الفرنسي خاوية في فترات عديدة[٢] .

وتوالي فرض الضرائب والغرامات والمصادرات والنهب والتخريب والإحراق والتدمير ، وعلى الرغم من أن كليبر كان يعارض بونابرت في فرض الضرائب والمصادرات فإنه لجأ إليها في عهد قيادته الجديدة ، واتبع سياسة الاحتكار وإصدار السندات على الخزينة .

على أن هذا السفر الوثائقي موضوع دراستنا لا يقتصر محتواه على مراسلات القائد العام الجنرال كليبر مع قواده والعكس ، بل يشمل أيضا المراسلات بين القواد الفرنسيين في المواقع المختلفة ، ولعل من أهم تلك المراسلات تلك الرسالة الموجهة

---

(١) Laurens , T .III , B6 111 , P . 144 .

(٢) Laurens , B6 111 , P 147.

من المواطن بوسيليج مراقب مصروفات الجيش والمدير العام للمالية في مصر إلي الإدارة التنفيذية والمؤرخة في ١٧ فندمير من السنة الثامنة (٩ أكتوبر ١٧٩٩) وهذه الرسالة تقع في أربعة عشر صفحة يستهلها بوسيليج بقوله:" إنني تحملت مسئولية إدارة مالية الحملة ، وكل ما يتعلق بالسياسة الاقتصادية للبلاد المصرية منذ مجيء الجيش الفرنسي إليها ، وإنني لمدرك تماما ما يتعلق بواجبي ومسئولياتي منذ رحيل الجنرال بونابرت ، ودائما ما كان الرحالة والوكلاء الأجانب ومنهم الفرنسيين المقيمين بمصر يمدوننا بمعلومات مبالغ فيها عن ثروة البلاد الطبيعية وأموالها ، ومنذ بقائنا في هذه البلاد منذ أربعة عشر شهرا مضت لم تعطينا الأبحاث التي قام بها رجالنا العلماء أي نتائج ايجابية جديدة [١] ، وعلى عكس رأى المدير العام لمالية الحملة الذي يرى تواضع ثروات مصر الطبيعية ، فإن القائد العام كليبر يخاطب الأساقفة وبابوات المسيحيين في مصر قائلا:"عليكم أن تعلنوا لشعوبكم بأننا قادمون إلي مصر" من أجل البقاء فيها ، ويصف مصر بأنها "الأراضي المثمرة الخصبة " [٢] .

أما عن الدخل العام للبلاد الناتج عن إيراد الدواوين (الجمارك) والذي يصل من ٤٥ إلي ٥٠ مليون ريال ويمكن أن يصل إلي ٦٠ مليون ، فإنه انخفض في هذه الأيام إلي ١٩ مليون ، وفى أوقات الحرب لن يزيد دخل البلاد عن ١٢ أو ١٣ مليون ريال .

إن ازدهار مصر الاقتصادي ورفائها يعتمد في الأصل على وفاء النيل وطريقة استخدام وتوزيع المياه ، فيجب ملء القنوات بالمياه كل عام وتطهيرها من الرواسب وإصلاحها . ويرى بوسيليج أنه يجب توزيع تلك القنوات في أنحاء البلاد وصيانتها باستمرار والأمل في تقدم هذه البلاد وخصوبة أرضها يتوقف على نجاح مشروعات الري . وفى نفس الوقت إقامة السدود على مجرى النيل لأن أخطار الفيضان والجفاف

---

(١) Ibid , P . 138.

(٢) Laurens , T .IV , B6- 43 , Project de Proclamation du général en Kléber , aux Peuples de la Morée et des I les de L Archipel de la Grèce , P . 862 .

على السواء يؤديان إلي أسوأ النتائج على البلاد ، فالفيضانات تؤدى إلي إغراق القرى المصرية بالمياه وهلاك بعضها وسط المياه الطاغية. ولذلك فإن بذل الجهد يؤدى إلي وفرة في الإنتاج وزيادة دخل الحكومة [١] .

كما قدم لنا لورانس عقب الجزء الاستهلالي (المقدمة) للمجلد الثالث دراسة عن النقود المستعملة في مصر Les Monnaies Utilisées en Egypte، موضحاً بأن العملة السائدة كانت المدينى وهي عبارة عن قطع معدنية مسكوكة من النحاس قيمتها غير ثابتة حسب حجمها وتاريخ صناعتها فلم تكن العملات المضروبة متساوية تماما من حيث حجمها أو أوزانها ، على الرغم من أن المساواة في قيمة العملة أمر جوهري يتحتم على السلطة الحاكمة احترامه وذلك لن يتأتى إلا عندما تكون هذه السلطة قوية .

وقد قامت الإدارة الفرنسية عند نزول الحملة في الإسكندرية بتشكيل لجنة يوم ٥ يوليو ١٧٩٨ لوضع تعريفة ثابتة ما بين النقود المستخدمة في مصر ومثيلاتها في فرنسا . لأنه مع مجيء جيش الشرق إلي مصر كانت قواته في حاجة ماسة إلي عملات البلاد المحلية المتداولة ، وقام برتوللیه Berthollet بمراجعة قيمة التالارى Talari الفرنسي بالنسبة إلي المدينى Médin المستخدم في البلاد ، وكان الجيش قد أحضر معه من فرنسا سبائك ذهبية وفضية تم تبديل جزء منها بالإسكندرية مقابل لبعض العملات المتداولة (الرسمية) ، ثم صدر الأمر بعد ذلك إلي كليبر (حاكم المدينة العسكري) باستعادة هذه السبائك من حائزيها لتحويلها إلي عملات ، وتعويضهم عن قيمتها بحاصلات زراعية من إنتاج البلاد[٢] .

ولتوحيد سعر العملات المتداولة مع النقود الفرنسية وغيرها من العملات الأجنبية ، ولوضع تعريفة دقيقة لتلك العملات المحلية طبقا لقيمتها الحقيقية أو جعل العملات الفرنسية تساوى أكبر قيمة ممكنه لها من عملات البلاد لخدمة موارد وانفاقات الجيش

---

(١) Ibid ,T. IV , P . 863.

(٢) F . Charles Roux ; Bonaparte gouverneur d' Égypte , Paris , 1946 . P. 110.

والتي كانت تحسب بالبارة ، فقد تم الاتفاق فيما بين ثلاثة من كبار تجار الإسكندرية هم : الحاج حامد أبو ريزو ، والحاج عبد الوهاب الموسكى ، والحاج على جوربجى الدقاق ، وبين القومسيسر العام للجيش مسيو سوسى Sucy، وبرتوللية Berthollet. عضو المجمع ، ومونج Monge وبوسيليج Poussielgue، واستيف Estéve الصراف العام للجيش ، ومجالون Magallon القنصل الفرنسي العام بالإسكندرية ، وذلك بناءً على الأمر اليومي الصادر في ١٨ مسيدور من السنة السادسة للجمهورية (٦ يوليو ١٧٩٨م) لوضع هذه التعريفة الثابتة للتعامل بها في الأسواق المصرية للعملات الذهبية والفضية الفرنسية وغيرها وقيمتها الفعلية بالبارة الفرنسية[١].

وطبقا لذلك فقد أصبحت الليرة الفرنسية الذهبية تساوى ١،٣٤٤ بارة ، والدينار الفضي المساوي لستة جنيهات فرنسية يعادل ١٦٨ بارة ، والقطعة المعدنية ذات ٣٠ سول Sol فرنسي تعادل ٤٢ بارة ، والتالارى الفرنسي يساوى ١٥٠ بارة ، وزر محبوب القاهرة يساوى ١٨٠ بارة[٢] . وكانت البوطاقة تساوى ٩٠٠ مدينى أو بارة ، والعشرة بوطاقة تساوى ٣٣ فرنك فرنسي ، والخمسون تالارى تساوى حوالي خمسة فرنكات فرنسية[٣] . أما سكوين sequin القسطنطينية فأصبح يساوى ٢٠٠ بارة ، وسكوين البندقية فيساوى ٣٤٠ بارة ، والقرش الأسباني يساوى ١٥٠ بارة ، وأما القطعة ذات الأربع قروش التركية فتساوى ١٠٠ بارة ، والريال يساوى ٩٠ فضة [٤] .

---

(١) الأمر اليومي المؤرخ في ١٧ مسيدور من السنة السادسة للجمهورية (١٩ يوليو ١٧٩٨ – ٢٠ محرم ١٢١٢هـ) – B6 – 4 أرشيف وزارة الحرب الفرنسية ، فنسن Vincenne باريس .

(٢) De La jonquiére ; L' Expédition d'Egypte , Vol . 2 , Paris , 1904 , P.73.

(٣) M-f . Rousseau ; Kléber et Menou en Egypte dépuis le départ de Bonaparte , Paris , 1900 . P. 145.

(٤) De La jonquière ; L' Expédition , op-cit , Vol. 2,p.73.

Samuel Bernard , Mémoire sur Les Monnoies d'Egypte (Déscription de L'Egypte) édition Panckoucke,T. XVI , PP – 311 -312.

لقد كانت الأحوال الاقتصادية تزداد سوءًا يوماً بعد يوم منذ أن تولى الجنرال كليبر القيادة العامة للجيش والخزانة الفرنسية شبه خاوية ، لذا أرسل إلي حكومة الإدارة في باريس في ٢٦ سبتمبر ١٧٧٩ يخبرها بأن الجنرال قد استنفذ جميع موارد البلاد المالية في الشهور الأولى للحملة ولهذا لجأ إلي فرض الغرامات والضرائب ، وتدهورت أحوال الجيش الاقتصادية وساءت إلي أقصى الحدود في نفس الوقت الذي صارت فيه الخزانة الفرنسية شبه خاوية تفتقر إلي التمويل بعد رحيل بونابرت مما أدى إلي فرض كليبر لكثير من الغرامات والمصادرات ما ناءت به مقدرة المصريين ، وصارت القيادة الفرنسية عاجزة عن سد احتياجات قواتها بعدما أصبح العجز على الخزانة قد بلغ ١٢ مليون فرنك.

ولذا فقد كان على القيادة الفرنسية الجديدة أن تلجأ إلى فرض الغرامات والضرائب المتعددة ، والرسائل المتبادلة بين دور Daure واستيف Stéve مع بداية حكم كليبر توضح هذا العجز فيقول دور إننا بحاجة إلي مهمات للجيش تبلغ قيمتها ١٥٠ ألف ريال، وقد وافق القائد العام كليبر على تحصيلها من التجار مقابل سندات على خزانة الدولة وازدادت أحوال المالية الفرنسية سوءا يوماً بعد يوم ، ومن مظاهر هذا التدهور تلك المراسلات المستمرة بين أعضاء القيادة الفرنسية فقد أرسل القومسير دور إلي مدير المالية ستيف بقول له :" إننا في حاجة إلي المهمات الخاصة بالجيش البالغ ثمنها ١٥٠ ألف ريال والتي أقرها القائد العام كليبر على أن تأخذ من التجار مقابل سندات لهم على خزانة الدولة ....." [١]

وقد أمر القائد العام المدير العام للمالية بتوفير مبلغ ٦٠٠٠ تالارى بموافقة الديوان[٢] وفرض ضرائب على المنازل والعقارات برغم تأثيرها السيئ في البلاد ويأمر الصراف العام بصرف مبلغ ١٢،٠٠٠ ليرة Livers إلي الجنرال سانسون قائد

---

(١) محفظة فترتها التاريخية من ١٨ نوفمبر ١٧٩٨ – ١٨ أبريل ١٨٠١ وثيقة رقم B6-151 .

(٢) Le général en chef Kléber à L'administrateur général des Finances , Le 29 Vendémiaire an VIII(21October 1799) , B6113 , Laurens , T.III , P.181.

فرقة المهندسين لحاجة فرقته إليها[١] أما عن الأحوال الاقتصادية فقد أرسل الجنرال كليبر إلي الجنرال منو في رشيد يوم ٩ أكتوبر ١٧٩٩ يطلب منه إرسال كميات من الأرز إلي القاهرة راجياً إدراكه بسرعة لأن حامية القاهرة في أشد الحاجة إلي الأرز[٢] لغذاء الجند وقد طلب دور من مينيه Miniet ولوبير Le Pére سرعة شحن كميات كبيرة من القمح إلي القاهرة لأن حامية القاهرة في أشد الحاجة إلي الخبز[٣].

وازدادت إنفاقات حامية الإسكندرية واستهلاكها من المأكولات والمشروبات مما أدى إلي تذمر القوميسير العام دور Daure إذ كان صعبا عليه تدبير موارد جديدة[٤] ومن مظاهر العجز المالي للإدارة الفرنسية إلغاء بعض المخصصات التي كانت تصرف لطلاب الأزهر وعلمائه قبل مجيء الحملة ؛ فقد تقدم طلاب العلم بالأزهر ومشايخهم بشكاواهم إلي قومندان القاهرة الجنرال دوجا الذي أرسل بدوره إلي الجنرال كليبر في ٥ يناير ١٨٠٠ يوضح له أهمية الجامع الأزهر للطلاب الأفارقة والآسيويين الذين يقدم لهم الأزهر الطعام طوال العام ويستهلكون كميات كبيرة من الحبوب والأرز والعدس تضاعف لهم في شهر رمضان من كل عام ويرجونه بناءً على توسلات المشايخ إعادة صرف هذه الكميات لهم مع صرف كميات السكر التي ألغيت والتي كانوا يصرفونها قبل مجيء الحملة مع صرف الرواتب للطلاب الفقراء[٥] كما طلب القومسير العام دور من قائده العام كليبر إرسال مبلغ ثلاثمائة ألف ليرة إلي الإسكندرية لصرف مرتبات جنود البحرية . كما طلب منه مائة ألف أخرى للخدمات اللازمة لبحرية المدينة[٦] .

---

(١) Ibid , B6113 , P . 182.

(٢) محفظة فترتها التاريخية من ١٥سبتمبر ١٧٩٨ – ٣٠ ديسمبر ١٨٠٠ B6-174.

(٣) محفظة فترتها التاريخية من ١٠ اكتوبر١٧٩٨ – ٢٥ يوليو ١٨٠٠ B6 - 148.

(٤) المصدر نفسه ، الوثيقة .

(٥) محفظة فترتها التاريخية من أول يناير ١٨٠٠ – ٣١ يناير ١٨٠٠ وثيقة مؤرخة في ٥ يناير ١٨٠٠ تحت رقم 1993.

(٦) محفظة فترتها التاريخية من ١٩ يونيو ١٧٩٩ – ١٦ يناير ١٨٠١ وثيقة مؤرخة في ٢٦ بريريال من السنة الثامنة – من دور إلى كليبر .

وحاول القائد العام تخفيف وطأة العجز المالي على جيشه ؛ من ذلك أنه بدأ يخاطب الصراف العام في ٧ مايو ١٨٠٠ يأمره بدفع راتب شهرين من الرواتب المتأخرة عن العام السابع للجمهورية والمستحقة للضباط والجنود في الجيش البرى والبحري على أن يبدأ بصرف شهر متأخر مع شهر مستحق للضباط ثم الجنود حتى يتم صرف المتأخرات لهم جميعاً بعد عدة شهور[١] .

وقد أرسل القائد العام إلي الإدارة التنفيذية في الأول من بريريال من السنة الثامنة للجمهورية (٢١ مايو ١٨٠٠ م) يؤكد على أهمية تنفيذ التحسينات للمشروعات الزراعية والصناعية وتطوير التجارة لتوفير أكبر قدر من العوائد المالية اللازمة للجيش[٢]

ونظرا لحاجة الجيش الفرنسي إلي الأموال والوضع المتأزم في هذه الفترة وبعد موقعة عين شمس ومنذ منتصف أبريل ١٨٠٠ فقد أعلن الجنرال لانوس أنه أودع في الخزينة العامة من أمواله الخاصة مبلغ أربعون ألف ليرة كما قام عدد من الضباط والمسئولين الفرنسيين أمثال المسيو تيفينال والعاملين معه بإيداع مبلغ خمسين ألف ليرة كما أودع الجنرال فريان مبلغ خمسة عشر ألف ليرة واقتدى به العديد من العسكريين والمدنيين الفرنسيين [٣]

---

(١) Le général en chef Kléber au Payeur général Le 17 floréal an VIII , 7Mai (1800) , B6113 , Laurens , T.IV , P . 878 .

(٢) Le général en chef Kléber au Comité Administratif Le 2 Prairial an VIII (22 Mai 1800) , B6114 , P. 915.

(٣) Le général en chef Kléber au général Lanusse Le 27 germinal an VIII (17 avril 1800) , B6113 , P 833 .

ولجأت الإدارة الفرنسية إلي فرض الغرامات وأتباع أسلوب المصادرات والسندات على الخزانة وساعدها على الوفاء باحتياجتها العينية من القمح والشعير وغيرها من الحبوب ما قدمه مراد بك للفرنسيين من خراج بعض بلدان الصعيد وفقا لما جاء في المادة الثانية من معاهدة الصلح التي وقعها مع القائد العام كليبر في ٥ أبريل ١٨٠٠ م[١] .

Convention entre Kléber et Mourad Bey , Le 15 Germinal an 8 (5 Avril 1800) .

وهكذا تصبح وثائق الحملة خلال فترة قيادة الجنرال كليبر مصدراً من مصادر تاريخ مصر الاقتصادي أثناء الحملة الفرنسية.

(١) محفظة فترتها التاريخية من أول ابريل – ٣٠ أبريل١٨٠٠م الدوسية رقم (٤) ، وثيقة مؤرخة في ٥ ابريل ١٨٠٠ م .

كليبر واللجنة العلمية

واصل كليبر اهتمامه بأعمال اللجنة العلمية لاكتشاف الآثار المصرية في صعيد مصر (نوفمبر ١٧٩٩) لدراسة أحوال مصر الحديثة ونظم الحكم بها منذ القدم وقوانينها وعاداتها وعقائدها وحالتها الاجتماعية وعلومها وتجارتها وصناعتها وزراعاتها وجغرافيتها ودراسة مظاهر الحضارة المصرية القديمة ، وقام كليبر بتعيين أعضاء تلك اللجنة من كبار العلماء وأعضاء لجنة العلوم والفنون ووضعت خطة التنفيذ وتوزيع أدوار العمل [١] .

واهتم القائد العام في أواخر عام ١٧٩٩ بتوفير الأموال اللازمة للضابط روزيير Rosiére المتخصص في المعادن بواقع ٤٠٠٠ ريال كإعانة مالية سنوية بسبب الحاجة إلي تلك المعادن اللازمة لصناعة الجلل والمدافع[٢] . ولم يغفل الاهتمام بتصنيع البارود اللازم لصناعة الذخيرة والقنابل فأرسل إلي المواطن كونتيه Conté عضو اللجنة العلمية يطالبه بالتوجه للقاهرة بأسرع وقت وإعادة تشغيل الورش الخاصة بالتصنيع باعتبار أن هذه الصناعة أمراً ملحاً وضروريا [٣].

ولم يغفل القائد العام في خضم الأحداث السياسية والحصار الأنجلو – تركي لقواته في البحر خلال شهر مايو ١٨٠٠ م الاهتمام بأداء اللجنة المسرحية (الدرامية) حتى يسرى عن حامية القاهرة بعرض الكوميديا المسلية لهم ، وتعهد للمدير العام بالموافقة على إصلاح وتجديد صالة العرض وديكورات المسرح المعد لهذا الغرض بالقاهرة [٤].

ويقول الجنرال كليبر للكومودور سدنى سميث إن الجيش الفرنسي اصطحب معه

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية ، ج٢ ، ط٢ ،ص ١١٠ .

(٢) I bid , T . III , Le général en chef Kléber au Payeur général , le 11 Frimaire an VIII (2décembre 1799) , B6- 113 , P.278.

(٣) Le général en chef Kléber au Commodore Sidney Smith , le 16 Frimaire an VIII (7 décembre 1799) , B6- 111 , Laurens , T.III, P.289.

(٤) Le général en chef Kléber à L'ordonnateur en chef , Le 25 Floréal an VIII (15 Mai 1800) , Laurens , T.IV, P.902.

فريق كبير من العلماء في مختلف العلوم والفنون والآداب ظلوا يعملون بهمة في مصر لمدة ١٨ شهر وحتى الآن ، لقد قاموا بما يرونه مفيدًا وهاما للبشرية ويرغبون في العودة إلي وطنهم في أوروبا التي يجب أن تستفيد من بحوثهم الهامة ، ويضيف : سيدي الجنرال :" من الواجب الحفاظ على هذا التراث الإنساني وخصوصا بلدك (إنجلترا) التي تعتبر أكثر الأمم تميزًا وحباً للعلوم والفنون ، ولذلك فإنني أطلب منك يا سيدي الجنرال أن تسمح بمنحهم جوازات سفر للعودة إلي فرنسا" [١] وذلك بعد اعتراض إنجلترا على خروج العسكريين الفرنسيين من مصر

كما أرسل القائد العام الفرنسي إلي القائد البريطاني كتاباً صغيراً يحتوى على علاج لمرضى الطاعون قام بتأليفه عضو المجمع العلمي الطبيب لارى Larrey [٢]

(١) I bid , T . III , B6 111 , P . 290.

(٢) Le général en chef Kléber au Citoyen Conté , le 13 Floréal an VIII (23 Avril 1800) , B6- 113 , Laurens , T.IV, P.483.

كليبر وموقفه من الأقباط واليونانيين

استمر كليبر كسلفه بونابرت في التقرب لنصارى البلاد لتفتيت الوحدة التاريخية بينهم وبين المسلمين لتنفيذ مآرب السياسة الفرنسية في مصر ، إذ يخاطب القائد العام الفرنسي مواطنيه في بلاده محفزاً لهم بعد انتصاره في هليوبوليس على الأتراك للمجيء إلي مصر قائلا لهم : تعالوا.. هرولوا إلي أرض مصر ؛ حيث يوجد الآلاف من الفرنسيين الذين أسسوا الحرية (هكذا) ... لقد حفظنا حقوق المالكين وتحقق الأمن ... احضروا معكم الراية المقدسة للصليب ، ولصور المسيح وأمه الطاهرة ، تعالوا تعبدوا في سلام فوق الأرض الغنية الطيبة (مصر) حيث توجد الحقيقة الواحدة (حقيقة الإله الواحد والثالوث المقدس) الذين حققوا الإنتصار للفرنسيين ، ذكروا أنفسكم أن الأرض الطيبة لمصر أصبحت مرة أخرى من جديد ملكا لكم فهي الوطن لإخوانكم الذين استقروا وعاشوا على أرضها وزينوها بالزروع والأزهار ، وهى الأرض التي لديكم بها إخوان (من النصارى) الذين أصبحوا اليوم أصدقاء الفرنسيين فهم الذين يستقوون بكم وينتظرونكم" [١] .

التعاون بين الأقباط والفرنسيين لجباية الأموال :

تقرب كليبر من نصارى مصر كثيراً واستمر كما كان من قبل في استعمالهم في تحصيل الضرائب وجبايتها من السكان فقط دون أن يكونوا مسئولين عن إصلاح وترميم الترع والجسور [٢] .

---

(١) projet de proclamation du général en chef Kléber aux Peuples de la Morée et des Iles de L Archipel dela Grèce , Laurens , T.IV , B643 , pp . 861 – 862.

(٢) Le général en chef Kléber au Comité Administratif , Le 3 Prairial an VIII (23 Mai 1800) , I bid, T . IV , , B6114 , P .924.

وكان الجنرال كليبر قد أقام على كل منطقتين أو إقليمين من الأقاليم المصرية رئيساً قبطياً للصرافين الأقباط للإشراف عليهم في تحصيل الضرائب النقدية والعينية فالمعلم ملطى كان رئيسا لأقباط منوف والبحيرة [١] والمعلم أنطون ذكى رئيسا لقبط أقاليم المنصورة ورشيد وله مساعدون يعاونونه في التحصيل [٢]، وقد اعترض القائد العام على قرار قائد الفرقة رامبو بشأن وجود رئيس قبطي لمحصلي إقليمي دمياط والمنصورة دون استشارته [٣] .

وفي رسالة المسيو استيف إلي القائد العام في ٢٢ مارس ١٨٠٠/ الأول من جرمينال من السنة الثامنة وبعد قيام الثورة بيومين فقط يقول " لقد أخبرني المواطن جلوتيه بما يقوم به الأقباط من أجل جمع الأموال وسوف يقوم صرافنا في القاهرة بتسليم الدفعة الأولى من الأموال المتفق على جمعها [٤]. ولقد قام الأقباط بتقديم بعض الخدمات المالية للفرنسيين إبان ثورة القاهرة منها إمدادهم بعشرين ألف فرنك" [٥]. ومع ذلك فتطالعنا وثائق كليبر في رسالته للجنرال رينيه باندهاش القائد العام عن اعتذار أحد الأقباط المكلفين بتحصيل الضرائب والقيام بهذه المهمة التي كلفه بها الفرنسيون [٦].

وطبقا لتقرير لجنة الإمدادات المنوط بها توفير الأقوات للقوات الفرنسية فإن بلاد الصعيد وجب عليها توريد ٦٠ ألف أردب من الحبوب سنويا ، ولذلك فقد أصدر القائد العام أمره بضرورة جمع هذا المقدار بواسطة المحصلين الأقباط إلي جانب الأموال النقدية طبقا للآتي :

---

(١) Ordre du général en chef Kléber , Le 23 Prairial an VIII (21 juin 1800) , B6 45 , Laurens , T.IV , B6 45 p . 967.

(٢) Le général en chef Kléber au général Faultrier , Le 24 Prairial an VIII (13 juin 1800) , B6114 , I bid . P. 968.

(٣) Le général en chef Kléber au général de division Rampon , à Damiette , le 12 floréal an VIII (6 Mai 1799) , B6 113 , Ibid , P. 890.

(٤) محفظة فترتها التاريخية من أول مارس ١٨٠٠- ٣١ مارس ١٨٠٠م،وثيقة تحمل رقم 12.

(٥) المصدر نفسه ، وثيقة رقم 14 .

(٦) Le général en chef Kléber au général Reynier , Le 12 Prairial an VIII (1er juin 1800) , Laurens , T.IV , B6 114 , p . 945.

المادة الأولى : يجب توريد ٦٦ ألف إردب من الحبوب عن العام الهجـري ١٢١٣ هـ والتي لم يقم الأقباط بتوريدها حتى تاريخه .

المادة الثانية : على الأقباط جمع مبلغ ٢٠٠ ألف ريال وتوريدها لخزينة الصراف العام على أربع دفعات :

٥٠ ألف ريال ابتداء من يوم ٣٠ من شهر نيفوز الجاري .

٥٠ ألف ريال ابتداء من يوم ٣٠ من شهر بليفوز الجاري .

٥٠ ألف ريال ابتداء منذ اليوم الأول من شهر فنتوز .

٥٠ ألف ريال ابتداء منذ يوم ١٥ جرمينال[١] . وفى رسالة القائد العام إلـي الجنـرال ديستان Déstaing بتاريخ ٢٨ مارس ١٨٠٠ يأمره بمصادرة السلع الغذائية في أسواق رشيد وجمع مبلغ مائة ألف ريال[٢] من أهل المدينة .

وفي رسالته للجنرال ديستان يوم ٢٨ مارس ١٨٠٠ يقول : إن لنا بين الثوار في القاهرة ذيل صغير من الأقباط يطعنهم داخل المدينة ولسوف تنتهي العملية (الثـورة) في خلال ثلاثة أيام [٣]ولذلك كان التعاون واضحاً بين الأقبـاط المؤيـدين للاحـتلال الفرنسي بزعامة المعلم يعقوب وبين المحتلين الفرنسيين ، وكان الفرنـسيون يطلقـون على المعلم يعقوب لقب " مواطن Citoyen "[٤] ورغم ذلك فلقد أمد بعـض الأقبـاط الثوار بالأموال والذخائر وعلى رأسهم المعلم جرجس الجوهري، وفلتاؤس ، وملطى ، ودارت الحرب بين الثوار والمتعاونين مع المحتل من الأقباط والمسلمين على الـسواء مثل الشيخ البكرى ومصطفى أغا وغيره

---

(١) Ordre du général en chef Kléber relatif au Recouvrement des Contributions , Le 10 Nivose an VIII (31 Decembre 1799) , Laurens , T.III , p . 378 .

يلاحظ أن لورانس اقتبس هذه الوثيقة عن روسو Rousseau ، ص 170 .

(٢) محفظة فترتها التاريخية من أول مارس ١٨٠٠ – ٣١ مارس ١٨٠٠م ، وثيقة تحمل رقم 3 .

(٣) المصدر نفسه ، والوثيقة .

(٤) محفظة فترتها التاريخية من ١٥ أكتوبر ١٨٠٠– ٢٦ أكتوبر ١٨٠٠، وثيقة رقم B6 – 132 Laurens ,op . cit , T .iv , P 958 .

ولتحقيق أهداف الحملة وتدبير موارد مالية جديدة فقد فرض الجنرال كليبر ضرائب على الأقباط كغرامة غير عادية بمبلغ ٥٠٠ ألف ليرة وهى واجبة التنفيذ دون تخفيض ، وأوصى المدير العام للمالية وجوب تحصيلها منهم دون تأخير [١].

وقد أمر الجنرال كليبر بالآتي :

المادة الأولى : يبقى كافة الأقباط دون استثناء في أحيائهم ، أما اللاجئون منهم إلي مصر القديمة فسوف يتم القبض عليهم ويجبرون على العودة إلي ديارهم .

المادة الثانية : عند حرق منزل لأحد الأقباط أو هدمه عن طريق العدو (الأتراك) فسوف تنتقل أسرة المنزل المهدم إلي أقرب منزل مجاور لهم .

المادة الثالثة : يكلف القائد العام المعلم يعقوب بتنفيذ هذا الأمر الذي عين أغا للأقباط (الأمة القبطية أو الشعب القبطي). وسوف يلبى المعلم يعقوب ما يأمره به كليبر .

المادة الرابعة : سوف يمد القائد العام المعلم يعقوب بقوة مكونة من ٣٠ رجل من القوات الفرنسية لحمايته لتنفيذ هذا الأمر .

وأرسل هذا الأمر إلي رئيس الأركان لإصدار الأوامر الضرورية لتنفيذه [٢] وظل المعلم (الجنرال) يعقوب يقود فرقة من الأقباط يعاون الفرنسيين في فرض سيطرتهم على البلاد وإخماد الثورات ضدهم ، وتؤكد الوثائق أن الجنرال كليبر قرب إليه قائد هذه الفرقة ، وفى إحدى رسائله إلي الجنرال رينيه في القاهرة يدعو إلي إطاعة المعلم يعقوب(هكذا) قائلا: " فاسمعوا وأطيعوا للمعلم يعقوب حتى يكون لدينا ٣٠٠ جندياً قبطياً من الشباب " اليقظ ، لمعاونة القوات الفرنسية [٣].

---

(١) Le général en chef Kléber à L' administrateur général des Finances , le 28 vendemiaire anVIII (20 Octobre 1799),Laurens, T.III, B6 113 , P .180.

(٢) Ordre du général en chef Kléber , Le 17 germinal an VIII (7 Avril 1800) , Laurens , T.IV , B6 43 , p . 807 .

(٣) Le général en chef Kléber au général de division Reynier au Caire le 16 Prairial an VIII (5 juin 1800),B645 et B6114,I bid , P.958.

الجنرال كليبر واليونانيين :

تؤكد وثائق الجنرال كليبر أنه كان حريصا على إقامة جسور من المودة والألفة مع الأقليات الأجنبية من ذلك الجالية اليونانية التي كانت تمثل أكبر الجاليات الأجنبية في مصر عدداً ونشاطاً داخل البلاد وخاصة النشاط التجاري التي تمارسه جماعات التجار منهم من خلال ثغري الإسكندرية ودمياط ، فقد أرسل إلي الجنرال رامبو Rampon في دمياط يؤكد له على ضرورة استمرار حماية السفن اليونانية القادمة للميناء والسماح لتلك السفن بالعودة لبلادهم محملة بالقهوة ، والسكر ، والأرز ، والنيلة الزرقاء ، والصمغ ، والحناء ، والقطن وغيره ، وأكد القائد العام على ضرورة التأكيد لهؤلاء البحارة بأن الفرنسيين سوف يستقبلون أبناء بلاد اليونان لدخول مصر وتوفير الحماية لهم [١]. وقد سمح الجنرال كليبر لليونانيين بهدف التقرب منهم بنقل السفن اليونانية للحنة والنيلة والأرز من ميناء دمياط ، دون القمح الذي تحتاجه قواته ، وحاول إغراء البحارة منهم للعمل في صفوف الفرنسيين وحصولهم على رواتب مغرية، كما أغراهم بمكافأتهم مع نهاية سني خدمتهم مع الفرنسيين بمنحهم الأراضي أو الإقطاعات ليتملكونها في مصر [٢]

كما استغل الفرنسيون النصارى واليونانيين المقيمين في مصر لتوظيفهم للعمل في خدمة الجيش الفرنسي من ذلك العمل بفرقة الإسعاف الطبي والمستشفيات التي شيدها الفرنسيون في البلاد [٣] واستخدام البحارة منهم في العمل على السفن الفرنسية العاملة في نهر النيل للنقل وبعض السفن الحربية [٤] العاملة في البحر المتوسط .

---

(١) Le général en chef Kléber au général de division Rampon à Damiette , le 21 floréal an III (11 Mai 1800) , B6113, Laurens , T.IV , p . 890.

(٢) Le général en chef Kléber au général Rampon , le 10 floréal an VIII 30 Avril 00) , B6113, Laurens , T.IV , p . 859.

(٣) Le général en chef Kléber au Comité administrateur le 3 prairial an VIII (23 ai 1800) , B6 114, Laurens , T.IIV,P 924.

(٤) Le général en chef Kléber au général de division Reiynier au Caire ,Terraneh le 16 Prairial an VIII (5 juin 1800) , B645 et B6114 , P. 958.

ولقد أرسل الجنرال كليبر إلي رئيس الكنيسة اليونانية بالإسكندرية في ١٦ أبريل ١٨٠٠ يقول له : " لقد وصل عدد كبير من اليونانيين إلي الإسكندرية ، وأنهم في حماية الجيش الفرنسي إذا أهانهم سكان المدينة ، وإذا حدثت أي مضايقات لهم فيجب اللجوء إلي قائد الإسكندرية الجنرال لانوس ، أو مكاتبة القائد العام عند الضرورة وقد أضاف بأن هؤلاء اليونانيون الذين يخدمون مع الجيش الفرنسي يعاملون معاملة الفرنسيين تماما [١].

وقد حاول كليبر التقرب من اليونانيين ودفعهم للثورة ضد الحكم العثماني حينما قام بنشر إعلانه إلي شعب بلاد المورة وجزر الأرخبيل باليونان فيخاطب أهل بلاد اليونان بقوله : أيها السكان البواسل الذين يشعرون بمجد أجدادهم في أثينا وأندروس ، ولينوس ، وسيبس ، وباروس ، وناكسوس ، وأبسيرا ، وأندرا، وتينيو ، وميكونى، ورودس ، وقبرص وغيرها مادحا لمجدهم القديم ، وعشقهم للحرية قائلا لهم: " انقضوا وحطموا القيود التي فرضها عليكم (المسلمون المتوحشون)- يقصد الأتراك العثمانيين ، وقائلا لهم :"اطردوا العبودية المخجلة التي جعلت الأزواج والأطفال يرتعدون لمدة طويلة ولا تستسلمون لهذا الطغيان الذي يهينكم ويسلبكم كرامتكم....." . وهنا كليبر يحاول تحفيز اليونانيين على الثورة ضد الحكم العثماني لبلاد البلقان التي ثارت فيما بعد ضد هذا الحكم عام (١٨٤٠) . ويقول لورانس إن هذه الوثيقة بدون تاريخ Sans date ومن المرجح أنها كتبت في أواخر أبريل ١٨٠٠ ويؤكد ذلك تاريخ الرسالة المتقدمة عليها [٢] .

---

(١) Le général en chef Kléber au Président de L'Elglise Grecque , d Alexandrie , e 26 germinal an VIII (16 Avril 1800) ,B6113 , Laurens , T.IV , P 832.

(٢) projet de proclamation du général en chef Kléber Aux Peuples de la Morée et de I les de L'Archipel de la Grèce , B643, Laurens , T.IV, P861.

عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى : وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩ ، ص ص ٥٢٥ – ٥٥٢ .

كليبر وموقفه من مراد بك

وقع مراد بك معاهد سلام مع الفرنسيين في يوم ٥ أبريل ١٨٠٠ أثناء أحداث ثورة القاهرة الثانية ضد الفرنسيين [١] وتكونت المعاهدة من مقدمة وعشرة مواد ، ونهضت على أسس تبادل المصالح بين الطرفين دون مراعاة لظروف المصريين ، وجعلت مراد بك يتغاضى عن مقاومة الفرنسيين في صعيد مصر . وتفرغ الفرنسيون لمواجهة المقاومة المصرية والوقوف أمام التحالف الأنجلو – تركي لإخراجهم من مصر ووجد الفرنسيون في مراد بك حليفا لهم على الأتراك ومساندا لهم لإمدادهم بالمؤن التي يحتاجون إليها بعدما انقطعت بهم السبل في مصر ولم تعد الإمدادات تصل إليهم من بلادهم .

معاهدة السلام بين مراد وكليبر [٢] ٥ ابريل ١٨٠٠ / ١٥ جرمينال من السنة الثامنة :

مادة (١) :- يعترف الحاكم العام الفرنسي بمراد بك محمد حاكما على صعيد مصر ويمنحه هذا اللقب الانتفاع بأرض الضفتين بما في ذلك ناحية براس بوره – أحد أقاليم جرجا وحتى إسنا ، ويتولى دفع الميرى للجمهورية الفرنسية .

مادة (٢) :- تحديد الميرى السنوي الثابت بـ ٢٥٠ صرة إلى جانب الحبوب والشعير

مادة (٣) :- يدفع الميرى النقدي كل ثلاثة أشهر خلال السنة ويورد الميرى العيني كل عام إلي مخازن القاهرة ويخصم مراد مصروفات النقل وهي ٤٠ مديني للأردب من حساب الميرى النقدي .

---

(١) محفظة بدون رقم فترتها التاريخية من ١٦ نوفمبر ١٧٩٩ – ١٥ ديسمبر ١٧٩٩ ، وثيقة مؤرخة في ١٢ ديسمبر ١٧٩٩ تحمل رقم A- 1621 .

(٢) Traite avec Mourad Bey , Le 15 germinal an VIII (5Avril 1800) B6 43 et B6111 , Laurens , T . IV , pp. 803 – 806.

مادة (٤) :- جمارك القصير وإسنا ضمن الامتيازات السابقة ويقوم مراد بتقديم المساعدة للفرنسيين في ميناء القصير وعددهم مائتي رجل على الأقل يحصلون على رواتبهم خصما من الميرى المقرر .

مادة (٥) :- ينتفع مراد بالدخل ولا يتصرف في الملكية العقارية لصالح أشخاص تابعين له .

مادة (٦) :- يتم رد الفارين من طرف إلي الطرف الآخر وأن مزارعي كل قرية يجب عليهم سداد الضرائب .

مادة (٧) :- يكون مقر حاكم الصعيد مراد بك في جرجا .

مادة (٨) :- يضمن القائد العام لمراد بك الانتفاع بالإيرادات ، ويتعهد بحمايته في حالة الهجوم عليه. وإذا تم تهديد الفرنسيين والأراضي التي يشغلونها من أي جانب فإن مراد بك يلتزم بمساعدة الفرنسيين بنصف قواته والمساهمة في الانتقالات من مكان لأخر.

مادة (٩) :- يلتزم كليبر بعدم حرمان مراد بك من المميزات السالفة ولسوف يبلغ الحكومة الفرنسية بتلك الاتفاقية .

مادة (١٠) :- مواد هذا الاتفاقية أعدها رئيس الأركان والمواطن جلوتيه، وكيل الحكومة والمدير العام للمالية وعثمان بك البرديسى المكلف من مراد بك وسيتم التوقيع عليها من كليبر ومراد بك محمد .

يكتب الأصل باللغة الفرنسية والهامش باللغة العربية .

القاهرة في ١٥ جرمينال من السنة الثامنة/١٠ ذي القعدة ١٢١٤ هـ / ٥ ابريل ١٨٠٠م.

وتبع هذه الاتفاقية صدور إعلان من كليبر بشأن واجبات مراد بك بموجب اتفاقية ١٥ جرمينال / ٥ أبريل ١٨٠٠ م [١]:

---

(١) I bid , T . IV , PP , 806 – 807.

(١) يقيم مراد معسكره على الضفة الغربية للنيل على مسافة أربع فراسخ جنوب الجيزة وسيظل بها عشرة أيام حتى يأتيه البكوات والمماليك الموجودين بالقاهرة ، ثم ينسحب مراد إلي الجيزة مع حاشيته بعد العشرة أيام .

(٢) ليس من حق مراد رفع الضرائب المربوطة على المواد الغذائية في الجيزة وبنى سويف والمنيا وأسيوط أثناء إقامته بها .

(٣) يسارع مراد بإرسال الحبوب المشحونة بالنيل والتي شحنها درويش باشا من أجل جيوش الفرنسيين والعثمانيين وتوصليها للقاهرة حيث يقوم المعلم يعقوب بتقديم بيان عنها والأماكن المخزونة بها .

(٤) يرسل إلي القائد العام بالقاهرة الأتراك العثمانيين الموجودين بمعسكره والقبض على العثمانيين الموجودين بصعيد مصر بواسطة مراد بك .

(٥) يقوم مراد بك بالإعلان في القاهرة وبولاق عن معاهدة السلام التي عقدها مع الجنرال كليبر .

(٦) سوف يقوم مراد بك بعد ذلك بإرسال أحد البكوات من منزله إلي القائد العام كليبر وكيلاً عنه له سلطات وتفويض لتحقيق أهداف الجانبين .

وتطبيقا عمليا للمعاهدة قام مراد بك بإرسال قطيع من أغنام الصعيد عدده خمسة آلاف وخمسمائة رأس إلي الجنرال كليبر وجهها القائد الفرنسي إلي المدير العام بالجيزة يوم ٩ مايو لتوفير الغذاء للقوات الفرنسية [١] .

ولقد نجحت السياسة الفرنسية في مصر من إبعاد المماليك عن الالتحام بالقوات العثمانية التي دلفت داخل البلاد حينما أرسل محمد بك الألفي وسليم بك أبو دياب وهما من كبار المماليك إلي الجنرال كليبر يعبران عن خوفهما من الخطر العثماني الداهم لمصر وخشيتهما على أنفسهما من المشروع العثماني (المشئوم) ، ويرد القائد الفرنسي عليهما (ناصحاً) لهما بعدم الاتصال بالقيادة العثمانية على الإطلاق بل يجب عليهما

(١) Le général en chef Kléber à L'ordonnateur en chef , le 19 floréal an VIII (9 Mai 1800) – B6 113 Laurens , T . IV ,P .881.

الانضمام تحت لواء زعيمهم مراد بك (صديق الفرنسيين) في إقليم جرجا واصفا مراد بأنه " السيد المحترم " وأن المماليك هم " أمة كريمة " ، وفى نهاية رسالة القائد العام يطلب منهما عدم دخول القاهرة بقواتهما [١] حتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه داخل المدينة.

وعندما علم الفرنسيون بموت مراد بك أرسلوا برقية عزاء إلي عثمان بك البرديسى خليفته في زعامة المماليك ، يعبرون عن حزنهم بموت زعيم المماليك والإطراء عليه وعلى صفاته الطيبة آملين ألا تحدث وفاته أي تغيير في المعاهدة التي وقعت مع المماليك ثم أرسل الجنرال بليار إلي الضابط بيتريسى Petruccy يكلفه بالتوجه إلي مقر المماليك قرب الجيزة إثر وفاة مراد حين قام المماليك باختيار خليفة له وأكد لهم على أن الفرنسيين يشعرون بالود تجاههم ، لزرع بذور الفتنة بينهم وبين الأتراك والإنجليز على حد سواء " لأن الأتراك أعدائهم ويريدون مصر لذاتها وفى حالة انتزاعهم مصر مرة أخرى فإن المماليك لن يكون لهم مكان في هذه البلاد " [٢].

ولقد كان للسيدة نفيسة زوجة مراد بك والعالم فورييه Fourrier دور واضح في إتمام معاهدة السلام بين مراد والفرنسيين ، ولذلك فقد كان الفرنسيون يحترمونها وحملوا لها هذا الجميل حتى أواخر أيامهم في مصر ، وأرسل الجنرال بليار حاكم القاهرة قبل مغادرة القوات الفرنسية لمصر رسالة إلي الصدر الأعظم يوصيه بها خيرا ويؤكد له على ضرورة احترام الأتراك لعهود الفرنسيين مع نفيسة ، وما قدموه لها بمنحها التزام يضم عدة قرى مختلفة ويؤكد على ضرورة الحفاظ على أملاكها ، وعدم إلحاق أي ضرر بها [٣].

---

(١) Le général en chef à Mehemet ELFi Bey et à Selim bey Abou Diab Le I^er Prairial an VIII (21 Mai 1800) , B6114 , Laurens , T . IV , P .914.

(٢) محفظة فترتها التاريخية من ٢١ ابريل ١٨٠١ – ١٢ مايو ١٨٠١ ، وثيقة تحت رقم 133 – B6.

(٣) محفظة فترتها التاريخية من ٢٠ فبراير ١٨٠١ – ٢٢ يوليو ١٨٠١ م ، وثيقة تحت رقم – B6 134.

الإنجليز يحاصرون الشواطئ المصري

كانت السفن الإنجليزية الواقفة أمام الإسكندرية تمنع دخول أي سفينة للميناء السكندري تحمل إمدادات للفرنسيين ولهذا كان الإنجليز يقومون بتفتيش أي سفينة قادمة للميناء باستثناء السفن التركية التي دخلت إلى الميناء منها خمسة وثلاثون سفينة كانت مهمتها نقل الفرنسيين على متنها طبقا لاتفاقية العريش حيث تناقص عدد القوات الفرنسية الباقية في مصر إلي نحو ٢٢ – ٢٣ ألف رجل [١].

ويتولى القائد العام تحذير قائد حامية الإسكندرية الجنرال لانوس من عدم اتخاذ الإجراءات والاحتياجات اللازمة لحماية السفن الداخلة إلى الميناء والقادمة من فرنسا تحمل على متنها المواد الغذائية الضرورية للقوات الفرنسية في مصر [٢] .

يقول كليبر إلى لانوس أنه عثر ضمن أوراق الضابط موريه Morier الذي مات في دمياط أن الجنرال البريطاني كولر Koehler يتولى خداع الفرنسيين. وأن السفن التي أرسلت إليكم يمكن أن تخدعكم فلا تسمحوا لها بالإقتراب من الشاطئ دون اتخاذ احتياطيات عسكرية [٣] .

ومن مظاهر محاصرة السفن البريطانية للشواطئ المصرية تلك التحركات البحرية التي قام بها الزورق الإنجليزي أميركا America لمحاولة الاقتراب من ساحل الإسكندرية في مواجهة قلعة كافاريللى Le Forte Cafarelli مما أدى إلى إطلاق مدافع القلعة على الزورق ليبتعد عن الشاطئ ، ويوافى الجنرال لانوس – قائد حامية الإسكندرية – القائد العام كليبر بالترتيبات والتجهيزات التي قام بها للإرتقاء بمستوى

---

(١) Le général en chef Kléber au général Lanusse Le I^er floréal an VIII (21 avril 1800) , B6113 , Laurens , T . IV , P . 841.
محفظة فترتها التاريخية من ١٦ أكتوبر ١٧٩٩ إلى ١٥ نوفمبر ١٧٩٩ ، وثيقة رقم ٧٣٤ ، مؤرخة في ٢٤ فندمير من السنة الثامنة .

(٢) Le général en chef Kléber au général Lanusse Le I^er floréal an VIII (21 avril 1800) , B6113 , Laurens , T . IV , P . 841.

(٣) Le général en chef Kléber au général Lanusse Le 27 germinal an VIII (17 avril 1800) , B6113 , Laurens , T . IV , P . 842.

الأداء العسكري للحامية والتحركات التي أمر بها لقوات المدفعية الأرضية بقيادة شانتوار Chantouard – قائد المدفعية ، ويطالب قائده العام بإمداده بمائة ألف ريال كما وعده من قبل لحاجة الحامية العسكرية الشديدة إليها لاستكمال التجهيزات الملحة لقواته [١].

وقام الجنرال منو قائد رشيد بمراسلة القائد العام في ٢٧ فندمبير من السنة الثامنة (١٩ أكتوبر ١٧٩٩) يخبره بأحوال السواحل الشمالية وأن بعض الزوارق تجوب السواحل تجاه الإسكندرية ورشيد ، الأمر الذي يتطلب تدبير مبلغ عشرون ألف فرنك لتحقيق الدفاع عن السواحل .

ويقول الجنرال منو في مراسلته إلى القنصل العام بونابرت في فرنسا أن اللورد كيث قائد الأسطول البريطاني في البحر المتوسط لا يرغب في الحديث عن أي شيء بشأن جلاء الفرنسيين عن مصر قبل الموافقة على خروجهم كأسرى حرب وأن يتخلوا عن مدافعهم وأسلحتهم وأي شيء يحملونه معهم إلي فرنسا [٢].

---

(١) Le général Lanusse au général en chef Kléber , Alexandrié , Le 26 frimaire an VIII (17 december 1799) ,B637, Laurens , T .III , P 315 - 317.

(٢) Ménou , général de division au prémier Consul Bonaparte , Rosette , Le 28 Ventôse an VIII (19 Mai 1800) ,T.III , B6 42.

الثورات ضد الفرنسيين

يقول المواطن بوسيليج في رسالته للمدير التنفيذي le Diréctoire Exécutif لقد صار لدي المصريين أكثر من دافع للثورة ضدنا مثل اختلاف العادات ، واللغة ، والعقيدة ، وتواجهنا صعوبات عدة منها اتصال المماليك مع العثمانيين وتعاونهم ضدنا وتحرك الإنجليز البحري في البحر الأحمر ومساندتهم للمماليك ولذلك أرسل الجنرال بونابرت إلى شريف مكة لمهادنته ورد عليه الشريف ، ولكن الاتصالات توقفت عند وصول الصدر الأعظم بقواته إلى دمشق لمحاربة الفرنسيين وتغيرت موازين القوى في المنطقة نتيجة لهذه التحركات العسكرية ، ويقول بويسليج إن " عربان مصر لا يزالون في عداء دائم معنا منذ وصولنا وحتى الآن ، فالصدر الأعظم بجانب عدائه لنا يدعو الشعب المصري ضدنا وانضم إليه العربان " . ويتحدث بوسيليج عن معارك الفرنسيين مع الأتراك في تل طابور والصالحية وأبو قير وانتصار الفرنسيين عليهم وظهور قادة عظام أمثال كافاريللى، وديبوى، ودومارتان، وبون، ورامبو فاستحقوا تقدير الجنرال بونابرت ومكافأته لهم(١).

أما عن موقف الجنرال كليبر من ثورات المصريين في الوجه البحري فقد اتجه الجنرال بليار لدمياط لإخماد ثورتها وإخراج العثمانيين منها ودارت بينهما معركة انتصر فيها الفرنسيون واستولى بليار على مدافعهم وإعادة السيطرة على دمياط وفرض على أهلها غرامة حربية مقدارها ٢٠٠ ألف فرنك ثم اتجه بعد ذلك إلى منوف وأخمد ثورتها ، واتجه الجنرال لانوس إلى المحلة الكبرى، وسمنود، وطنطا وأرسل إليها مساعد الجنرال فالنتين فصادر الأملاك وفرض الغرامات الحربية واعتقل الكثير من الأعيان .

وفى سبيل إخماد ثورة أهالي الدلتا وعقابهم على مساندتهم للقوات العثمانية التي أنشأت مستودعات للمواد الغذائية في قرية "بن" بالقليوبية على الشاطئ الأيمن للنيل فقد

---

(١) Laurens , T.III , B6111 . PP . 147 – 149.

أصدر كليبر أوامره بالإستيلاء على هذا المستودع ومصادرة ما بداخله لصالح القوات الفرنسية ونقله تحت حراسة شديدة إلى مخازن القاهرة ، وأوصى قواته بعدم مواصلة إحراق قرى الدلتا وبخاصة منوف وسمنود اللتين كانتا تحت السيطرة الفرنسية، لأن حرق المزيد من القرى يؤدى إلى خسارة فادحة للفرنسيين[١] .

وكان القائد العام قد أمر الجنرال ڤرديه في منوف بتجريد حاملي السلاح من سلاحهم مثل السيد على وزغلول وتابعيهم[٢] ، ولم ينس القائد العام توجيه الشكر للجنرال بليار على نجاح عملياته الحربية في دمياط والغربية ، وقيامه بتفريق جموع الثائرين من أهالي الدلتا الذين احتشدوا في منوف[٣] .

ويلزم القائد العام شيوخ وسكان طنطا بدفع مبالغ مالية فرضها عليهم ، وتوريد كميات كبيرة من القمح يقدر سعرها بالسعر المتعارف عليه بين الأهالي ، كما أمر بسجن عدد من شيوخ المدينة بسجن القلعة على أن يسددوا مبلغاً وقدر ٥٠٠ ألف بوطاقة خلال مدة عشرة أيام عقابا لهم على مشاركتهم في ثورة المدينة ، ومساندتهم لثوار الدلتا أثناء حصار القاهرة من جانب القوات العثمانية ، وقد تضامن مع الشيوخ أهالي طنطا في دفع هذه الغرامة المالية[٤] وكان كليبر قد أمر كتائب المنوفية بالاتجاه إلى طنطا لمعاقبة "هذه البلدة المتمردة "[٥] .

---

(١) Oder du général en chef Kléber , Le 13 floréal an VIII (3 Mai 1800), B644, Laurens, T . IV , P . 869 .

(٢) Ibid, B6 113, P .898 .

(٣) Ibid, T. IV , B6 113, P .818 .

(٤) Oder du général en chef Kléber , Le 13 floréal an VIII (3 Mai 1800) , B6 44, Laurens , T . IV , P . 869 .

(٥) Ibid, T. III , B6 113, P .297 .

وقد أمر الجنرال كليبر في أمره الصادر يوم ٣ مايو ١٨٠٠ بنقل الشيوخ المسجونين بسجن القلعة إلي سجن منوف لإبعادهم نهائيا عن القاهرة ، ولن يتم عودتهم إلى منوف حتى يدفعوا ما تقرر عليهم بالقوة وسداد ما فرضه عليهم من غرامات[١] .

وبأمر من القائد العام تتوجه نصف الكتيبة (٢٥) نحو منوف، وميت غمر، وسمنود تحت قيادة الجنرال فرديه لحمايتها من العربان المهاجمين لهذه البلاد ، وتحصيل الغرامات المفروضة على سكانها نقداً وعيناً ومن بينها ٥٠٠ ناقة ، ٣٠٠ فرس لإرسالها على الفور تباعا إلى قوات القاهرة[٢] ، إلى جانب جمع البغال اللازمة لجر المدافع الثقيلة[٣] ولما كانت هذه الحيوانات غير كافية لأعمال الجيش فقد أمر القائد العام الصراف العام بتخصيص عشرة آلاف ريال لشراء الجياد الضرورية للقوات وتوفير الحصص اليومية من الطعام اللازمة لها[٤] .

وقام المعلم يعقوب (القبطي) بالقبض على المتأخرين في دفع الضرائب وإيداعهم السجن حتى يقوموا بسداد ما تقرر عليهم من ضرائب مفروضة ، وكان المعلم يعقوب مقرباً إلى درجة كبيرة من الفرنسيين، وفى إحدى وثائقه يقول القائد العام كليبر إلى الجنرال داماس إننا نعتبر يعقوب " كالأب الروحي لنا"[٥] .

---

(١) Order du général en chef Kléber , Le 13 floréal an VIII (3 Mai 1800) , B6 44 , Laurens, T . IV ,P .869.

(٢) Le général en chef Kléber au général de division verdier , Le 12 floréal an VIII (2 Mai 1800),B6 113 ,Laurens , T.IV , P.867.

(٣) Ibid, B644, P .896

(٤) Ibid, T . III , P .295.

(٥) Le général en chef Kléber au général Damas , Le Caire , Le 24 floréal an VIII (14 Mai 1800) , B6 44 , Laurens , T . IV , P . 896 .

ويصف كليبر مقاومي دمياط من الأهالي بأنهم "مجرمون" ويعترف بأن هناك أسباب قوية لمقاومة أهالي دمياط ، ويأمر باعتقال البعض منهم ، وجمع المعلومات الدقيقة عن بعض أعضاء ديوان المدينة المشتبه فيهم والمتورطين في الثورة ضد الفرنسيين .

ويأمر الجنرال رامبو باستخلاص أخشاب المنازل غير المأهولة بالمدينة وتسليمها للقوات الفرنسية أو للأشخاص الذين يمتلكون إيصالات سندات على الخزانة الفرنسية ، وشراء الخامات اللازمة مثل الحديد والنحاس التي في حوزة التجار ، ومصادرة القمح والشعير والخردل في أقاليم الغربية والمنصورة لتموين المواقع الحربية الفرنسية ويوصيه بمتابعة وملاحظة كافة نقاط السواحل في البرلس والطينة والمنزلة[١].

كما طلب كليبر من رامبو في دمياط عدم تخفيض المبلغ المطلوب من أهالي دمياط وهو عشرون ألف ليرة إلى جانب خمسين ألف تعويض عما أحدثته الثورات من تلفيات ، والقيام بتوفير جميع الأدوية والضمادات لصالح مستشفى المدينة ولصالح صيدلية معسكر العزبة ويطالبه بمعاملة اليونانيين أفضل معاملة والترحيب بهم[٢] .

ويوجه القائد العام نصائحه إلى الجنرال رامبو بقوله : " تسلمت خطابك .... الأشياء المستولى عليها في صناديق من رؤساء المتمردين (الثوار) والتي تقدر بخمسين ألف ليرة .... ودمياط سوف تقدم ضريبة غير عادية تقدر بـ ١٥٠ ألف ليرة يدفعها الأغنياء ، ولا يجب على المسيحيين المشاركة في هذه الضريبة لأنهم لم يشاركوا بالتأكيد في التمرد ضد الفرنسيين ، ويصف كليبر الثوار المصريين بأنهم " الجزء الأسود من شعب مصر " ويوصى رامبو بالشدة والصرامة الشديدة ، أرسلوا إليّ أسماء رؤساء المتمردين والمتهمين في العمل ضد الفرنسيين ، وتجنبوا المضايقات عند جمع الأموال . واهتموا بتفعيل دور حامية العزبة والساحل المواجه لدمياط. لقد كنت أنوى

---

(١) Le général en chef Kléber au général Rampon , Le 21 germinal an VIII (11 –vril 1800) , B6 113 , Laurens , T . IV , P . 816.

(٢) Le général en chef Kléber au général Rampon , Le 30 germinal an VIII (20 Avril 1800) , B6 113 , Laurens , T . IV , P .836 .

أن أترك القاهرة (المدينة الكبيرة المقدسة) للنهب والسلب غير أنني آثرت اللجوء إلى وسائل الإقناع والرأفة التي تؤدى إلي نجاحي"[١] .

وبخصوص الدواوين الصغيرة وهى دواوين الأقاليم التي أنشأها بونابرت فقد قام كليبر بوقف أعمال ديوان المنصورة لاستيائه من أدائه وعدم تعاونه ، كما أمر بتخفيض عدد أعضاء هذا الديوان ليصبح عضوين فقط يختارهم الفرنسيون[٢] .

وصدرت الأوامر إلي الجنرال داماس بالقبض على الشيخ السادات واصفاً إياه ب"البخل" ووقف قرار تنفيذ الإعدام عليه إذا قام خلال ستة أيام من تاريخه بدفع مبلغ ٢٥٠ ألف بوطاقة وإلى حين ذلك يتم حبسه ، والأمر بعدم خروج زوجته من منزلها[٣] ثم صدر الأمر بعد ذلك بانتقالها لمنزل الشيخ سليمان الفيومي[٤] .

وقد أمر القائد العام قواده بالتنبيه على حسن طوبار بالمنزلة بضرورة انصياعه للأوامر الفرنسية وإرغامه على توريد الأرز وما يحتاجه الفرنسيون من مواد غذائية لقواتهم ، ويحذر كليبر حسن طوبار الذي أساء الحرية التي يمارسها في ظل السيادة الفرنسية وأنه "تجاوز الحد " وأنه لا يتعاون مع القوات الفرنسية تعاونا كاملا ، كما يحذر كليبر من تعاون أي من المصريين مع أحمد باشا الجزار أو اتصاله بأي فرد من سكان البلاد أو أي أحد من أصدقائه في مصر[٥] .

---

(١) Le général en chef Kléber au général Rampon , Le 24 germinal an VIII (14 Avril 1800) , B6113, Laurens , T . IV , P . 821 .

(٢) Le général en chef Kléber au général Verdier , Le 13 Frimaire an VIII (4 December 1799) , B6 113 , Laurens , T . IV , P . 281 .

(٣) Le général en chef Kléber au général Damas, Le 20 floréal an VIII (10 Mai 1800) , B6 44 , Laurens , T . IV , P . 885 .

(٤) Ibid, B6 114, P .916 .

(٥) Le général en chef Kléber au général de division Rampon , Le 15 Floréal an VIII (10 Mai 1800) , B6 113 , Laurens , T . IV , P . 872 .

أما موقف حسن طوبار بالمنزلة من الفرنسيين أثناء المفاوضات ، فقد تلقى كليبر رسالة من الجنرال فردييه من دمياط يخبره فيها باعتراض حسن طوبار على سير المفاوضات بين الفرنسيين والحلفاء ، واستعداده للثورة ضد الفرنسيين ورفضه دفع ما فُرض عليه من ضريبة تقدر بـ ٣٠ ألف بوطاقة [١]

وكان موقف القائد العام الفرنسي من مراد بك فى بدايات عهده تتسم بالعداوة الشديدة وقد أمر الجنرال فريان بمهاجمته وتتبعه على أطراف القاهرة حتى لا يقترب منها ويضيف قائلا له: " ولو تمكنت من قتله ، فافعل ، سيكون لك المجد "[٢] .

يقول كليبر لقد أردت إصدار أمر بمهاجمة بعض أحياء القاهرة وإحراقها ولكن هبت عاصفة مصحوبة بأمطار غزيرة اضطرته إلى تأجيل تلك العملية ، كما أنه يقول : " إننا نتحلى بالصبر " وبعد أن باءت محاولاته بالفشل في إقناع قادة الثورة في بولاق على الخضوع للفرنسيين ، ولهذا فقد هاجم بولاق بقواته التي أسلم لها القياد للسلب والنهب وحرق المنازل وترك أهل الحي يعانون من المجاعة لإجبار أهلها على (التعقل) [٣] .

ومن مظاهر استخدام العنف من جانب الفرنسيين ضد أهالي القاهرة ما قاله كليبر بأن ما حدث في بولاق من تجاوز قام به الفرنسيون مع أهالي القاهرة بمثابة "الانتقام العادل" وحتى لا يقوم القاهريون بمساعدة الأتراك العثمانيين مرة أخرى ، ويحذر قواته

---

(١) محفظة فتراتها التاريخية من ١٦ نوفمبر ١٧٩٩ – ١٥ ديسمبر ١٧٩٩،وثيقة تحمل رقم c – 1621

(٢) Le général en chef Kléber au général Friant , Le 13 Frimaire an VIII (4 December 1799) , B6 113 , Laurens , T . III , P. 282.

(٣) Le général eu chef Kléber au général Lanusse , Le 26 germinal an VIII (16 Avril 1800) , B6 113 , Laurens , T . IV , P .830.

من عدم السماح للجنود بالسلب أو النهب طبقا لما صدر في الأمر اليومي في السابع عشر من أبريل ١٨٠٠ م[١] .

لقد تعسفت الإدارة الفرنسية في تفتيش منازل المسلمين بدعوى البحث عن الأسلحة دون بلاغات مسبقة ، مما أدى إلى العناد ضد جنود المحتل واستخدام العنف معهم كلما سنحت الفرصة للأهالي إلى جانب عدم شعور المصريين بالهدوء والاطمئنان والثقة في الفرنسيين وتصرفاتهم مما أضر بهم وهدد وجودهم في البلاد المصرية ، وقد تلقى الجنرال كليبر باعتباره القائد العام العديد من شكاوى أهل القاهرة بسبب استخدام أساليب العنف والابتزاز في جمع الضرائب من جانب قواده الذين مارسوا هذه الأساليب مع المصريين دون توقف مع ما صاحب ذلك من إهانات أدت إلى العناد والغضب من جانب الأهالي بدلا من أن يجعلها تشعر بالهدوء والثقة ولذلك أصدر القائد العام أمره بتوخي الحذر في التعامل معهم والقبض على المتشاجرين من الطرفين الفرنسي والمصري، وعدم قيام أي قائد ومن دونه من المرؤوسين بأي تعد على المنازل " وجزاء المخالف العزل من الرتبة والمحاكمة العسكرية "[٢] .

وقد تعرض الجيش الفرنسي لتمرد بعض الجنود في إحدى الكتائب وهرب المساجين من حراسهم ، ولذلك فقد أمر القائد العام بإرسالهم إلى القاهرة مكبلين بالقيود وتحت حراسة مشددة ، ويقول كليبر إن القائد المسئول عن هذه الكتيبة

---

(١) Kléber , général en chef au L Armée , Au Quartier – général au Caire , Le 2 Floréal an VIII (22 Avril 1800) , B6 43 , Laurens , T . IV , P .842.

(٢) Odre du jour du général en chef Kléber , Le 29 floréal an VIII (19 Mai 1800) , B6 44 , Laurens , T . IV , P . 906 .

هو السبب الرئيسي في هروب بعض هؤلاء المذنبين المحكوم عليهم بالسجن[١] .

وقام القائد العام بإصدار أوامره بإعادة توزيع مرابض المدفعية فوق المباني التركية بمدينة الإسكندرية ويطلب من الجنرال لانوس وضع بعض الأتراك بالقاهرة والإسكندرية تحت الرقابة الفرنسية وموافاته بحالة قطع المدفعية وعددها وإمكانياتها الحالية عندما يتم إطلاقها من أعلى المباني المستولى عليها[٢] وهذا الإجراء العسكري استكمالاً للعديد من الإجراءات التي قام بها القائد العام منذ أكثر من عام من تنظيم لإعادة توزيع القوات العسكرية واستكمال حاجات الجيش[٣] .

---

(١) Le général en chef Kléber au général Verdier , Le 13 Frimaire an VIII (4 December 1799) , B6 113 , Laurens , T . III , P . 280 .

(٢) Le général en chef Kléber au général Lanusse , Le 4 Prairial an VIII (24 Mai1800) , B6 114 , Laurens , T . IV , PP 926 – 927.

(٣) Ibid, T . III , PP. 295 - 296 .

دخول القوات العثمانية الأراضى المصرية
قبل توقيع اتفاقية العريش

كان الجيش العثمانى بقيادة الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا يتقدم من غزة نحو العريش منذ يوم ٢٢ نوفمبر ١٧٩٩ ، وكانت حامية العريش مؤلفة من ٤٥ جندياً فرنسيا بقيادة الكابتن جازلاسGazlas وعلى الرغم من تحصين الفرنسيين للقلعة وتقويتها لمواجهة الأتراك إلا أن جنود الحامية اصابهم الوهن وسرت بينهم روح التمرد والسخط على قيادتهم ، فلما حوصروا أعلنوا لقائدهم وجوب التسليم فتهدد المتمردين منهم بالعقاب ، واستمرت المقاومة لعدة أيام ، وفى يوم ٢٩ من ديسمبر تمكن العثمانيون من احتلال القلعة وسلمت لهم في اليوم التالي بعد أن قتلوا منها نحو ٢٣٠ فرداً وأسر الباقون ومنهم قائد الحامية ، وقد أرسل المواطن دورDaure تقريرا لقائده العام عن موقف هذه الحامية المتخاذل أمام الأتراك مما أعطى لكليبر مؤشرا واضحاً على مدى ما وصلت إليه أحوال الجيش من وهن [١] .

وعندما وصل نبأ تسليم القلعة لكليبر أمر بنقل مقر قيادته إلي الصالحية لرد الهجوم إذا لم يتم الصلح وقد علم كل من الجنرال ديزيه والمسيو بوسيليج بهذه الأنباء وهما على ظهر البارجة تيجرTigre وقد التقي السير سدنى سميث مع يوسف ضيا باشا واتفقا على الاجتماع بالمندوبين الفرنسيين فى معسكر الصدر الأعظم بالعريش لوضع شروط الصلح .

وأثناء اتجاه الصدر الأعظم بقواته نحو مصر وقد بلغ العريش بعد فشل المحادثات الفرنسية معه كان الجنرال فريان يحارب مراد بك فى الصعيد ، ويحفز الجنرال كليبر على مواصلة الحرب بشجاعة ويشيد بمجهوداته ، ويشير على فريان بالتوجه نحو الشمال لحماية القاهرة وأطفيح حيث أن قوات مراد بك لن تتمكن من مهاجمة منطقة القاهرة وعلى قيادتها الجنرال بليارد ، وخلال هذه الفترة الحرجة يجب إعلان حالة

---

(١) محفظة فترتها التاريخية من ١٦ ديسمبر ١٧٩٩ –٣١ ديسمبر ١٧٩٩ ، وثيقة رقم (4) - 1758.

الطوارىء وتطبيق الأحكام العسكرية خاصة وأن الخزانة خاوية ومواردها تضاءلت وعجز الفرنسيون عن دفع رواتب الجند [١] .

واشتكى القائد العام إلي الجنرال رينيه من اتجاه الفرسان والجنود والمشاه الذين أرسلهم الصدر الأعظم من غزة نحو العريش وبلغ عددهم من ٧ – ٨ آلاف شخص إلي القاهرة لشن هجوم جديد عليها ، يساعدهم عربان الشرقية الذين قاموا بتجميع كميات كبير من القمح والأرز وتخزينها تحت الأرض لإخفائها عن أعين الفرنسيين ، وكذلك فعل أهالي بنها ودمياط لمساندة الأتراك [٢].

ومع وجود القوات الفرنسية تحت قيادة الجنرال رامبو Rampon بالعريش وانتشار الطاعون بالمدينة ، فإن القائد العام أصدر أوامره بعودة تلك القوات إلي الصالحية لحماية قواته من هذا الوباء من ناحية ، والاحتماء بقلعة العريش حتى عودتها إلي الشرقية مع قوات الجنرال دافو Davout المتمركزة فى بلبيس لحماية الجبهة الشرقية للبلاد من الخطر العثمانى الذى لا يزال قائما فى بلاد الشام[٣] . وقام كليبر بتحريك قوات الجنرال دافو وديزيه Désaix وروبان Robin لحماية مداخل القاهرة من الشرق بعد أن سقطت قلعة العريش فى قبضة القائد التركى درويش باشا[٤] .

وفى رسالته إلي المواطن ليفرون Livron يشير القائد العام كليبر إلي مهام اللجنة التى سوف تتوجه إلي عاصمة الدولة العثمانية للتباحث بشأن الوضع الدولى فى مصر من خلال المراسلات التى تمت بين أطراف الصراع صاحبة المصالح فى

---

(١) Le général en chef Kléber au général Friant , le 4 Nivôse an VIII (25 décembre 1799) , B6 113 , Laurens , T.III, P.355.

(٢) Le général en chef Kléber au général Reynier . Gizeh, le 20 floréal an VIII (10 Mai 1800) B6 44 et B6 113 , Laurens , T.IIV, P.883.

(٣) Le général en chef Kléber au général Rampon , le 16 Nivôse an VIII (6 janvier 1799) , B6 113 , Laurens , T.III. P.399.

(٤) I bid , B6 113, T .III , P . 372.

أوروبا حتى يتم الرحيل عن مصر ، وموقف الأتراك عند احتلال روسيا لبعض جزر الأرخبيل اليونانى فى إطار الحل الشامل بين دول الصراع الدولى في أوربا [١].

بداية مفاوضات الصلح فى دمياط وغزة :

أوفد الجنرال كليبر مساعد الجنرال مورا Morand لمقابلة السير سدنى سميث لوضع خطة المفاوضات والتقى به فى يافا ، وبدأت المفاوضات على ظهر البارجة البريطانية تايجر قبالة دمياط وبدأت يوم ٢٣ ديسمبر ١٧٩٩ باجتماع الفرنسيين مع سدنى سميث نيابة عن الحلفاء فى نفس الوقت الذى واصل فيه الصدر الأعظم زحفه نحو مصر ، واستمرت المفاوضات لعدة أيام تبودلت فيها وجهات نظر الفريقين ووضع الفرنسيون مطالبهم وتوجه سدنى سميث بسفينته نحو سورية لمقابلة الصدر الأعظم قرب غزة .

وقد وصل مندوب الصدر الأعظم (موسى) عند غزة للقاء المفاوضين الفرنسيين على ظهر سفينة الكومودر سدنى سميث لوضع أسس وشروط السلام بعلم الإنجليز، ويقول كليبر" نحن نرغب فى الرحيل عن مصر ، وننبذ العداوة وإراقة الدماء" [٢] وقد رد الصدر الأعظم على كليبر باللغة التركية ترجمت رسالته إلي اللغة الفرنسية من خلال مندوبه موسى لإنجاز الرحيل ووضع بنود للمعاهدة وواجبات كل طرف والوسائل الكفيلة بتحقيق السلام ، وأرسل الصدر الأعظم نسخة من رسالته إلى الكومودور سدنى سميث [٣] .

وفى إطار استعدادات القوات الفرنسية وقيادتها للمواجهة الحاسمة مع الأتراك يأمر القائد العام كليبر الجنرال دوجاDuguaقائد القاهرة بإنشاء تحصينات جديدة بسجن القلعة لإقامة القوات الفرنسية وعدم السماح لأى فرد بالخروج من الثكنات دون تصريح

---

(١) Le général en chef Kléber au Citoyen Livron , le 9 Nivôse anVIII (30 décembre1799), B6 113 , Laurens ,T.III, P.374.

(٢) Le général en chef Kléber au grand Vizir , le 4 Nivôse an VIII (25 décembre 1799) , B6 111 , Laurens , T.III, P.342

(٣) I bid , B6 111, P . 345.

مكتوب من القائد ديباDupas [١] فى نفس الوقت الذى يخاطب فيه الجنرال دوجا قائده العام بأنه علم بأن بعض الجنود الفرنسيين وقعوا كأسرى فى أيدى الجيش العثمانى أثناء حصار يافا وأن القوات التركية فى طريقها لمصر [٢] مع إصرار الصدر الأعظم على استمرار ترتيبات محددة مع الجانب الفرنسى للخروج من مصر [٣].

وفى أثناء إصدار كليبر أوامره لجميع قواده للإستعداد لملاقاة الأتراك الزاحفين من الشرق صوب مصر ، يخاطب الجنرال فريان الذى يطارد مراد بك فى الصعيد دون جدوى ويحاول اقتفاء أثره ، بضرورة العثور على مراد والقضاء على قواته [٤]

وكان حسن بك الطمبورجى قائد الصدر الأعظم قد اقترب من صحراء مصر الشرقية رغم الاستعدادات الفرنسية لمحاولة منعه من دخول القاهرة ، ولهذا فقد قرر الجنرال كليبر التوجه بنفسه على رأس قواته نحو بلبيس على أن يحل محله في قيادة القاهرة الجنرال دوجا Dugua [٥] وأرسل إلي جميع قواده وعلى رأسهم الجنرال رينيه فى الصالحية والجنرال لانوس والجنرال فرديبه بالمنوفية لوضع قواتهم على أهبة الاستعداد للمقاومة [٦] وأصدر أوامره بحماية مناطق قطية وأشمون وبحر مويس تحت قيادة مارتل Martel مساعد الجنرال فرديبه [٧] .

---

(١) Le général en chef Kléber au général Dumas, le 5 Nivôse an VIII (26 décembre 1799) , B6113 et B638 , Laurens , T.III , P.360.

(٢) I bid , P . 361.

(٣) I bid , B6 111, P . 362.

(٤) Le général en chef Kléber au général Friant , le 8 Nivôse an VIII (29 décembre 1799) , B6 113 , Laurens , T.III, P.359.

(٥) Le général en chef Kléber au général Friant , le 8 Nivôse an VIII (29 décembre 1799) , B638 et B6 113 , Laurens , T.III, P.369.

(٦) I bid , B6 113, P . 370.

(٧) I bid , B6 113, P . 392.

كليبر واتفاقية العريش

٢٤ يناير ١٨٠٠م

نتيجة لتطور أحوال الحملة السيئة واستحالة مجيء الإمدادات اللازمة للجيش من فرنسا ، فإن القائد العام وجد أنه لا مناص في العودة إلى بلاده بما تبقى لديه من هذه القوات بشرفها العسكري ، إلا من خلال المفاوضات مع الأتراك بعد أن بدأ الصدر الأعظم في تجميع قواته في يافا للهجوم البرى على مصر بمساندة الأسطولين العثماني والبريطاني في البحر المتوسط ، ولذلك أرسل كليبر إلي حكومة الإدارة في فرنسا في ٢٣ ديسمبر ١٧٩٩ ، ليمهد في الدخول في مفاوضات الصلح مع الأتراك وكان بونابرت قبل مغادرته مصر قد منح كليبر سلطة اتخاذ ما يراه ملائما لإنقاذ القوات الفرنسية ولو من خلال التفاوض[١] ، لذلك فإن كليبر آثر أن يبدأ المفاوضات مع الأتراك الذين تحالفوا مع الإنجليز والروس ضد بلاده ، ومن هنا أرسل إلى مصطفى باشا " قائد الحملة " العثمانية المأسور فى معركة أبى قير البرية من قبل ، الذي أصبح يلعب دور الوسيط بينه وبين الصدر الأعظم .

وفى إطار رغبة القيادة الفرنسية في الخروج من مصر يعبر القائد العام عن هذه الرغبة في رسالته للجنرال ديزيه ومواطنه بوسيليج بقوله : " لقد وصلتني الرسائل التي أرسلتموها إلى من على ظهر السفينة تايجر والتي تسلمتها توا على شاطئ غزة ، كما جاءتني أخبار القوات الفرنسية داخل الأراضي الألمانية والإيطالية ، وقوتنا البحرية في البحر المتوسط في موانئ برست Brest في مواجهة الأسطول الهولندي المعادى لنا ، وموقف القوات البريطانية والهولندية في الأراضي الهولندية ، ومعارك الرين Rhin والألزاس L'Alsace وفونديه La Vendée وماينس Mayence وعموما فإن الموقف الأوربي يسير من سيء لأسوأ بالنسبة للفرنسيين "[٢] ويضيف الجنرال كليبر

---

(١) محفظة فترتها التاريخية من ١٦ نوفمبر ١٧٩٩ – ١٥ ديسمبر ١٧٩٩ – وثيقة مؤرخة في ٢٣ ديسمبر ١٧٩٩ ، تحمل رقم A – 1486.

(٢) Le général en chef Kléber au général Désaix et au citoyen Poussielgue , Le 13 Nivôse an VIII (3 janvier 1800) , B6 111 , Laurens , T . III , P. 389 .

لقواده بأنه يجب أن تساعدوني في الخروج من مصر للدفاع عن فرنسا ومنع غزوها ، وهو نفس الموقف الذي برر فيه بونابرت دوافع خروجه من مصر ، والخروج من مصر كأحرار في هذه الظروف ، ويقول كليبر لقائديه : قدموا اقتراحاتكم للباب العالي للخروج بأسلحتنا ومهماتنا وتوقيع معاهدة صداقة مع الأتراك ، وتوفير الضمانات اللازمة لخروجنا علي السفن اللازمة لنا من الإسكندرية ودمياط لنقل ٢٥ ألف رجل بالتنسيق مع السير سدني سميث وفى كل الأحوال يقول كليبر: " يجب عدم إنهاء مفاوضاتنا مع الإنجليز دون الرجوع إلي ، وحتى يمكننا معرفة موقف الصدر الأعظم"[١].

وقد اقترح الفرنسيون نصوص المعاهدة ، وسارعوا إلي وضع هذه النصوص ومناقشتها خاصة وأن أخبار فرنسا وحروبها البرية والبحرية في هولندا وايطاليا والنمسا ، وأمورها الداخلية لم تعد تصل إلى القيادة الفرنسية في مصر التي انقطعت صلتها ببلادها في أوربا[٢] .

وكان غرض كليبر من إجراء المفاوضات مع الأتراك هو إبعاد تركيا عن المحالفة الدولية ضد فرنسا إلى جانب بقاء الفرنسيين في مصر فترة أخرى تسمح لهم بمعاودة الحرب لتثبيت أقدامهم في البلاد لحين وصول الإمدادات من فرنسا أو مغادرتها إذا تعذر لهم ذلك[٣] .

ثم أرسل الكومودور سدني سميث إلى الجنرال كليبر يخبره بأن مصطفى باشا رافق القائد البريطاني إلى معسكر الصدر الأعظم ليتبادلا الرأي والإطلاع على الرسائل المرسلة من كليبر ومناقشة ما تحويه بمشاركة ممثل روسيا ليدلى باقتراحات دولته

(١) Ibid, B6111 , P.390 .
(٢) Le général Désaix et le Citoyen Poussielgue au général en chef Kléber à bord du Tigre , Le 5 Nivôse an VIII (26 décembre 1799) , B6111, P 363 .
(٣) Charles – Roux : L' Angleterre et l Expédition en Egypte , T .II , Le Caire , 1925 , P. 6 .

حول عملية المفاوضات الجارية بين الأطراف المتحاربة[١] وفى سبيل تهدئة الأمور مع الأتراك للخروج من مصر فإن القائد العام يرسل إلى الكومودور سدني سميث برغبته في وقف استخدام السلاح قائلا له : " هذه هي الوسيلة الوحيدة لإحلال الهدوء لاستمرار المفاوضات المهمة لنا عن طريق الوسائل السلمية والإنسانية .."، ويتساءل كليبر ولكن كيف يتم ذلك " والقوات العثمانية متمركزة أسفل قلعة العريش ؟ " فيجب على الصدر الأعظم العودة نحو بلاد الشام لمسافة مسيرة يوم واحد ، " لقد أرسلت (كليبر) إلى الصدر الأعظم بشأن ذلك ولازلت أنتظر إجابته " .

ويقدم القائد العام الفرنسي شكره للقائد البريطاني على سماحه بتأشيرات سفر لفريق رجال لجنة الفنون والآداب للعودة لفرنسا حيث لا يزال بعضهم مرافقين للجيش في حملات الصعيد ولم يتمكنوا من السفر مع زملائهم ، ويرجو القائد الفرنسي سدني سميث أن يساعده على تبادل العدد الضئيل من أسرى معركة أبى قير البحرية عندما تحين الفرصة ، وعلى استمرار المفاوضات الدائرة مع الأتراك[٢].

واقترح المتفاوضون الفرنسيون والأتراك هدنة لوقف القتال بين الطرفين لمدة خمسة عشر يوما حتى يتم توقيع الاتفاق النهائي بينهما لإخلاء مصر من القوات الفرنسية ، وبعد أن صدر بيان ثلاثي عن الباب العالي ، وبريطانيا ، وروسيا بشأن الجلاء عن مصر[٣] .

لقد كانت مراسلات الصدر الأعظم إلى الجنرال كليبر ودية وتعبر عن رغبة صادقة للأتراك في إحلال السلام بالمنطقة ، على عكس موقف السير سدني سميث الذي كان متشددا بشأن تبادل الأسرى وخاصة الأسرى الأتراك وعلى رأسهم بطرونه بك الذي أسره الجنرال مارمون ، ومع ذلك فإن سدني سميث يقول لكليبر : إنك

---

(١) Laurens , T .III , PP . 285 – 286 .

(٢) Le général en chef Kléber au Commodore Sidney Smith , Le 13 Nivôse an VIII (3 janvier 1800), B6 111 , Laurens,T . III, PP. 387 – 388.

(٣) Laurens , T .III , PP . 291 -293.

متحمس لتحقيق الجلاء وإني أرغب في تحقيق العدالة للجميع؛ ولهذا فإن كليبر يخاطب الجنرال ديزيه والمواطن بوسيليج مندوبا الحوار مع الصدر الأعظم في معسكرهما بالصالحية ويعطيهما حق الموافقة أو رفض المقترحات الضارة بالشأن الفرنسي وإقرار ما يراه كليهما لصالح بلادهم دون تسويف أو تأجيل ، ومع ذلك فإن مراسلاته معهما تؤكد رغبته الصادقة في الجلاء عن مصر مؤكداً لهما على ضرورة عرض مقترحاتها على مجلس الحرب المكون من عشر ضباط من الجنرالات المرافقين لهما بالمعسكر ، وضمان بقاء القوات الفرنسية المتواجدة بمصر دون مضايقات أو عنت من جانب الحلفاء[١] .

وكتب الجنرال ديزيه والمواطن بوسيليج إلى القائد العام كليبر وهما بمعسكر المفاوضات قرب العريش في أول بليفوز من السنة الثامنة (٢١ يناير ١٨٠٠ م) يقولان: إن القوات العثمانية المسلحة بلغت نحو أربعة آلاف رجل ، وفى حين كنا نقيم بيافا ونحن نشاهد الفرسان والمشاة وقد تمكنوا من الاستيلاء على أقوات ومخازن العثمانيين التي وجدت بعد انسحابهم ، وأثناء خروجنا من يافا لاحظنا من ١٢ – ١٣ قطعة من الذخائر وفى طريقنا وجدنا أعداداً من الجمال المتجهة نحو الصدر الأعظم ووصلنا إلى غزة ورأينا معسكر أنشئ بها ولم نحدد أعداد قواته الموجودة فيه وهم لا يقلون عن ٣٠ ألف رجل واقتربنا من المعسكر ، وقال حراسنا إن الصدر الأعظم اتجه نحو الشام مع ٢٠ ألف جمل و٤٠ ألف خروف، وعلمنا لماذا رفض المئونة التي قدمناها له من مصر . وأقمنا بغزة معسكرنا ولاحظنا وجود جزء صغير من معسكر الصدر الأعظم والأتراك ويتأكد أنهم نحو ٥٠ ألف رجل ويوجد في مقدمات المعسكر ثمانية آلاف رجل على سواحل السويس وقطية وعلى رأس كل واحد قائد برتبة باشا وعلي رأسهم – يوسف باشا الصدر الأعظم الذي ولد في جورجيا وتولى وظائف عديدة

---

(١) Le général en chef Kléber au général Désaix et au citoyen Poussielgue ,Plénipotentiaires Prés Le grand Vizir de Salheyeh , Le 2 Pluviôse an VIII(22 janvier 1800) , B6 111 , Laurens , T.IV , P. 508 .

واستطاع إخماد عدة ثورات ويوجد في جيشه ستة باشاوات يحملون رتبة باشا بثلاثة أطواخ وأربعة بطوخين ، ولم نصل إلى ترتيبات خلال المفاوضات الأخيرة معهم . وبعد المؤتمر الأخير أراد سدني سميث إزالة كل الصعوبات الموجودة ومتابعة شئون روسيا من خلال الريس أفندي الذي كان سفيرا في روسيا – ومنذ ٤٠ يوماً ظهر أسطولاً روسياً يحمل عشرة آلاف رجل يتأهبون للنزول بعد الجلاء إلى مصر[١] .

ويرسل الجنرال ديزيه والمواطن بوسليج إلى القائد العام كليبر من المعسكر قرب العريش في ٤ بليفوز من السنة الثامنة (٢٤ يناير ١٨٠٠ م) الساعة ٩م والذي وصل معسكر الصالحية في ٦ بليفوز (٢٦ يناير ١٨٠٠م) قائلاً : لقد وضعت نصوص المعاهدة الموقعة وشروط مغادرة الجيش من مصر ، وأكثر من مرة يتم التهديد بوقف المؤتمر ولابد من إنجاز الترتيبات الضرورية لإتمام الرحيل . ويشتكى ديزيه من نقص الأموال اللازمة لمرتبات جنوده والتي تزيد علي مليوني ريال لحاجة الجيش لإتمام الرحيل وتوفير الضروريات اللازمة؛ لحماية قواته في هذه البلاد لتغطية أعمال الرحيل من القاهرة والتنسيق مع بريطانيا بشأن السفن الفرنسية الموجودة والصعوبات التي ستواجهها عند الرحيل ، والضمانات التي ستمنح عند تنفيذ المعاهدة وجدولة عمليات الرحيل والضمانات اللازمة عند الجلاء [٢] .

وفى رد الصدر الأعظم في ٢٦ يناير ١٨٠٠ على الجنرال كليبر يقول له :" لقد وصلني خطابك مع موسى طرطر والذي قلت فيه لمصطفى باشا أنك ترغب في الرحيل عن مصر دون إراقة دماء بغية تحقيق السلام بين فرنسا والإمبراطورية العثمانية ولذا فقد قدمت مشروعك للجلاء عن مصر وأن رؤيتك تجاه هذا المشروع لم

---

(١) Le général Désaix et le citoyen citoyen Poussielgue au Commandant en chef Kléber , au Camp des Confrénce Prés d'El-Arich , Le I^er pluviôse an VIII (21 Janvier 1800). B6111 , Laurens , T.IV , PP. 524 – 525 .

(٢) Le général Désaix et le citoyen Poussielgue au Commandant en chef Kléber , au Camp des Confrénce Prés d'El-Arich , Le 4 pluviôse an VIII (24 Janvier 1800), B6 111 , Laurens , T.IV , PP 531 – 533 .

تتغير ولا تبغي كسب مزايا على حساب الجميع أو وضع العراقيل أمام تحالفنا القديم ، ويصف الصدر الأعظم القائد الفرنسي كليبر بأنه " قدوة الأمراء " Modéle des "Princes . [1]

ويرسل القائد العام كليبر إلى المدير التنفيذي بمقر القيادة العامة بالصالحية قائلاً له : لقد قاربنا على التصديق على المعاهدة مع الصدر الأعظم وسوف أشهد هذا الحدث قبل خروجي من القاهرة ولسوف ننهى المناقشات الرئيسية المتعلقة بهذا الموضوع ، إن الجنرال بونابرت مهتم بهذا الموضوع الذي يحتاج إلي شجاعة كبيرة ولسوف أدافع عن قواتى حتى النهاية ولسوف أكون جسورا وأمسك المبادرة بيدي بعد أخذ رأيكم .

ويضيف كليبر : لقد كان جيش الصدر الأعظم يضم ٢٥ ألف محارب وفى الحقيقة فهم أكثر من ٤٠ ألف رجل فيهم عدد كبير من الفرسان سافروا بسرعة دون عوائق من سوريا للحرب وأمام هذا العدد الهائل يجب علينا أن نواجه ثمانية آلاف رجل داخل البلاد بالكامل لحماية الأماكن الهامة ما بين بلبيس والصالحية وقطية خاصة وأن البكوات دخلوا حتى أطفيح بالجيزة ، ولن نسمح لهم بدخول القاهرة بعد اقتراب القوات القادمة من الصعيد. " .... وأتعشم أن نقضى على تمرد الجنود في دمياط والإسكندرية وأن يتواجد القادة في أماكنهم وأن يؤدوا واجبهم ومهامهم لتحقيق أهداف الجنرال بونابرت الذي غادر البلاد.

وحمل الجنرال ديزيه خطاباً إلي الممثلين المفاوضين للصدر الأعظم والذين سوف يعرضون عليه شفاهة آرائهم ورغباتهم "ويجب التعرف على رغبات الصدر الأعظم وما سيأتي من فرنسا من أوامر ومن الباب العالي لما لنا معهم من روابط قديمة

---

(1) Le général Vizir au général an chef Kleber Au Quartier général d'El-Arich , Le 16 du mois Chaaban an 1214 (24 nivôse an VIII -16 janvier1800) B6 111, Laurens, T.IV, P 523.

وعلاقات تجارية ، "ولا نريد للباب العالي أن يتخلى عن المعاهدة ؛ لأن الإنجليز لم يهتموا بتعضيد السلام العام"(١).

ثم أرسل الجنرال ديزيه والمواطن بوسيليج إلى القائد العام كليبر من معسكر التفاوض بجوار العريش يقولان : " أخيرا حددنا هذا المساء لمناقشات معاهدة الجلاء عن مصر وحددنا المواد بعدد (٢٢) مادة وقد كتبت باللغة التركية وترجمت للفرنسية بصورة سيئة ، وقد أرسلت إليك اليوم وحررت بشكل غير واضح وسوف توقع غداً وتم تبادلها ليرسل الأصل التركي للتصديق عليه ، وسوف نضم لها نسخة فرنسية برفقة المفاوضين الأتراك ... وحدد ديزيه المواد التي لا يرضى عنها في المعاهدة وهى ١٥، ١٦ ، ١٧ لأنها صعبة التطبيق .... ولابد من موافقة الحكومة الفرنسية على شروط الجلاء عن مصر ... وتتحدث الوثيقة عن أخبار فرنسا في أوربا وفرانكفورت ورحيل بونابرت واتجاهه نحو برلين في ألمانيا – فلماذا رحل ؟ الفرنسيون في مصر لا يعرفون شيئا عن أخبار بلادهم والأحداث الأوربية .... "(٢) .

وفي رسالة أخرى من الجنرال ديزيه والمواطن بوسيليج إلى القائد العام كليبر من معسكر التفاوض قرب العريش يقولان : لقد أرسلنا إليك نص معاهدة الجلاء عن مصر والتي أعدت نسخة منها بالأمس لتوقيعها بالقبول وما يجب تغييره منها . ولسوف نرسل الأصل التركي مع نسختك المختومة بخاتمك في الحال قبل اعتمادها ، وقد أرسل الصدر الأعظم بريداً يحمل أخبار قادمة من القسطنطينية ، وكذلك أمر بإعداد السفن التي نحن في حاجة إليها ، وأخيرا فإن الصدر الأعظم أرسل فرمان للمماليك وإلى أهالي مصر وللعربان لوقف أعمال العدوان علينا . ويجب علينا في الحال توقيع

---

(١) Le général en chef Kléber au Directoire Exécutaif , Au Quartier général salheyeh , Le8 Plaviôse an VIII (28 janvier 1800), B6 111 , Laurens, T.IV, PP 539 – 540 .

(٢) Le général Désaix et le citoyen Poussielgue au Commandant en chef Kléber , au Camp des Confrénce Prés d'El-Arich , Le 3 pluviôse an VIII B6 111 , Laurens , T.IV , PP 527 – 528 .

النسخة ومن الضروري إعطاء الأوامر بالرحيل من المواقع الرئيسية والأتراك متعجلون لرحيلنا وشغل مواقعنا وتنفيذ كل بنود المعاهدة . وفى وقت قصير سوف نتخلى عن كل مواقعنا وننجز الرحيل طبقا للمعاهدة .

" ونحن نلاحظ منذ توقيع المعاهدة سرور الأتراك وفرحهم ، ولسوف نترك مواقعنا بعد تبادل التوقيع على المعاهدة ومن الضروري الحصول على نسخة الأصل التركي للمعاهدة قبل إرسالها لكم مع نسخة تترجم إلى العربية . وأن سكان مصر يعتقدون أنه بعد خروجهم سيعيشون مع الأتراك في سكون وهدوء .... "(١).

وقد وقعت معاهدة الجلاء عن مصر بين المواطنين ديزيه – قائد فرقه ، وبوسيليج – المدير العام للمالية ، ممثلين عن القائد العام كليبر ، ومندوب سمو رشيد أفندي دفتردار ، ومصطفى راسيشه أفندي ريس الكتاب ، وزراء مفوضين عن سمو الباب العالي ، وفي مقدمتها :

الجيش الفرنسي في مصر يرغب بشيء من الشجاعة أن يوقف القتال والعداوة بين الجمهورية الفرنسية والباب العالي للجلاء عن مصر طبقا لما تنص عليه المعاهدة الحالية المأمول أن تحقق السلام والهدوء لأوربا ونصت في مادتها الأولى على أن الجيش الفرنسي سوف ينسحب بأسلحته ومعداته من الإسكندرية ورشيد وأبي قير حتى فرنسا على سفنه وبموافقة من الباب العالي لتجهيز هذه السفن بعد شهر من الآن وبعد إجراء الاستعداد من قلعة الإسكندرية ترسل لجنة من خمسين فرد من طرف الباب العالي للمساعدة في إتمام إجراءات الجلاء .

---

(١) Le général Désaix et le citoyen Poussielgue au Commandant en chef Kléber , au Camp des Confrénce Prés d'El-Arich , Le 4 pluviôse an VIII (24 Janvier 1800), B6 111 , Laurens , T.IV , PP 529 – 530 .

والمعاهدة مكونة من (٢٢) مادة موقعة قرب معسكر العريش في ٤ بليفوز من السنة الثامنة (٢٤ يناير ١٨٠٠) الموافق (٢٨ شعبان ١٢١٤ هـ) ، وقام الجنرال كليبر بالتوقيع عليها وإرسال نسخة منها إلى قائد الفرقة وقائد أركان الحرب داماس[١] .

وقد أرسل القائد العام كليبر إلى الجنرال ديزيه والمواطن بوسيليج المندوبين إلى الصدر الأعظم في معسكر الصالحية معاهدة الجلاء عن مصر مع الشروط المختلفة بين الترجمة الفرنسية والنصوص التركية وبعد مراجعة كلا النصين وتحديد اختلافاتهما . مثال ذلك المادة (١٣) التي تتحدث عن نقل الفرنسيين بواسطة سفننا القادمة من الإسكندرية والمادة (١٨) المترجمة عن التركية مع حذف كلمة (avant) قبل توقيع المعاهدة والفقرة (٢) المتعلقة بالوصول إلى ميناء طولون أو مرسيليا مع تقديم التسهيلات اللازمة من قبل الصدر الأعظم والباب العالي والحاجة إلي تقديم بعض التسهيلات من جانب سدني سميث.

وأكد كليبر علي ترك القوات الفرنسية في قطية حتى وصول المندوبين الفرنسيين إليها وبدون ذلك لا يمكن تحقيق الأمن للجيش ولضمان الحفاظ على النقاط الأخرى [٢] كما أكد اللورد كيث على معارضته الشديدة لمعاهدة العريش التي وافق عليها الباب العالي مع الجنرال كليبر بعدما أعلن القادة الإنجليز والروس في البحر المتوسط للقائد الفرنسي معارضتهم للمعاهدة ، وكانت اقتراحات اللورد كيث تتكون من ستة مواد أهمها ما ورد بشأن منح جوازات السفر للفرنسيين المغادرين مصر طبقا للمادة (٢١) من المعاهدة التي سوف يتسلمونها من الإنجليز في ميناء الإسكندرية عند ركوبهم

---

(١) Proclamation du général en chef à L'armée , du Camp de Salheyeh , Le 8 pluviôse an VIII B6 111 (28 janvier 1800) , Kléber , général en chef ,à L'arméc , B6111 , Laurens , T.IV , p 548.

(٢) Le général en chef Kléber au général Désaix et le citoyen Poussielgue Plénipotentiaire Prés Le grand Vizir, au Quartier général salheyeh , Le 8 Plaviôse an VIII (28 janvier 1800), B6 111 , Laurens, T.IV, PP 533 - 534 .

السفن[١] ، وبعد أن اعترض الإنجليز على خروج أي سفينة فرنسية من مصر دون موافقتهم[٢] .

وقد أرسل الجنرال منو إلى القنصل العام في فرنسا نابليون بونابرت يقول له : لقد خاطبني سدني سميث قائد القوات البحرية في البحر المتوسط بضرورة استسلام الفرنسيين وخروجهم من مصر كأسري حرب تاركين مدافعهم وأسلحتهم وكل ما يحملونه [٣] .

لقد كانت شروط معاهدة العريش في صالح الجانب الفرنسي ؛ الذي رأى فيها خروجا مشرفا لهم من تلك البلاد التي ضاقت بهم وهم محاصرون فيها ، وسوف يغادرونها يحملون أسلحتهم معهم . رغم ما انتاب كليبر من قلق لما سوف يحدث عند عودته لفرنسا دون تحقيق أهداف الحملة على الشرق منذ مجيئها عام ١٧٩٨م .

وكان القائد العام ينوى الإنسحاب ومغادرة مصر طبقا لنصوص الاتفاقية وإخلاء العاصمة ولذلك أرسل إلى الصدر الأعظم يوم ٦ مارس ١٨٠٠ يقول له:" لقد كلفت الجنرال داماس للاتصال بمصطفى باشا ، ويس أفندي راسخ المشرف على إخلاء القاهرة بموجب الاتفاقية.." طالبا منه زيادة عدد المراكب لنقل المرضى إلى رشيد ومنها عبر البحر إلى فرنسا [٤].

وشرع الجنرال كليبر في تنفيذ نصوص الاتفاقية بعد أن ترك الصالحية متجهاً إلى القاهرة ، وبدأت القوات في نقل مهماتها إلى الإسكندرية تمهيداً للسفر ، وأمر بتأليف لجنة عسكرية لهذا الغرض ، وبدأت قوات الصعيد في الاتجاه نحو القاهرة، وأخلى الفرنسيون عدة مراكز حربية في الوجه البحري ، ما لبث العثمانيون أن استولوا عليها بدلا من الفرنسيين الذين شرعوا في إخلاء القاهرة ذاتها ، ولم يتمهل كبار القادة

---

(١) Laurens , T .IV , B6 42 et B6 111 , PP 649 – 650.

(٢) Ibid , B6 42 et B 6 111 , P 651.

(٣) Menou , général de division au Prémier Consul Bonaparte , Rosette , Le 28 Ventôse an VIII (19 Mari 1800) , B6 42 , Laurens, T.IV, P 771 .

(٤) محفظة فترتها التاريخية من أول مارس ١٨٠٠ – ٣١ مارس ١٨٠٠ م ، وثيقة رقم 111 – B6 .

فبـادروا بالسفـر نحـو الإسكنـدرية وعلى رأسهم الجنرال ديزيه [١]. لكـن أوامـر اللورد كيث قائد البحرية البريطانية في البحر المتوسط قد صدرت إلى السفن الإنجليزية بمنع سفرهم وإلغاء العمل بشروط اتفاقية العريش .

وأمام هذا التحول المفاجئ في الموقف البريطاني لم يجد كليبر مفراً مـن إيقـاف عملية إخلاء المواقع الحربية والاستعداد لمواجهة الخطر القادم وتجميع القوات بالقاهرة بعد زحف الجيش العثماني تجاهها [٢] .

ولقد أرسل الصدر الأعظم إلى كليبر يقول : " إن الهدف من جميع الخطابات التى أرسلها بونابرت وكليبر لي هو إخلاء مصر دون سفك دماء ، وإننى " أخبـركم أننـى أشارككم تلك الرغبة بعد التصديق على معاهدة العريش " ويقول الصدر الأعظم " كان يجب عليكم إخلاء مدينة القاهرة طبقا للإتفاقية ولسوف نسمح لكم بوصول السلع الغذائية للفرنسيين فى مصر وعودة الرهائن إليكم " ومع ذلك فقد تصدى الفرنـسيون لطلائـع الجيش العثمانى المتقدم نحو القاهرة بدون مدفعية وذخيرة . [٣]

---

(١) الجبرتي : عجـائب الآثار ، ج٣ ، دار الجيل ، ط ٢ ، ص ٩٠ .
Tallien Commissaire Civil Charge de L'evacuation des blesses au général en chef Kléber à Alexandrie, le 19 germinal an VIII (9 Avril 1800) , B6 43, aurens , T . IV , P 808.

(٢) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية ، ج٢ ، مرجع سابق ،ص ١٢١ .

(٣) Le grand Vizir au général en chef Kléber au Quartier général de Jaffa (sans date) arrivée au Caire Pas un tartare le 30 germinal an VIII (20 avril 1800) , B643 et B6 111 , Laurens , T.IV,P . P.839 – 840.

ما بعد اتفاقية العريش

كتب الجنرال رينيه Reynier تقريراً إلى القائد العام في ٣ مارس ١٨٠٠ يوضح فيه خروج أهل القاهرة على عادتهم المألوفة مع الفرنسين وإظهارهم الاحتقار لهم ، بقذفهم الأحجار على الجنود من البيوت والمحلات في نفس الوقت الذي هاجم فيه العثمانيون قلعة سلكوفسكى وباب النصر. وبدأ الفرنسيون في بيع خيولهم وأمتعتهم وما زاد عن أسلحتهم وأصبح العثمانيون يتعاملون مع السكان ويشاركونهم أعمالهم وحرفهم، وبدأ الفرنسيون في إخلاء قلعة الجبل وغيرها من القلاع (١) .

وأرسل الصدر الأعظم إلى مراد بك في الصعيد يطلب منه المجيء إلى معسكره بالشرقية لمقابلته ولكن مراد بك أرسل إلى الفرنسيين يستأذنهم سرا في إتمام هذه المقابلة فأذنوا له بذلك (٢). ثم أرسل القائد العام وهو بمعسكره بالصالحية رسالة إلى ديوان القاهرة ودواوين الأقاليم يزف للأعضاء نبأ توقيع المعاهدة وقرب مغادرة الفرنسيين للبلاد ، وتم إعلان بنود المعاهدة بعد ترجمتها للغة العربية في أنحاء القاهرة وفى نفس الوقت أرسل الصدر الأعظم عدة رسائل إلى مراد بك زعيم المماليك يطلب منه الاتجاه نحو مشارف الجيزة ليتمكن من دخول القاهرة بقواته بعد رحيل الفرنسيين عنها (٣) .

ومنذ منتصف مارس جرت اتصالات بين داماس ولانوس بالإسكندرية بشأن تنفيذ قرارات القائد العام بخصوص اللجنة المكلفة بالإشراف على إجراءات الرحيل وتشكلت هذه اللجنة من ثمانية أقسام : الأول تحت قيادة الجنرال رينيه ، والثاني تحت قيادة الجنرال فريان ويضم كل منهم خمسة آلاف رجل ، والثالث تحت إشراف الجنرال

---

(١) محفظة فترتها التاريخية من أول مارس ١٨٠٠ – ٣١ مارس ١٨٠٠ م ، دوسية رقم 5 ، وثيقة رقم 23.

(٢) المصدر نفسه : محفظة رقم ٢٠ فترتها من أول فبراير ١٨٠٠ – ٢٨ فبراير ١٨٠٠ وثيقة مؤرخة في ٨ فبراير ١٨٠٠ / ١٩ بليفوز من السنة الثامنة للجمهورية .

(٣) محفظة فترتها التاريخية من أول يناير ١٨٠٠ – ٣١ يناير ١٨٠٠ م ، وثيقة رقم 120.

رامبو ، والرابع تحت قيادة الجنرال لانوس ومع كل منهم أربعة آلاف رجل إلى جانب فرق الفرسان والمدفعية ، والمهندسين المكونة من ستة آلاف رجل (١).

ويحذر كليبر قواده من غدر العثمانيين ومرافقيهم بسبب جهلهم وغدرهم (كما يدعى) ومداهنتهم حتى يخرجوا من البلاد قائلاً للجنرال رينيه : " اتجه بنفسك ومعك مساعدك وكتيبة من الفرسان إلى القبة لتجد مائة جمل محملة بالبسكويت لتسليمها إلى ناصف باشا لحاجة قواته إليها وليتم سيرهم نحو الشام ويجب ألا يسمح للعثمانيين بمهاجمة القرى التي يمرون عليها في طريقهم المحدد لهم لكي لا يحدثوا نوعا من الفوضى حتى وصولهم قطية "

لقد كان مراد بك ومعه الألفي بك معارضا للاتفاق الفرنسي مع العثمانيين " وإذا كان المماليك سيتوجهون إلى الصعيد فيجب عليك إجبارهم على المرور عبر الصحراء وعدم مرورهم داخل القاهرة ويجب أن يكون إبراهيم بك حاملا جواز سفر منى" (٢).

أما عن موقف بريطانيا من اتفاقية العريش فقد بدأت تضع العوائق أمام تنفيذ الاتفاقية خاصة ما صدر عن القيادة البريطانية في البحر المتوسط كما قال كليبر في رسالته إلى المسيو بوسيليج في رسالته المؤرخة في ٢٦ فبراير ١٨٠٠ (٣).

وطبقا للمادة السابعة من معاهدة العريش فليس لأي من أهالي القاهرة الخروج من المدينة ليلحق بالجيش العثماني أو المماليك ولقد علم كليبر بخروج بعض الناس محملين بالذهب والنقود الفضية فأوجب اعتراضهم ومصادرة ما يملكون لصالح الجيش الفرنسي (٤).

---

(١) محفظة فترتها التاريخية من أول مارس ١٨٠٠ – ٣١ مارس ١٨٠٠ م ، وثيقة رقم 116 – B6 .

(٢) Le général en chef Kléber au général Reynier , Le Caire ,le 4floréal an VIII (24 avril 1800) , B6 43 et B6 113 , Laurens , T . IV , P 845.

(٣) محفظة فترتها التاريخية من أول فبراير ١٨٠٠– ٢٨ فبراير ١٨٠٠م، وثيقة رقم 88 – B6

(٤) Le général en chef Kléber au général de division Reynier , Le Caire – 5 floréal an VIII (25 avril 1800), B6 43 et B6 113, Laurens,T. IV , 848 .

وكانت الحكومة البريطانية قد أصدرت أوامرها إلى اللورد كيث في ١٥ ديسمبر ١٧٩٩ برفض أي اتفاق بين الفرنسيين والأتراك وعدم الموافقة على خروجهم من مصر بأسلحتهم ، بل كأسرى حرب ، ومحاصرة السواحل المصرية وقد أرسل كيث من أمام الإسكندرية إلى بوسيليج في ٨ مارس يبرر له موقف حكومته وأنه سوف يسعى لتغيير هذا الموقف المعارض لوجهة النظر الفرنسية [١] .

وعندما نما إلى علم الجنرال كليبر من المسيو بوسيليج بما جاء في الموقف البريطاني أصدر أمره إلى الجنرال رينيه في ١١ مارس ١٨٠٠ بالتوجه إلى معسكره وعدم إخلاء قلاع القاهرة ، وأصدر أمره إلى الجيش يشرح فيه موقف بريطانيا مشددا على ضرورة التمسك بالشرف العسكري الفرنسي [٢] كما أرسل القائد العام إلى الصدر الأعظم يطلب منه الانسحاب فيما وراء بلبيس وتجميد الموقف حتى يتم تذليل تلك العقبات [٣] ولكن الجيش العثماني واصل تقدمه صوب القاهرة وأقام معسكره في صحراء شرق العاصمة .

وحاول الأتراك إزالة العقبات أمام تنفيذ إجراءات ترحيل الفرنسيين ففي ١٤ مارس أرسل كليبر إلي سدني سميث المرابض أمام الإسكندرية يخبره بمفاوضاته مع الصدر الأعظم الذي منحه قدراً كبيراً من الأمل في تذليل العقبات التي نشأت نتيجة الموقف البريطاني [٤] وبعد أن أذاع كليبر منشوراً على الجيش يخبره بنقض الاتفاقية من جانب الأسطول البريطاني ويطالب جنوده بالحذر والاستعداد للدفاع عن شرفهم العسكري [٥] .

---

(١) محفظة فترتها التاريخية من أول مارس ١٨٠٠ – ٣١ مارس ١٨٠٠ م ، وثيقة رقم B6-110.
(٢) المصدر نفسه ، وثيقة رقم 230 .
(٣) المصدر نفسه ، وثيقة رقم 232.
(٤) محفظة فترتها التاريخية من أول مارس ١٨٠٠ – ٣١ مارس ١٨٠٠ م ، وثيقة رقم 232، مؤرخة في ١٤ مارس ١٨٠٠ / ٢٣ فنتوز من السنة الثامنة .
(٥) المصدر نفسه ، وثيقة رقم 230.

وحدثت بعض المصادمات بين العثمانيين الذين دخلوا القاهرة والفرنسيين مما أدى إلى مقتل بعض الفرنسيين ولذلك فقد أصدر كليبر أمره بخروج العثمانيين من القاهرة حتى تنتهي الأيام المتفق عليها طبقا للشروط التي جاءت بنصوص الاتفاقية .

ويقول الصدر الأعظم للجنرال كليبر : إن العثمانيين قادرين على إرسال جيش جرار فى الحال متأهباً للقتال إذا كنتم تتباهون بقوتكم التى تضعف وتقل يوما بعد يوم إنكم تعلمون ذلك وأنتم "ذوى الذكاء الخارق" فماذا معكم لمهاجمة جيش العثمانيين ونقض المعاهدة والتصرف بشكل مناقض لحقوق الإنسان ، ويتوعد الصدر الأعظم الفرنسيين بأنهم سيلقون عقاباً من الله بسبب نقضهم للعهود . " ولسوف أصل إلي مصر ومعى قوات كبيرة يجب عليكم إرسال مصطفى باشا وحسين أغا وبعض من قبض عليهم من العثمانيين الذين لم يحاربوا الفرنسيين ولكن تم القبض عليهم فى القاهرة " ويشدد على ضرورة الإفراج عنهم " والمسارعة بإرسال مصطفى باشا وحسين أغا ومن معهم من الأتراك سالمين فإذا لم يتم ذلك فإننى أحذركم بأننى سأعامل الفرنسيين المحتجزين لدينا بما يستحقونه وعددهم كبير " [١] .

---

(١) Le grand Vizir au général en chef Kléber au Quartier général de Jaffa (sans date) arrivée au Caire Pas un tartare le 30 germinal an VIII (20 avril 1800) , B643 et B6 111 , Laurens , T.IV,P . P.839 – 840.

معركة عين شمس

٢٠ مارس ١٨٠٠م

انتصار هليوبوليس :

أرسل كليبر رداً على رسالة منو إليه يؤكد على جديته فى الجلاء عن مصر وأن اتفاقية العريش قراراً صائباً وأنه مقتنع بهذه الاتفاقية لأنها وضعت حداً لمشروع الحملة " الجنوني " لأنه لن تصل أى إمدادات من فرنسا ولن تكون مصر مستعمرة فرنسية ....وقال كليبر: " أيها الجنرال إنك تتجه صوب الشرق ، وأنا اتجه صوب الغرب فلن يفهم أحد منا الآخر "[١] .

وقد أرسل القائد العام المواطن ليفرون Levronعلى ظهر السفينة اسكندربرج Le Scanderberg للخروج من الإسكندرية متجها نحو تركيا فى مهمة سرية إلي الباب العالي ، وقد أصدر كليبر تعليماته إلي قائد الإسكندرية الجنرال لانوس بمنع صعود أى مدنى إلي السفينة حتى تغادر الميناء مع أول ريح ملائمة للسفر[٢] .

ولهذا فقد أصدر كليبر تعليماته لقوادة بإعادة توزيع القوات وحماية العريش ، وقطية ، والصالحية مع مشاركة قواده العظام فى هذه التحركات[٣] .

ثم أرسل الجنرال رينيه Reynier إلي قائده العام الجنرال كليبر ينبأه بتقدم الأتراك نحو العريش وقطية وعلى رأسهم الصدر الأغظم ، ولذا فقد أصدر كليبر أوامره إلي رينيه بالتقدم مع قواته من الصالحية نحوقطية قائلا له : إن العدو لو تمكن من احتلال قطية فلن نتمكن من الإتصال بمنطقة العريش ، مؤكد على ضرورة أن

---

(١) Rousseau . M-F : Kléber , OP . cit , P 302.

(٢) Le général en chef Kléber au général Lanusse , Le 9 Prarial VIII an (30décembre1799),B6113,Laurens,T.III,P.373.

(٣) Le général en chef Kléber au général Reynier , Le 7 Nivôse an VIII (28décembre1799),B6113,Laurens,T.III,P.365.

تكون المراسلات فيما بينهما سريعة ومستمرة على غير العادة [١] .

كما أصدر القائد العام أوامره إلي فرق المدفعية للتحرك نحو دمياط وأصبح هو على رأس نصف فرقة من الفرسان متجها نحو بلبيس ليقطع على العدو الطريق إلى القاهرة ، وأرسل الضابط بودو Baudot لتعزيز قواته فى دمياط للإتجاه نحو غزة ، أما الجنرال فريان فعليه حماية القاهرة . وقام بالتنبيه عليه بالتواجد فى العريش دون أن يهاجم قلعتها[٢] .

وقد أمر الجنرال كليبر قواده العسكريين بمنع قائد القوات العثمانية الذى تمكن من دخول البلاد بقواته من الاتصال بالسكان المصريين أو بأى من أصدقائه منهم حتى لا يكون عاملا مشجعا على الثورة ضد الفرنسيين ، كما أمر بنزع السلاح من السفن التركية الراسية أو الداخلة للموانى المصرية لهذا الغرض[٣] .

ثم أرسل كليبر إلى الصدر الأعظم يطالبه بالانسحاب بقواته فيما وراء بلبيس وتجميد الموقف حتى يتم تذليل ما طرأ من عقبات على الموقف بين الجانبين [٤]، وقد أذاع كليبر منشوراً للجيش يوم ١٨ مارس ١٨٠٠ م يحفز الجنود للقتال واستعداده للمعركة القادمة مع الأعداء ، وفى صباح يوم ٢٠ مارس خرج الجيش الفرنسي نحو شرق القاهرة لمواجهة جيش الصدر الأعظم في ضاحية عين شمس والتحم الجيشان في معركة لعدة ساعات انتصر فيها الفرنسيون وانسحب الأتراك تحت قيادة الصدر الأعظم نحو بلبيس واستولى الفرنسيون على معدات ومدافع الأتراك [٥] وبدأ كليبر يطارد جيش

---

(١) Le général en chef Kléber au général Reynier, Le 14 Nivôse an VIII (4janvier1800),B639,Laurens,T.III,P.365.

(٢) Le général en chef Kléber au général Reynier, Le 14 Nivôse an VIII (4janvier1800),B639 et B6113 , Laurens,T.III,PP. 394.

(٣) Le général en chef Kléber au général Lanusse,Le 16 Floréal an VIII (6 Mai 1800) , B6113 , Laurens,T.IV , P.874.

(٤) المصدر نفسه ، وثيقة رقم 232.

(٥) محفظة فترتها التاريخية من أول مارس ١٨٠٠ – ٣١ مارس ١٨٠٠ م ، وثيقة رقم 242 .

الصدر الأعظم نحو بلبيس ، ولقد عبر الجنرال منو عن سعادته لهذا الانتصار الذي وصفه بأنه " فتح جديد لمصر" (١).

وقام كليبر بتوجيه وتحريك بعض الفرق العسكرية فى الدلتا من أجل تبديد وتفريق جموع العرب العثمانى (القوات العثمانية) التى انتشرت فى البلاد أثناء دخول العثمانين الذين كانوا على مقربة من طنطا ، ويطلب القائد العام من الجنرال رامبو الاتصال بالجنرال ڤرديه المتواجد بالوجة البحري لمساعدته ، حيث أن كليبر ليس بمقدوره خلال هذه الأحداث إرسال المدد إليه نظراً لهياج القاهرة ضد الفرنسيين والثورة فى بولاق فلايزال القتال يدور بداخل شوارعها ويقول كليبر " إن علم فرنسا بدأ يرفرف مرة أخرى فوق مآذن القاهرة " (٢) .

ويقول كليبر: " لقد تمكنت من هزيمة الصدر الأعظم وسوف أعود بجيشى المنتصر إلي القاهرة حيث لجأ ألف عثمانى إلي إثارة شعب المدينة بعد دخولها ولقد حرصت على إعادة السكان إلي النظام . وقد قتل ناصف باشا وسط هذه الفوضى ، ولذلك كتبت إلي الباب العالي من خلال مصطفى باشا الذى أقلع إلي القسطنطينية لهذا الغرض . وأتمنى خلال الأيام القامة أن أكون سيدًا على هذه العاصمة وعلى مصر جميعها " (٣).

وغنم الفرنسيون من الأتراك خمسين مدفعا برونزيا إلى جانب ما وجدوه فى الحصون التي أجلوهم عنها بالقوة بخلاف الأعلام والألوية التى وضعت على مركز القيادة الفرنسية. والخيام التى بلغت أكثر من ألفى خيمة فى معسكرات الخانكة والصالحية وسيارة الصدر الأعظم المحمولة على إثنى عشر محمل مغطاة بطبقات

---

(١) Rousseau . M.f : Kleber et Ménou en Egypte dépuis le Départ de Bonaparte , paris , 1900 , p . 299.

(٢) Le général en chef Kléber au général Rampon, Le 25 germinal an VIII (15Avril1800),B6113,Laurens,T.IV, P 823.

(٣) Le général en chef Kléber au général Lanusse,Le 20 germinal an VIII (10 Avril1800) , B6113,Laurens,T.IV, P 813.

الذهب والنقوش وحقائب الأمتعة والصناديق المطرزة..... وغيرها. ولقد حرص الفرنسيون على طبع تقرير عن هذا النصر لإخبار الجيش كله بهذه التفاصيل الهامة[١].

وأصدر القائد العام كليبر قراره في يوم ٣٠ أبريل بأن تحتفل كل الحاميات العسكرية فى مصر عدا القاهرة بإطلاق طلقات نارية مع المدفعية احتفالا بنصر هليوبوليس والاستيلاء على القاهرة (فتح مصر للمرة الثانية) حيث تشبه كليبر بالقائد العام بونابرت وبخروج ثلاثة آلاف جندى عثمانى من القاهرة يوم ٢٥ أبريل واستسلامهم ومقتل وجرح ثلاثة آلاف رغم استيلاء الأتراك على عدد كبير من الأسلحة والذخيرة فى بلبيس والصالحية ودمياط والقاهرة . وأصدر كليبر أمره بأن أى من أهالي القاهرة سيأوى أي فرد تركى أو مملوكى دون إعلان سابق للقائد الحربى الفرنسى بأربعة وعشرين ساعة سوف يحكم عليه بالإعدام وسوف يدمر منزله وتصادر أملاكه لصالح الخزينة الفرنسية . ولسوف يمنح مكافأة قدرها ٥٠٠ قرش لمن يبلغ عن أى مواطن مخالف لهذه التعليمات ، كما أن أى شرطى فرنسى يقبض على أحد الأتراك أو المماليك فى شوارع القاهرة أو ضواحيها يمنح مكافأة قدرها ١٠٠ ليرة بحيث لا يكون المقبوض عليه حاملا لجواز سفر موقع عليه من قائد الأركان للقوات الفرنسية وبالنسبة للمقبوض عليهم بعد هذا الإعلان ولمدة خمسة أيام سيعتبرون أسرى حرب ، وبعد انقضاء الخمسة أيام سيعتبرون جواسيس يحكم عليهم بالإعدام .وبالنسبة للمماليك سيدفعون غرامة مخالفة ويعتبرون هاربين يكلفون بالأشغال العامة إلي أن يتم تسليمهم لمراد بك[٢].

وقد حدث تمرد بالقاهرة بعد فشل مشروع السلام بين الفرنسيين والعثمانيين حيث

---

(١) I bid , P.814 .

(٢) Order du général en chef Kléber , Le 10 Floréal an VIII (30 Avril 1800), Laurens, T.IV, P .857.

وقف الشيوخ موقفاً غير واضح خوفا على حياتهم وشعر الفرنسيون بعدائهم لهم[١] بعد أن استأنف الفرنسيون الحرب من جديد ضد العثمانيين وحدوث غليان فى القاهرة حيث اعتبر الأتراك أن موقف الفرنسيين "ظلما لهم" ولسوف تظل الأمور غير واضحة بين الجانبين والأحوال في اضطراب حتى وصول جوازات المرور للفرنسيين من جانب الإنجليز للسماح لهم بالسفر إلي فرنسا ومغادرة البلاد [٢] .

ومع توقف الأعمال الحربية بين الفرنسيين والأتراك العثمانيين بدأت قوافل وجماعات أهل بلاد المغرب وموريتانيا (المورو) يفدون إلى مصر مع غيرهم من أهل بلاد أفريقيا للتجارة والتوجه إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج [٣] .

---

(١) Nassouf pacha à Moutsta pacha , 7 Zeil el Cade 1214 , 12 germinal an VIII (Avril 1800) , B6 43 , Laurens , T 0 iv , P . 801 .

(٢) Nassouf pacha et Osman Kiaya Bey à Moustafa pacha , 7 Zei el Cade 1214,12 germinal an VIII (2 Avril 1800),B643,I bid,P.802 .

(٣) Le général en chef Kléber au général Dugua , Le 5 Pluviôse an VIII (25 janvier 1800), B6 113 , Laurens, T.IV, P 519 .

ثورة القاهرة الثانية

٢٠ مارس -٢١ أبريل ١٨٠٠ م

أثناء معركة عين شمس كانت حامية القاهرة بقيادة الجنرال ڤرديه تتكون من ألفى جندي منتشرة ما بين قلاع المدينة والمعسكر العام بالأزبكية ، وقد أصدر كليبر أوامره إلى هذا القائد لكي يتحصن بالقلاع متى شعر ببوادر الثورة على الفرنسيين ، ولكن دخول بعض الجنود الأتراك والمماليك تحت قيادة نصوح باشا أثناء المعركة قد شجع أهل القاهرة على الثورة إلى جانب بعض الأتراك الذين اندسوا في أنحاء الأقاليم المصرية يحفزون المصريين ، وكانت الشرارة في حي بولاق تحت قيادة مصطفى البشتيلى يوم ٢٠ مارس .

وزاد من أحداث الثورة دخول الكثير من جند الأتراك إلى القاهرة يصاحبهم قادة المماليك منهم إبراهيم بك ومحمد بك الألفي وحسن بك الجداوى وعمت أنحاء المدينة واتجه الثائرون نحو معسكر القيادة بالأزبكية وامتلأت الشوارع والميادين بدعاة الثورة وأخذت المدافع تضرب أحياء المدينة ، واتسع نطاق الثورة يوم ٢١ مارس، فأرسل كليبر قوات الجنرال لاجرانج لنجدة القاهرة كما دخلها الجنرال فريان مع جنوده لإزاحة المتاريس التي وضعها الثوار في الأحياء المختلفة وحاول المصريون إنشاء معمل للبارود في بيت قائد اغا بالخرنفش ومعملا آخر لإصلاح الأسلحة والمدافع وصنع القنابل وباشر التجار مساعداتهم المادية والعينية للثوار . وعاد كليبر إلى القاهرة يوم ٢٧ مارس وشاهد هذه الأحداث التي لم يكن يتوقعها .

وقام الثائرون بمهاجمة بيوت المتعاونين مع الفرنسيين سواء من الأقباط أو المسلمين ، وانتشرت هذه الروح في الأقاليم المصرية بعد أن سمع المصريون بما يجرى في القاهرة وعلى رأسها مدينة الإسكندرية فأرسل الجنرال كليبر بعض القوات إلى الإسكندرية لقمع الاضطربات التي استمرت لأكثر من ثلاثين يوما حاول فريان

جاهداً القضاء عليها [١] وفى نفس الوقت قام الجنرال ديستان قائد منطقة الرحمانية ببعض الحملات ضد العربان في البحيرة ومريوط [٢] وقد أمر كليبر بالهجوم على الثوار في بولاق بقيادة الجنرال بليار في ١٤ ابريل وفى نفس الوقت أمر بمصادرة شحنات السفن الراسية في دمياط والإسكندرية وبخاصة السفن التركية [٣] لمعاقبة الأتراك .

وتزعم السيد عمر مكرم نقيب الأشراف والسيد احمد المحروقى الثائرين وانضم إليهم بعض التجار والمغاربة وكثير من العامة فحملوا العصي وبعض السلاح ومعهم حشد من الأتراك الذين دخلوا القاهرة ، وانتشر الثوار في بولاق ومصر القديمة والجيزة رغم وصول الجنرال لاجرانج للقاهرة لمواجهة الموقف [٤] واستمرت هذه الثورة ٣٢ يوما رغم التفاوت الواضح بين تسليح وقوة المصريين وبين الفرنسيين ، وقد تعاون بعض النصارى وعلى رأسهم المعلم يعقوب القبطي مع الفرنسيين ضد الثوار المصرين والذي اختار لنفسه الانحياز لصف المحتلين ضد أبناء وطنه رغم معارضة بطريرك الأقباط لهذا السلوك غير الوطني .

أما عن موقف الجنرال كليبر الذي دخل القاهرة يوم ٢٧ مارس بعد أن ترك حاميات بالصالحية والقرين وبلبيس ورأى مدى قوة الثوار وحصونهم ومتاريسهم فأدرك مدى خطورة الموقف وفكر في الوسيلة المناسبة لإخمادها فرأى أن يستخدم الزمن لبذر الشقاق بين صفوف الثوار بعد أن تضعف روحهم المعنوية ويدب الملل في صفوفهم وأخذ يحصن القلاع ويقيم الاستحكامات ، ونجح في بث بذور الفتنة بين عناصر الثورة بين المصريين والأتراك والمماليك ، فبدأ يفتح باب التفاوض مع الثوار من خلال مصطفى باشا (الأمير) الذي أقنع ناصف باشا – القائد التركي بضرورة الكف عن

---

(١) Courrier de L'Egypte , No 106.

(٢) Décrispation de l'Egypte .T.XVIII , 2em Part, P.36.

(٣) محفظة فترتها التاريخية من أول مايو ١٨٠٠ – ٣١ مايو ١٨٠٠ – قرار صادر من كليبر في ٢٦ جرمينال من السنة الثامنة / ١٦ ابريل ١٨٠٠ .

(٤) محفظة فترتها التاريخية من أول مارس ١٨٠٠ – ٣١ مارس ١٨٠٠ م ، وثيقة تحمل رقم 28 , 12 .

القتال خاصة بعد هزيمة الصدر الأعظم وانسحابه إلى بلاد الشام ، كما أن الأتراك والمماليك كان هدفهم من مساندة الثوار هو استعادة سلطانهم القديم ، وفى غضون هذه الأحداث كان مراد بك قد بدأ مفاوضاته مع الجنرال كليبر لعقد اتفاق سلام بينهما .

وفي الوقت الذي وقع فيه مراد بك معاهدة السلام مع الفرنسيين (٥ أبريل)، كان ثوار القاهرة لا يزالون يواصلون مقاومتهم للفرنسيين ولم يستجيبوا لدعوة العلماء والمشايخ لإلقاء السلاح والصلح ، ولما أحس كليبر بعدم جدوى طلبه الصلح مع الثوار وقيادتهم أمر يوم ١٤ ابريل بالهجوم الشامل على الأحياء التي خرجت منها الثورة وعلى رأسها حي بولاق وأمطر القاهرة بالقنابل المحرقة التي أحرقت الحوانيت والبوابات والأسواق . وما هي إلا بضع أيام حتى تمكن القائد العام من السيطرة على حي بولاق بقوات الجنرال بليار والجنرال فريان ، واحتجز الفرنسيون عدداً كبيراً من النساء اغتصبوهن داخل معسكراتهم حتى خروجهم من مصر مما أثار ثائرة الأهالي واستمرار العنف ضد المحتلين .

وبعد أن تمكن الفرنسيون من إخضاع الثورات المتفرقة في أنحاء الوجه البحري منذ أوائل شهر أبريل ١٨٠٠ أجمعوا أمرهم لإخماد ثورة القاهرة والهجوم على المدينة منذ ١٤ أبريل وتم اقتحام المنازل التي تحصن فيها الثوار ، واستمرت المناوشات بينهم وبين الفرنسيين ، ثم تمكن كليبر بجنوده من احتلال بعض المرتفعات التي كانوا يتحصنون بها واستمر القتال سجال في الوقت الذي بدأت فيه ذخائر الفرنسيين في النفاذ على أن عودة الجنرال بليار من دمياط تاركا فيها كتيبة تحت قيادة الجنرال رامبو مكنته من دخل القاهرة يوم ١٣ أبريل أمام معسكر بولاق معقل الثورة مما ساند القوات الفرنسية لاقتحام هذا الحي .

وظل كليبر يتفاوض مع ناصف باشا بواسطة مراد بك حتى تم توقيع اتفاق ٢١ أبريل ١٨٠٠ (أول فلوريال للسنة الثامنة) والذي تكون من تسع مواد تضمنت جلاء القوات العثمانية والمماليك الذين دخلوا القاهرة وذلك في خلال ثلاثة أيام حاملين أمتعتهم ، وأعلن كليبر العفو العام عن أهل القاهرة وثورتها بشرط ألا يخرج أحد من

سكانها للحاق بالجيش العثماني في شرق البلاد وشعر كثير من الأهالي بأن كليبر سوف ينتقم منهم فواصلوا فرارهم خلف الأتراك قدر عددهم بعدة آلاف من السكان [١] وكان من بينهم السيد عمر مكرم، وأحمد المحروقى ، واستخدم الفرنسيون الكثير من الفظائع لإخماد ثورة القاهرة من إضرام النيران في المباني الآهلة بالسكان وقتل الفرنسيون أعداداً هائلة من السكان قبل إخماد الثورة في ١٥ فلوريال السنة الثامنة (٥ مايو ١٨٠٠) ، واستأنف علماء القاهرة مسعاهم لحقن الدماء وألحوا على ناصف باشا وإبراهيم بك للعمل على وضع حد للقتال وانضم عثمان بك البرديسي وكيلا عن مراد بك للعلماء الساعين للصلح واستمرت المفاوضة في شروط التسليم حتى تم الاتفاق يوم ٢١ أبريل ١٨٠٠ ووقع عليه ناصف باشا وعثمان أفندي وإبراهيم بك وذلك بخروج الجنود الأتراك والمماليك من القاهرة خلال ثلاثة أيام حاملين أسلحتهم فقط وأن ينفذ الجلاء يوم ٢٥ ابريل ١٨٠٠ (٣٠ ذي القعدة ١٢١٤ هـ)، وتعهد كليبر بالإعفاء العام عن الأهالي ، وهاجر من العاصمة عدة آلاف من السكان فتفرقوا في البلاد خشية انتقام الفرنسيين منهم وعادت السكون والهدوء الحذر مرة أخرى في القاهرة والوجه البحري والقبلي ، ونقض كليبر عهوده بالعفو العام عن سكان القاهرة وفرض على أهلها غرامة قدرها ١٢ مليون فرنك نصفها نقدا ونصفها عينا وتسليم السكان للفرنسيين ٢٠ ألف بندقية ، و١٠ آلاف سيف ، و٢٠ ألف طبنجة ، وفرض على كبار الأعيان والعلماء غرامات كبيرة . وصودرت أملاك السيد المحروقى وفرض على الشيخ محمد السادات غرامة قدرها ١٥٠ ألف ريال ، والشيخ مصطفى الصاوي ٥٠ ألف ريال والشيخ محمد الأجهورى وأخيه فتوح ٥٠ ألف ريال وتوزيع الغرامات الباقية على أهل القاهرة واعتقل الكثيرين منهم . وبذلك تمكن الفرنسيون من إخماد ثورة القاهرة الثانية [٢].

لقد تشدد الجنرال كليبر مع سكان بولاق نتيجة ثوراتهم على الفرنسيين فيقول لقائده جوليفيه Jolivet حاكم بولاق " لقد نفذ صبري من سكان بولاق" طالبا منه قطع رؤوس

---

(١) Courrier de L'Egypt , No 67.

(٢) محفظة فترتها التاريخية من أول مارس ١٨٠٠– ٣١مارس ١٨٠٠م ،ملف رقم (٢١)،وثيقة رقم 12

زعماء الثورة الذين أظهروا مقاومة للفرنسيين حتى يكونوا عبرة لباقي سكان القاهرة ، والقضاء على نشاطهم ، ويأمره ببذل الجهد للتشاور مع المعلم يعقوب "صديق" الفرنسيين ؛ للقضاء على رؤساء جماعات المقاومة ضد الفرنسيين[١] .

وأصدر القائد العام أمره اليومي في ٣٠ أبريل ١٨٠٠ (١٠ فلوريال من السنة الثامنة للجمهورية) بالاحتفال بانتصار الفرنسيين في هليوبوليس وإعادة السيطرة على القاهرة التي اعتبرها فتحا ثانيا لمصر وبعد أن دخل القاهرة نحو ستة آلاف تركي تحت قيادة ناصف باشا وعثمان أفندي ، خرج منهم نحو ثلاثة آلاف ، وأما الثلاثة الآخرون فأصبحوا ما بين قتيل وجريح في أحداث الثورة الأخيرة ، ولقد خلف العثمانيون وراءهم نحو ستين مدفعا وعدد كبير من صناديق الذخيرة ، وعدداً كبيراً من البارق [٢] خلال أيام قليلة .

واجتمع كليبر مع أعضاء الديوان في يوم الجمعة أول مايو ١٨٠٠ م وأخذ في تعنيف المشايخ والعلماء والأعيان في حضور البرديسى بك وعثمان بك الأشقر زعماء المماليك حلفاء مراد بك ، بسبب تأييدهم للعثمانيين والثوار ، ولكنهم اعتذروا له بعدم إمكانهم الوقوف، أمام الثوار الذين أهانوهم ولم يستجيبوا لنصحهم ، وهدهم كليبر بقتل وسبى نسائهم [٣].

لقد تعرض الشيخ محمد السادات لكثير من أنواع الانتقام من الفرنسيين وخصه الجنرال كليبر بأكبر غرم مالي وتم اعتقاله وأهين وصودرت أمواله واضطر إلى بيع أملاكه قسرا ، وتشفع فيه عثمان بك البرديسى لعدم قتله وأنزلوه من سجن القلعة إلي بيت حاكم القاهرة ثم صُعد به ثانية للسجن بالقلعة وذلك بسبب اتهامه بالتحريض على الثورة ضد الفرنسيين سواء في الثورة الأولى أو الثانية .

---

(١) Le général en chef Kléber au général Citoyen Jolivet , Commandant de Boulak ,le 12 floréal an VIII (2 Mai 1800), B6113, Laurens,T.IV, p.868.

(٢) Courrier de L'Egypte ,e No 67.

(٣) الجبرتى : عجائب الاثار ، ج ٢ ، ص ص ٣٤٥ – ٣٤٦ .

وبعد أن وقف الجنرال كليبر موقفا معاديا من الشيخ السادات ، أرسل الشيخ إلى القائد الفرنسي قائلا له : " إنني أقسم لكم (بالله الذي خلق كل شيء والذي جعلكم سلطانا منصورا) بأن كل ما قيل لكم عنى إنما هو نتيجة مكائد من أعدائي وكل ما قيل عني فهو ادعاءات مزيفة ، لقد كنت صديقا للقائد بونابرت وللفرنسيين ، وعندما دخل العثمانيون مصر فإنني دعوت لكم بالنصر ، الناس يهاجمون من هو في المقدمة ومن بينهم الشيخ المهدي ، وأن ما قيل من أنى امتلك ثروة طائلة فإن ذلك فضل من الله ومنة منه وما قيل عن امتلاكي لثروة مدفونة ، فما هي فائدتها إزاء حبي للحياة " ، ويضيف الشيخ السادات : " إنني أقسم لكم لو كنت أمتلك مائة ألف فسوف أقدمها لكم على الفور لإخراجي من هذا المأزق الحرج الذي أنا فيه الآن ، لقد بلغت من العمر ٦٨ عاما ، يحترمني الناس والأمراء ، إن منزل السادات مبنى منذ ٥٠٠ سنة ويكرر الشيخ إن القائد بونابرت احترمني وقدرني من قبل " ، ويتوسل الشيخ إلى القائد الجديد – كليبر– بأن يحبه هو الآخر وألا يستمع إلى ما يقال عنه من أكاذيب ، ويرجوه لكي يعطف على شيخوخته ، وابنه الشاب ، وعائلته ، ويقيم العدل ويعفو عن المظلومين ، " ويقسم بالله مرة أخرى إنه مظلوم .

وهذه الرسالة الأصلية أرسلت إلى القائد العام مكتوبة باللغة العربية "original" وقام المؤرخ الفرنسي بترجمتها إلى اللغة الفرنسية وهى غير مؤرخة بتاريخ معين [١] .

وقد أرسل ناصف باشا إلى مصطفى باشا يقول : إن الشيوخ لا يزالون يتهيبون الفرنسيين رافضين الرضوخ لرغباتنا خوفا علي حياتهم وإن السكان جميعا ورجال

(١) Le Cheikh al Sadat au Le général en chef Kléber , B6 44 , Laurens ,T.IV , p . 885.

الحرب أعربوا عن اتفاقهم فيما بينهم ، والعثمانيون لا يعرفون ماذا يفعلون إزاء هذا الموقف [١] .

وفى بيانه إلى سكان بولاق منح الجنرال كليبر سكان الحي العفو العام بعد أن تمردوا لمدة ٢٥ يوما ضد الفرنسيين الذين تمكنوا من قمع الثورة بالقوة ولذلك خسر الفرنسيون عدداً كبيراً من قواتهم وقد أمر القائد العام بالآتي :

المادة الأولى : يفرض على سكان بولاق ضريبة غير عادية تقدر ب ٥٠٠ ألف قطعة من ٩٠ مديني من الفضة تدفع خلال ١٠ أيام .

المادة الثانية : يفرض على أهالي بولاق دفع ٣٠٠ ألف قطعة مكونة من ٢٥٠ ألف بالة من السكر والقهوة و١٥ ألف بالة من الحبال والأقمشة اللازمة لصناعة الأشرعة ، ١٥ ألف من الزيت والقطران والزفت ، و٢٠ ألف من الحديد والنحاس والزهر ، وتقدم هذه الأشياء في غضون عشرة أيام .

المادة الثالثة : تقدم المدينة (بولاق) ٢٠٠ زوج من المسدسات و ٤٠٠ بندقية .

المادة الرابعة : يتم مصادرة كل المدافع وقنابل المدافع وملح البارود والرصاص والنحاس والحديد والذخيرة وأخشاب البناء لصالح الجمهورية.

المادة الخامسة : الاستيلاء على جميع مخازن الأقوات والحبوب من الشعير والأرز والعدس والفول لصالح الجيش .

المادة السادسة : يلتزم شيوخ المدينة (بولاق) بالتعهد بتسليم هذه الغرامات سواء ما كان موجوداً في مخازن الأهالي أو ما يمتلكه الأتراك العثمانيين [٢] .

ولتنفيذ قراره الصادر في ١٦ أبريل ١٨٠٠ بشأن الغرامات المفروضة على منطقة بولاق أعلن القائد العام ما يلي :-

---

(١) Nassouf Pacha à Moustafa , Pacha , 7 Zeiel – Cade 1314 , 12 germinal an VIII (2 Avril 1800) , B6 43, Laurens , T.IV , p . 801.

(٢) Proclamation aux habitants de Boulak , 12 germinal an VIII (2 Avril 1800) , B6 43, Laurens , T.IV , p . 251.

البند الأول : يتولى قيادة منطقة بولاق بعض الضباط الجدد منهم قائد للمدفعية بهدف تغيير قيادة المنطقة بعد ثورة القاهرة الثانية .

البند الثاني : مصادرة جميع محلات بولاق ووضع الشمع الأحمر عليها وجرد ما بها من بضائع لمصادرتها .

البند الثالث : الأمتعة والبضائع التي لا تلزم للجيش يتم تسليمها للإدارة المالية للجيش[١]

كما أعلن إلى سكان بولاق بأنه منحهم العفو الشامل أما أولئك الذين وقفوا إلى جوار العثمانيين ضد الفرنسيين فتوعدهم بالتهديد وقام بتكليف الشيوخ والعلماء بالعمل على إعلام سكان بولاق بهذا الأمر وأمر بأن يتوجه كل فرد بشكل سلمى إلى أعماله وصناعته [٢].

أما عن إجراءات كليبر بعد انتهاء الثورة فقد سيطرة الفرنسيون على القاهرة مرة أخرى وأصدر كليبر أوامره الصارمة باستخدام القوة إزاء الهاربين من أهل المدينة في أثر العثمانيين ، فقد دعا أكابر القاهرة ومشايخها لمشاهدة العرض العسكري الذي سيقام في سهول القبة بمناسبة الاحتفال بالانتصار على العثمانيين والقضاء على ثورة القاهرة، وأمر بإقامة الزينات في الأسواق والشوارع ، وأمر الناس بإنارة القناديل ليلا وإطلاق المدفعية لقنابلها . وفى يوم ٢ مايو ١٨٠٠ م (٧ ذي الحجة ١٢١٤هـ) توجه كليبر إلى جزيرة الذهب بالجيزة لزيارة مراد بك الذي احتفى به وهنأه على انتصاره على العثمانيين وأرسل للقائد الفرنسي عدة آلاف من رؤوس الأغنام لإعاشة الجيش الفرنسي.

---

(١) Order du général en chef Kléber , 28 germinal an VIII (18 Avril 1800) , B6 43, Laurens , T.IV , p . 834.

(٢) Le général en chef aux habitats de Boulalk , 20 germinal an VIII (10 Avril 1800) , B6 43, et B6 111 Laurens , T.IV , p . 811.

وقد أشاد كليبر بسعادة بالغة بسلوك فرقة الجمال (الهجانة) عندما استولوا على بعض المنازل التي استحوذ عليها الفرنسيون بالقرب من منزل الجنرال رينيه ، والأشغال الحربية التي قامت بتحصين مواقعهم رغم مقتل عدد من الجنود من فرقة (المقوضين) أو الهادمين للمنازل [١].

وفى إعلانه لسكان القاهرة ومصر يقول كليبر : " بسم الله الرحمن الرحيم إن الله منحه النصر الذي استخدمه بشكل حليم ورحيم "، ويقدم القائد العام لسكان القاهرة ومصر أسفه الشخصي لما تعرضوا له بشكل مباشر أو غير مباشر أثناء أحداث الحرب مع العثمانيين . ويطلب من كل شخص أن يتوجه بسلام إلى عمله وإلى مصنعه، ولسوف يجد في كل فرنسي الأخ والحامي له [٢].

ولم يهنأ كليبر بانتصاره في هليوبوليس على العثمانيين أو إخماده لثورة أهالي القاهرة في بولاق وغيرها من الأحياء الثائرة على ظلم قوات الاحتلال ، ولم تسعفه الأيام في استجلاب الهدوء والسلام للجيش الفرنسي بعد توقيع اتفاق السلام مع زعيم المماليك مراد بك ؛ فبعد أكثر من شهر واحد من زيارته لمراد في جزيرة الذهب ، وفي خضم هذه الأحداث تختمر فكرة الجهاد الإسلامي من قلب حصن الإسلام في المشرق العربي؛ من الأزهر الشريف ، ليلقي قائد الحملة الجنرال كليبر حتفه على يد أحد طلاب العلم من الشوام وهو سليمان الحلبي في مقر قيادته بالقاهرة عصر يوم السبت ١٤ يونيو ١٨٠٠م؛ لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل حملة الشرق الاستعمارية وبفكر استعماري مغاير لقائد جديد ألا وهو الجنرال عبد الله جاك منو .

---

(١) Order du jour général en chef Kléber , 23 germinal an VIII (13 Avril 1800) , B6 43, Laurens , T.IV , p . 820.

(٢) Kléber , général en chef , aux habitats du Caire et L'Egypte , Le 2 floréal an VIII (22 Avril 1800) , B6 43 , Laurens , T.IV , P 843.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : وثائق غير منشورة :

أ) أجنبية :

- وثائق الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ – ١٨٠١م ، أرشيف أوروبى ، المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

- وثائق وزارة الحرب الفرنسية المحفوظة بقلعة فنسن Vincenne بباريس .

ب) عربية :

سجلات محكمة الإسكندرية الشرعية المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة .

ثانياً : وثائق منشورة :

أ)أجنبية :

- De La jonquiére : L'Expédition d'Egypte 1798 – 1801 , 4 Vols , Paris , 1804 .

- _____ : journal de L'Expédition d'Egypte , Paris , 1904 .

ب) عربية :

عبد العزيز الشناوى (دكتور) ، جلال يحيى (دكتور) : وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩م .

ثالثاً : مراجع عربية :

١ – جلال يحيى (دكتور) : مصر الحديثة ١٥١٧ – ١٨٠٥ ، الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٦٩ .

٢ – عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار ٣ أجزاء ، بيروت دار الجيل ، ١٩٧٨م .

٣ - ـــــــــــــ : مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس ، جزئان ، االقاهرة ، الهيئة المصرية العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٦١ .

٤- عبد الرحمن الرافعي : تاريخ الحركة القومية ، ج١، القاهرة دار المعارف،١٩٨٧.

٥ - ـــــــــــــ : تاريخ الحركة القومية ، ج٢ ، القاهرة ، مطبعة النهضة ، ١٩٤٨ .

٦ - محمد فؤاد شكرى (دكتور) : الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، د . ت .

رابعاً : مراجع أجنبية :

1 – Déscription de L'Egypte , T.XVIII , 2em part , Panckoucke , Paris , 1821 .

2 – Dinon , Vivant : Voyage dans La Basse et Haute Egypte , Paris , 1803.

3 – Laurens , Henry : Kléber en Egypte 1798 – 1800 , 4 Vols , Institut Français d'Archéologie orientale , Le Caire , 1988 – 1995 .

4 - Rousseau . M.F: Kléber et Ménou en Egypte dépuis le départ de Bonaparte , Paris , 1900 .

5 – Roux , Charles : Bonaparte gouverneur d'Egypte , Paris , 1946 .

6 – Samuel Bernard : Mémoire Les Monnoies d'Egypte (Déscription de L'Egypte T.XVI) Panckoucke , Paris , 1821 .

خامساً : دوريات فرنسية :

- Courrier de L'Egypte .

سادساً : رسائل علمية :

– وجيه على أبوحمزه : القاهرة فى عصر الحملة الفرنسية ، رسالة ماجستير لم تنشر، جامعة المنيا ، ١٩٨١م .